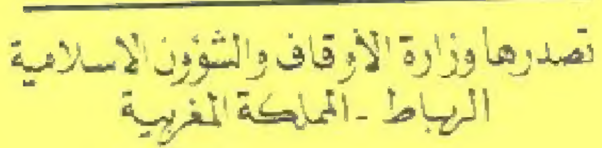


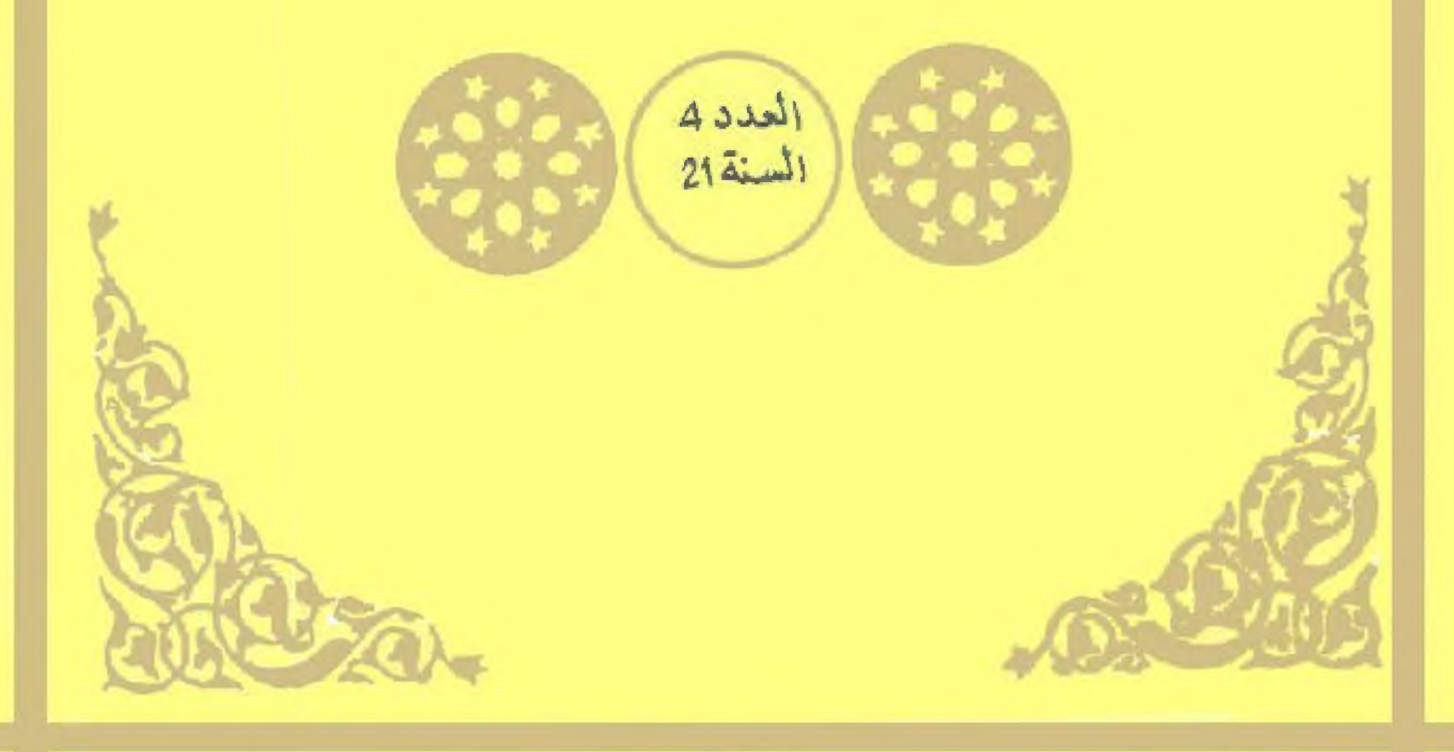
دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية



العدد 4
السنة 21



بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعــوة الحــق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب   الهاتف : 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهما للداخل و 67 درهما للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة 8 أعداد. لايقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه.

• لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

العدد 4
السنة 21

شعبان - رمضان 1400
يوليــــوز 1980

هذا العدد

للصراع الفكري صور واشكال ، تخفى فى احايين كثيرة على ذوى النظرة القاصرة ، والفهم المحدود ، بحيث تختلط المفاهيم ، وتضطرب المقاييس، ويصبح من الصعب التمييز بين الحق وبين الباطل . ومرد ذلك الى البراعة فى الاحتيال ، والقدرة على الايهام ، والايغال فى التضليل .

وحظ البلاد النامية من هذا الصراع موفور ، ونصيبها من اشعاعاته وتاثيراته يجعلها عرضة للخطر ، وهدفا للعدوان . ولعل البلاد العربية والاسلامية فى مقدمة الدول التى تتاثر سلبا وايجابا بالاشعاع الايديولوجى ، لما تفتقر اليه من حصانة ذاتية ، ومقاومة فكرية ، ووقاية حضارية ، وبسبب ما يسود اجواءها من سحب داكنة تحجب الرؤية الواضحة الى معالم شخصيتها ومشاعل حضارتها .

ولقد بدا الصراع الفكرى غزوا واستلابا ، بعد ان كان حملة وغارة ، ونتج عن هذا التحول فى المواجهة تغيير طبيعى فى الادوات والوسائل والاساليب . ففى البدء كانت الحملات والغارات المباشرة على العالم العربى والاسلامى ، فسقط ما سقط من دوله وشعوبه تحت الاحتلال والانتداب والحماية ، ثم تطورت الحال الى غزو فكرى كاسح اقتلع الجذور ، واستلب العقول ، وشكك ، وشوه ، واضل ، واغرى بالانحراف ، وحرض على التمرد ، فوقع من وقع من رجال الفكر وارباب القلم تحت رحمة العقيدة الوافدة ، والفكرة المستوردة ، والمذهب الغازى ، والايديولوجية المفروضة من اعلى بقوة الحديد تارة ، او بهول الارهاب وفظاعة الاضطهاد تارة اخرى .

ومضت المرحلتان الى غير رجعة ، وجاءت مرحلة الصراع الذى يتخذ طابعا ذاتيا اولا ، ثم جماعيا، ثم قاريا ودوليا .

ولقد اجتزنا الطورين الاولين ، وقطعنا مفازاتهما واغوارهما ومجاهيلهما ، وخضنا معاركهما ، فانهزمنا تارة ، وانتصرنا تارة اخرى ، ثم جرت علينا سنة الله فى خلقه ، فلخفقنا لذهولنا عن انفسنا ، ولشرودنا عن ذاتيتنا ، الى ان كتب لنا النصر الساحق ، والتفوق البارع ، ولا نزال واقفين فى الساحة فى مواجهة الصراع القارى والدولى .

والغلبة — هنا — للقوة العدلة ، والحق الصامد ، والحرية المسؤولة ، والعقيدة الوثيقة الصلة بالسماء .

عبد القادر الادريسي

الثمن : 5 دراهــم



بَارَكَ اللهُ فِي عُمُرِ سَيِّدِنَا

يشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ويسعدها ان تغتنم مناسبة حلول العيد الواحد والخمسين لميلاد سيد البلاد مولانا الإمام أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله فترفع إلى السدة العالية بالله، أزكى التهاني وأطيب الأماني، مع خالص الدعاء إلى الله الباري جلت قدرته أن يحفظ جلالة الملك الحسن الثاني بما حفظ به الذكر الحكيم، ويجري على يده الخير واليمن للشعب المغربي، والفتح والنصر للأمة الإسلامية جمعاء، وأن يقر عينه بولي عهده المحبوب صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه الأمير السعيد مولاي رشيد، وكافة الأمراء والأميرات والأسرة المالكة الشريفة.

بارك الله في عمر سيدنا المنصور بالله، وسدد خطاه على طريق العزة والكرامة والسيادة والوحدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الحرية والفكر في عهد جلالة الملك الحسن الثاني

●● للحرية فى المغرب دولة ، والفكر نهضة . وبقدر ما تستقر دولة الحرية ، وتتقوى اسسها ، بقدر ما تزدهر نهضة الفكر ، وتخصب حقولها ، ولهما معا ، الدولة والنهضة ، جذور فى الماضى ، وقواعد فى الحاضر ، وآمال فى المستقبل . فلا الدولة تنهض من غير حرية ، ولا النهضة تقوم بلا فكر . وكلتاهما ، تدوران فى محور حضارى ، تربط بينهما جدلية مطردة ، ومنطق متسق ، وأسباب موصولة .

ولقد قامت الدولة المغربية ، منذ كتب لها ان تقوم ، على أسس حرية الفكر ، وسلامة الاتجاه ، واستقامة الاختيار ، فلم تكن قط دولة ارهاب وقمع ، ودولة اضطهاد وقهر ، حتى فى العصور التى ساد فيها الاضطراب نتيجة عوامل خارجية ، لم ينحرف الحكم عن الجادة ، ولم تشتط السلطة فى ممارسة شؤون البلاد ، ما عدا حالات محدودة ، فى فترات قلقة ، لم تكن الا استثناء ، لا يحتكم اليه ، ولا يؤخذ به .

وفى العصر الحديث ، بينما كانت الدولة العلوية تواجه اعتى الاعاصير ، واقوى المؤامرات فى نهاية القرن التاسع عشر ومطالعه الاولى ، حافظ المغرب على خصائصه المميزة ، وتقاليده المتوارثة ، فى صيانة كرامة الفرد ، وشرف الجماعة ، وحماية حق الانسان فى الحياة الآمنة المطمئنة . وما يعرف فى تاريخنا بعهد (السيبة) لم يكن الا تجاوزات محصورة فى نطاق ضيق ، كانت لها صلة بالجهات الاجنبية الطامعة فى المغرب ، سواء من الشرق او الشمال . وقد ثبت ان اضطراب حبل الامن فى بلادنا فى اوائل القرن الحالى ، وبالضبط فى العقد الاول منه ، كان مرده الى التدخل الاجنبى ، الذى وان كان فى تلك الفترة لم يتخذ شكلا مباشرا ، فان قوة نفوذه ، وضراوة اندفاعه ، وشراسة اطماعه ،جعلت له دورا فى الاحداث المزعجة التى عاشها المغرب طيلة عهد الملك الصالح المولى الحسن الاول وولديه المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ رحمهم الله .

●● واذا استثنينا هذه المرحلة العابرة ، وامعنا النظر فى طبيعة الدولة العلوية نجد انها التزمت منذ عهودها المبكرة بالدفــاع عــن قضيتــين مقدستين : حوزة التراب الوطنى ووحدة البلاد ، وكرامة المواطن وحريته، وقد استطاع الملوك العلويون الاشراف ان يمضوا فى هذا السبيل ، لا يفرطون فى شىء ، ولا يقصرون فى القيام بالواجب الدينى ، والنهوض باعباء الامانة التى اكرمهم الله بها ، فكانوا بحق ، حماة لقيم المغرب ، وامناء على ارثه ، والقائمين على امره بالعدل والاحسان .

وبهذا الرصيد الحضارى الغنى ، تصدى جلالة الملك الحسن الثانى للمسؤولية ، متحملا اياها فى ايمان واحتساب ، مضطلعا بها فى استقامة وشجاعة ، ماضيا فى الطريق المستقيم الذى اختطه اجداده المنعمــون على هدى وبصيرة وتقوى من الله ، يقود الامة ويحميهــا ، ويــرود نهضتها ويغنيها ، ويبدع الفكر ويثريه ، ويقيم للحرية دولة شامخة لا تطال ، ويبنى الشورى والديمقراطية صرحا ، هو عنوان مجدنا ، ورمز وحدتنا ، ومصدر قوتنا .

وما كان للملك الذى نشا فى كنف النضال ، وعاش الحرمان والكبت والعسف ، وذاق مرارة النفى والابعاد ، ان ينأى بشعبه عن الحرية ، ويلقى به فى اتون العبودية ، التى تجد اليوم فى دول المشرق والمغرب من يسوغها ويبررها ،ويصيغها فى قوالب خادعة ،وشعارات كاذبة ، واسماء ما انزل الله بها من سلطان .

ولم يكد جلالة الملك الحسن الثانى نصره الله يتولى امر البلاد ، مبايعا من الشعب ، ومعززا بالحق الشرعى والتاريخى ، حتى انصرف بهمته العالية الى انعاش الحرية ، وتطويرها ، ولا نقول اقــرارهــا وتنفيذها ، لان الحرية عادت الى هذه البلاد مع عودة العرش ، فاقترنت بــه ولم يفترقا قط .

لقد خلق جلالة الملك الحسن الثانى حفظه الله اطارا جديدا للحريات العامة ، وبث روح الحماس والتجديد ، واوجد وسائل وادوات ساهمت فى التقنين والتنظيم ، وساعدت على التطور السريع دون اخلال بواجب الوفاء للقيم والمقدسات ، فكان عمل جلالته فى هذا السبيل فتحا مباركا ، انتظمت به مسيرتنا ، واستقام امرنا ، فشاع الامن ، واتسع الفكر ، وساد الاستقرار ، فاقبل الناس على العلم والثقافة ينهلون من حياضهما ، ما شاء لهم قدرهم واستعدادهم ان ينهلوا ويعبوا . فاذا بالمغرب فى عهد جلالة الملك الحسن الثانى يزدهر وينمو ، واذا بالتنافس يقوم على اشده بين ارباب الفكر والنظر والراى ، فتعددت الاتجاهات ، وتنوعت المشارب، وكثر العطاء الادبى والثقافى والعلمى ، وراجت سوق المعرفة ، وتفتحت كل الزهور ففاح شذاها وملأ الجو بالاريج المعطر والعبير المنعش .

وليست الحرية في المغرب شعارا للاستهلاك المحلي او العالمي ، ولكنها عقيدة راسخة ، وممارسة امينة ، وسلوك صادق ، والتـزام مخلص ، يترجمه الواقع المعاش ، وتعكسه التجربة الجادة ، مما يجعل الحياة السياسية والفكرية في بلادنا صورة لما نؤمن به من مبادىء ، على نحو تنتفي معه الفروق بين النظرية والتطبيق .

ان خصائص النظام في المغرب تناى بنا عن المزالـق والتجـارب الفاشلة والمغايرة العقائدية على حساب استقرار الامة واستتباب امنها وانتظام مسيرتها . ومن نافلة القول ان النظام المغربي يقوم على اساس البيعة الشرعية ، والطاعة لامير المؤمنين في اطار احكـام الشريعـة الاسلامية ، وتعاليم الدين الحنيف ، التي تجعل من الحـرص علـى الجماعة والتمسك بها شرطا لازما لقيام المجتمع الاسلامي الاخذ بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام .

ولئن كانت ضغوط معركة الدفاع عن النفس وحماية الكيان مـن شانها العمل بمقتضيات الشورى والاحتكام الى اراء العـام ، فان طبيعة العلاقة بين القمة والقاعدة في المغرب لا تمنع مـن الاضطـلاع بالاعباء الوطنية على المستويين الداخلي والخارجي في وقت واحد ، دون أن يتغلب جانب على جانب آخر . ولذلك كانت الحرية في هذه البـلاد اختيارا ابديا شديد الارتباط بالملكية الدستورية ، بحيث لا يمكن للنظام أن يمارس شؤون الحكم الا في ظل الحرية الشاملة المنضبطة بضوابط الدين والخلق والاصالة وتقاليد الشعب . وتلك قمة من القمم الدستورية لا تطـــال .

● ومن اجل هذا ، كان المغرب دولة حرة مستقلة ، حتى في احلك الظروف التي مرت بها البلاد ابان عهد ما يعرف بالحماية الاجنبية ، بحكم ان الشعور بالعزة الدينية ، والاحساس بالكرامة الوطنيـة ، ظـلا باستمرار نابعين من الذات وراسخين في عمق الوجدان الشعبي . وهي حالة قيما تتوفر لامم وشعوب ، اللهم الا اذا كانت في مستوى شموخنـا الحضاري وتراثنا الفكري وحصانتنا السياسية .

وبعد ، فان الذكرى السابعة والعشرين لثورة الملك والشعب تحل هذه السنة وبلادنا في غمرة كفاح حضاري متشعب الميادين ، واعداؤنا يتربصون بنا من كل جانب ، والمؤامرات تحاصرنا من الجهات الاربع . ويشاء الله سبحانه وتعالى ان تتقوى الوحدة الوطنية ، وتستقر الجبهة الداخلية ، حتى نتمكن جميعا من مواجهة التحديات من موقع قـوة ، وانطلاقا من السلام الاجتماعي ، والتمازج الشعبي .

دعـوة الحـق

فتوى علماء المغرب

حول تصريحات الخميني المنافية للعقيدة الإسلامية

اصدر علماء المغرب فتوى دينية رداً على التصريحات التي أدلى بها زعيم الشيعة في ايران الى إحدى الصحف العربية. وقد جاءت هذه الفتوى معبرة عن اجماع اعضاء المجالس العلمية في كافة أقاليم المملكة على إدانة الخميني استناداً إلى الكتاب والسنة.
وقد رفع السادة العلماء هذه الفتوى إلى مقام حضرة أمير المومنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.
وفي مايلي نص الفتوى :

بسم الله الرحمن الرحيم

نشرت الصحافة الكويتية والسعودية أقوالاً شنيعة ومزاعم فظيعة، منسوبة لإمام الشيعة الخميني، تنال من مقام النبوة والملائكة، وتؤدي الى الإشراك بالله عزّ وجَل، وردّدت هذه الأقوالَ مع استنكارها بعضُ الصحف الوطنية، وقامت من اجلها ضجة كبرى في الأوساط الشعبية، فتوجه الجمهور الينا بالسؤال عن موقف العلماء من هذه الأقوال النابية. والمزاعم الباطلة التي تخالف ما عُلم من الدِّين بالضرورة، وتناقض أصول العقيدة الإسلامية، حتى أن بعض السائلين تساءل - وهو على حق - هل ألغى الخميني ما كان يعرف عند الشيعة بالتقية، حين استولى على الحكم، وظن أنه قد حان الوقت ليجاهر بهذه العقيدة الفاسدة دون تستر ولا حذر؟

وقبل الجواب عن سؤال الجمهور المغربي المسلم نرى من الواجب أولاً أن ننقل كلام الخميني بنصه، كما نشرته الصحف وورد في كتابه "الحكومة الإسلامية" ثم نعقب على ذلك ببيان الحكم الشرعي الذي يبطل مزاعمه وادعاءاته.

وفيما يلي نص كلام الخميني: " إن الأنبياء جميعاً جاءوا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم. لكنهم لم ينجحوا وحتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية وتنفيذ العدالة لم ينجح في ذلك، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك، ويرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم ويقوّم الانحرافات هو الإمام المهدي المنتظر، ثم يقول الخميني: " إن مسألة غيبة الإمام المهدي هي مسألة هامة تعلمنا أشياء كثيرة، ومن بينها أنه لا يوجد في العالم أحد سواه من أجل تنفيذ العدالة بمعناها الحقيقي. وأن الله تعالى أبقاه ذخراً من أجل البشرية، وسيعمل على نشر العدالة في جميع أنحاء العالم، وسينجح فيما فشل في تحقيقه الأنبياء والأولياء.

هذا كلامه الذي قاله بمناسبة عيد مولد المهدي المنتظر، في منتصف شعبان المنصرم، اكتفينا بجوهره وفحواه.

ومن أجل مزيد التأكد من نسبته إليه رجعنا الى ما جاء في كتابه "الحكومة الإسلامية" صفحة 52 طبعة بيروت، فوجدناه يقول: " إن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها جميع ذرات الكون. الى أن يقول: " وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه مَلَك مقرب ولا نبي مرسل " فتبين بما لا مجال للشك فيه أن هذا الكلام صادر عن الخميني، وأن هذه العقيدة الفاسدة هي عقيدته، وأن الصحافة لم تتزيّد عليه في شيء.

والجديد في الأمر هو أن الخميني تجاوز بهذه الإدعاءات الفاسدة كل ما كان معروفاً عن الشيعة، وتطاول حتى على مقام الملائكة والأنبياء والمرسلين. حيث جعل مكانة المهدي المنتظر في نظره فوق مكانة الجميع وزعم أن لا ملك مقرباً ولا نبي مرسلاً أفضل منه.

والأخطر من ذلك ما زعمه الخميني من أن "خلافة المهدي المنتظر خلافة تكوينية تخضع لها جميع ذرات الكون" ومقتضى ذلك أن الخميني يعتبر المهدي المنتظر شريكاً للخالق عزّ وجل في الربوبية والتكوين.

وهذا كلام مناقض لعقيدة التوحيد يستنكره كل مسلم ولا يقبله ولا يقره أي مذهب من المذاهب الإسلامية، ولا يبرئ قائله من الشرك والكفر بالله إلاّ التوبة والرجوع عنه صراحة وعلناً أو التبرؤ منه وإصدار بيان بذلك، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة.

وعلى أئمة الشيعة الآخرين - لكي يطمئن المسلمون - أن يوضحوا موقفهم من هذه الأباطيل المخالفة للكتاب والسنة، وما عليه سلف هذه الأمة وخلفها، من توحيد الله عز وجل، وانفراده بالخلق والتكوين، وتصريف شؤون الكون، وتعظيم مقام الأنبياء والرسل والملائكة وتفضيلهم على كافة المخلوقات ورفع مقام خاتم النبيئين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، قال الله تعالى: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ".

وقال تعالى: " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۞ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞"

هذا وإن علماء المغرب ليهيبون بإخوانهم بقية العلماء في العالم الإسلامي أن يقفوا وقفة رجل واحد، ضد هذا التيار الهدام، ويذودوا كل شبهة عن عقيدة الإسلام، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

سابق البربري من جديد

للأستاذ عبد الله كنون

> سبق للأستاذ عبد الله كنون ان نشر في هذه المجلة ثلاث مقالات عن سابق البربري في فترات متباعدة .
>
> ويسر دعوة الحق ان تنشر مقالا جديدا للكاتب الفاضل يلقي فيه مزيدا من الضوء على شخصية سابق البربري .

في البحث الذي كتبته عن هذا الشاعر الخالد ، موزعا على ثلاث مقالات ، في فترات متباعدة لم اكنا الامل انى ربما عدت اليه في كل مقالة منها . وها انا ذا اعود اليه فعلا ، بعد مرور فترة طويلة ، على المقالة الثالثة ، لاقول شيئا جديدا عنه وان قل ، فان ذلك البحث انما تكون من مثل هذه النتف التي لم ازل اتصيدها من مختلف الكتب المظان وغيرها سنين عديدة .

لقد نشر في العراق اخيرا كتاب حماسة الظرفاء لابي محمد عبد الله بن محمد العبدلكاني الزوزني بتحقيق محمد جبار المعيد ، وهو يحتوي على بعض شعر سابق مما ذكرته في بحثي المشار اليه ، والذي اعتمده المحقق الفاضل ، وزاد ببعض ابيات منها بيتان يندرجان في قصيدته الرائية المذكورة في المقالة الاولى ، وهما :

وربما جاءني ما لا اؤمله
وربما فات مأمول ومنتظر
من عاش ادرك في الاعداء بغيته
ومن يمت فله الايام تنتصر

ومنها بيت مفرد من قطعة نسبها المؤلف الى صالح بن جناح وهو البيت الثاني الذي ذكر المحقق انه منسوب لسابق في كتاب غريب الحديث ونص القطعة كاملة :

اذا الواشي لديك بغى صديقا
فلا تدع الصديق بقول واش
فلا تذل بسرك ، كل سر
اذا ما جاوز الاثنين فاش
ولا تصحب قرين السوء وانظر
لنفسك من تقارن او تماشي
ومن يرفع مليك الدهر يرفع
ومن يخفض فليس بذي انتعاش

هذا وممن ذكر شاعرنا ابو حيان التوحيدي في كتابه الامتاع والمؤانسة ، الجزء الثالث ، حين قال : « واعترض حديث العلم فانشد ابن عبيد الكاتب لسابق البربري قوله :

العلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلي سواد الظلمة القمر

ولكن وصف البريري بتصحف فى الطبع بالزبيري والكتاب كما هو ثابت فى صفحته الاولى مطبوع بتصحيح الاستاذين احمد امين واحمد الزين وتحقيقهما، وذلك مما يدل على الجهالة الفاشية بهذا الشاعر الكبير . والبيت المذكور هو من القصيدة الرائية المشار اليها آنفا .

وذكرنا فى المقالة الثانية بيتين من قصيدة لامية طويلة له على اختلاف فى بعض الفاظها عما فى القصيدة ، كان سفيان الثوري يتمثل بهما ، كما فى جامع العلم لابن عبد البر ، واغفلنا ذكر كون الحسن البصري كذلك كان يتمثل بهما على ما جاء فى رواية اخرى لابن عبد البر . وثم بيت آخر كان يتمثل به الحسن من هذه القصيدة لم يرد فيها ، وانما ذكره ابن عبد البر وهو قوله :

يسر الفتى ما كان قدم من تقى
اذا عرف الداء الذي هو قاتله

ولم نثبته فى البحث .

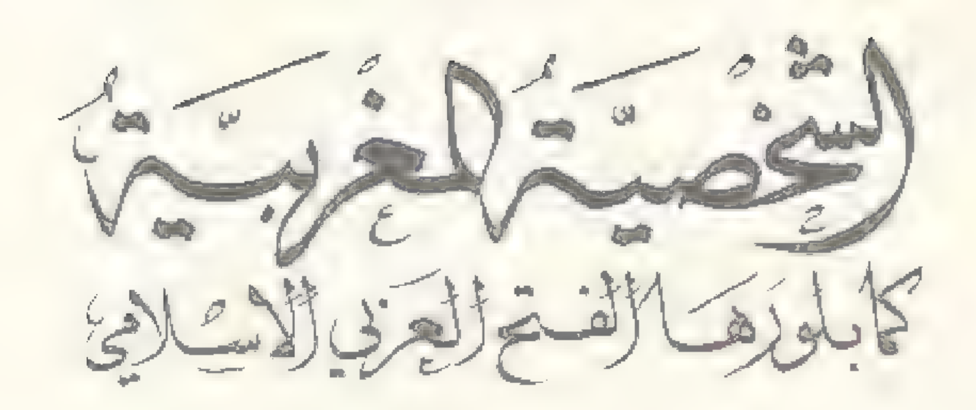
ونسيت ان انبه فى المقالة الثالثة على ان البيت الذى انشده ابن عبد البر فى كتاب الجامع واوله : والعلم يشفى ، والآخر واوله : موت التقى حياة .. ربما كانا هما والابيات الستة التى وردت فى المقالة الاولى ، من قصيدة واحدة ، لانها كلها من بحر واحد وهو البسيط وقافية واحدة ، وهي الهمزة المضمومة.

ولا يفوتنى ان اشير الى البيت الرجز : قد قيل قبلى فى الزمان الاقدم .. وما يحتمل أن يكون من علاقة بينه وبين الرجزية التى انشدها ابن عبد البر فى ادب التعلم والتفقه وهى مما ينسب الى المامون .. وفى النفس من هذه النسبة شيء . وقد جعل لهاالشيخ مرتضى الحسيني صدرا وذيلا كما بفهرسته ، والسؤال القائم المحتمل هو الا تكون هذه الرجزية من نظم سابق ؟

ثم نلاحظ انه بعد نشر بحثنا عن سابق فى مقالات ثلاث باعداد متفرقة من مجلة دعوة الحق ، ثم نشره مجموعا بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق وصدر عنه فى شكل كتيب ، وقع الالتفات الى هذا الشاعر والعناية به ، والكتابة عنه وذكره فى تاريخ الادب المغربى كما فعل الاساتذة مؤلفو « تاريخ الادب والنصوص الادبية للسنة الدراسية الثانوية » - وفقا للمنهج الحديث الذي اقرته وزارة التربية الوطنية المغربية والدكتور عباس الجراري فى كتابه الجديد « الادب المغربى من خلال ظواهره وقضاياه » والاولون عدوه مغربيا اقصويا خالصا وذكروه على انه اول شاعر نبغ فى المغرب على عهد الولاة اى قبل العهد الادريسى ، وهو من حيث التاريخ كذلك ولكن من حيث المغربية الاقصوية ، نحن لم نجزم بشيء فى ذلك .

والثانى ذكر اننا بعد ما قلنا انه ربما كان اول شاعر مغربى يعتى بالمعنى الخاص ، عدنا الى القول باننا لم نتحقق بعد من مغربيته الضيقة ، وليس فى كلامنا شيء من القول المذكور ، فاننا من اول الامر، لم ننسبه الا الى المغرب الكبير ولم يتحقق عندنا البلد الذي ينتمى اليه من هذا المغرب لا اولا ولا اخيرا ، ولعل ما كتب براس اولى المقالات عنه فى دعوة الحق وهو هذه العبارة : «دراسات فى تاريخ الادب المغربى» هو ما اوهم الكاتبين ان سابقا مغربى اقصوي او اننا قلنا بذلك ثم رجعنا عنه ، والمسؤولية فى هذا تقع على محرر المجلة ، فهو الذي كتب العبارة المذكورة، وكثيرا ما يتدخل محررو الصحف فى مقالات الكتاب بما لا يكون من غرض الكاتب وربما عاكس قصده ، وقد وقع لنا معهم كثير من ذلك ، وهذا منه .

ونخلص من هذا المقال الصغير بزيادة اربعة ابيات على ما احصيناه فى البحث من شعر سابق ، وهو 169 بيتا فيصير الحاصل الآن 173 بيتا هذا الى مصادر جديدة عنه لم نذكرها من قبل والبقية تاتى ان شاء الله .



للأستاذ عبد الكريم غلاب

جاء الفتح العربى الاسلامى للمغرب لاعطاءه الشخصية الجديدة التى كان يبحث عنها ، وهى نفس الشخصية التى اعطاها مجىء الاسلام للشعب العربى ، ونفس الشخصية التى اعطاها الفتح الاسلامى للعراق وفارس وبغداد ما وراء النهر كلها فى آسيا ، وهى نفس الشخصية التى اعطاها لمصر والاندلس بعد ذلك . انها الشخصية المتميزة التى كانت تبحث عنها هذه البلاد ولم تجدها فى الضياع وعدم الاستقرار السياسى والاجتماعى والروحى ، او فى التبعية لاحدى القوى التى كانت تحكم العالم آنذاك .

تقوم الشخصية المغربية بعد الفتح الاسلامى على ركيزتين هما : الاسلام ، والعربية . وكلاهما ذو طابع ثقافى بالاضافة الى انهما اساسان من اسس الشخصية القوية التى طبعت مختلف البلاد التى انتشر فيها الاسلام ، فبدلت من شخصياتها القديمة التى تآكلت وهرمت الى شخصيات جديدة شابة حية.

ثم ان الاسلام والعربية منطلقان انطلقت فيهما الشخصية المغربية ، كالشخصيات الاخرى ، نحو عالم كبير ، وسع من افقها الامتدادي فارتبطت منه بكل عالم الاسلام وبكل ما يوحى به هذا العالم من عطاء

وكانت العربية وهى الركيزة الثانية التى قامت عليها الشخصية المغربية لغة وثقافة ، سواء باصلها الذي نشأت فى احضانه وهو الثقافة الادبية ، او بما طبعها الاسلام به منذ جاء القرآن بهذه اللغة فكان مفتاح اثراء ومعرفة فكرية ودينية وروحية وعلمية وقانونية .

من ذلك نرى ان الفتح الاسلامى لم يكن فتحا حربيا ، ولم يكن هجرة من هذه الهجرات الاكتساحية التى عرفها التاريخ فى الشرق والغرب ، والتى كانت تؤثر فى العرق او فى نظام الحكم او تحيز الشعب

للحاكمين .. او فى طبع الشعب بطابع المغلوب وفرض لغة الغالب وتسلك به سبيل التقليد لاعماله ونوعية اعماله ، ولكنه كان يحمل معه دينا جديدا كان هو الدين الذي يتفق مع طبيعة الشعب المغربى فى حب الحرية وفى رفض التعبد لغير قوة غيبية التى بحث عنها فلم يهتد اليها الا فى الاسلام .

والاسلام فتح باب المعرفة على مصاريعه واعطى للعقلية المغربية الطابع الذي لم تهتد له من قبل ، وضع امامها القرآن ، وهو مصدر معرفة انسانية ودينية ودنيوية ، وقد دعا القرآن كذلك للتفكير واستعمال العقل والتدبر فى ملكوت السموات والارض وصدع باسس فكرية منطقية حينما اراد ان يثبت وجود الله ووحدانيته ، ثم على اسس تشريعيه لا تقتصر على تشريع الصلاة والصيام والزكاة والحج بعد العقيدة ، ولكنها تربط ذلك بوقت معين من : النهار والليل متصل بطلوع الشمس وزوالها وغروبها وظهور الهلال ؛ وبذلك يربط الاسلام العبادات بتحول الليل والنهار . وبالشهور القمرية . ومن حسن الحظ ان المسلمين لم يجعلوا من القرآن كتب تعبد يقرا فى الصلاة كما هو الامر بالنسبة للتوراة والانجيل فحسب ولانه دفعهم بقوة ليجعلوا منه كتاب معرفة . فاخذوا منه الاحكام ونشأ من هذا المنطق علم جديد لم يعرفه العرب من قبل هو علم الفقه ، بكل ابعاده القانونية التى لا تقتصر على احكام الصلاة والفرائض الخمس، ولكنها تتعدى ذلك الى توزيع المال والارض وكل مصادر الثروة ، والى تنظيم السلم والحرب .. وتنظيم الحياة الاجتماعية من الاسرة الى المجتمع الصغير الى الامة الاسلامية ، وتضع ايضا الانسان امام دوره الخاص كفرد ودوره العام فى المجتمع .

كل ذلك فتح امام المسلم آفاق التفقه فى الدين وجعل من ضرورات الدين والمعرفة والعلم فى اوسع معانيها ، ومن ضرورات الدين معرفة احكام الصلاة التى هى عبادة بين المرء وربه ، لا يكون واسطة فيها فقيه ولا رهيب ، وما الامام فيها الا منظم لصلاة الجماعة حتى لا يختل اداؤها .. ومثلها معرفة احكام الصيام والحج والزكاة .. وتنظيم الارث مثلا يتطلب معرفة ما يسمى « بالفرائض » وهو تنظيم تقسيم المال المنقول والثابت بين الورثة ومعرفة مبلغ القرابة من لموروث .

وجاء القرآن ايضا بنظرات روحية تصل الانسان بربه . وفى الوقت الذي تجعل منه انسانا يعيش عاملا فى المجتمع يعيش مع ربه على صلة متينة قريبة وهى ليست صلة مع شيطان فى صورة اله ، او مع اله متجسد فى تمثال او حجر يتقرب اليه بأحسن الاعلاق والنفائس ولكنها صلة مع اله يدبر الكون ويهدي الخلق ويوجه العقل البشري بقوة غيبية غير بشرية . وذلك كله يتفق مع الطبيعة المغربية السليمة التى لم تعرف الوثنية فى ابشع صورها ، ولم تعرف الديانات الوضعية . ولم تغمرها الديانات السماوية السابقة الا فى حدود ضيقة لم ترسب فيها ولم تتعمق جذورها .

وفتح القرآن الباب على مصراعيه للمعرفة النظرية فكانت الفلسفة الاسلامية التى طعمت الفكر البشري كما انتهى الى العصر الاسلامى الاول من الديانات وحكم السابقين الصينيين والفراعنة والهنود وفلسفة اليونان .. وطعمته بنظرة الاسلام الى الانسان ووضعه فى مقام السيد فى الكون ، وبنظرة الاسلام العلمية الى الحياة لجعلها فى خدمة الانسان وتحميل الانسان مسؤولية خلافة الله فى الارض ، وجعل النفس الانسانية فى المقام الارفع ، ولذلك يحرم المساس بها بغير الحق .

ثم لتحديد الصلة بين الانسان والله ، وتمهيدا لطريق الوصول اليه عن طريق المعرفه لادراك كنه ذاته ، وعن طريق التربية الذاتية والروحية والسلوك القديم لمعرفة نفسه حق المعرفة.

المهم أن الاسلام الذي يفتح آفاق التفقه في الدين وما حول الدين جاء الى المغرب بآفاق ثقافية جديدة من شأنها ان تفتح الفكر في مختلف انحاء الدنيا التي دانت بالاسلام وبذلك أيضا ربط الاسلام بين المغرب وعالم بعيد لم يكن يرتبط به من قبل الا على نحو ما أراد الفاتحون من ربط المغلوب بالغالب .

الفتح العربي كان على غير هذا النسق فقد فتح العقل المغربي على عالم أوسع هو العالم الاسلامي، وعلى عقيدة اوسع هي العقيدة الاسلامية التي لا توجد في القرية فحسب ولا توجد في القطر فحسب ، ولكنها توجد حيث مر الاسلام . وهذا الانفتاح على عالم جديد للفكر فيه نصيب كبير ، حرر المواطن المغربي من عقدة الخوف من الخارج لانه يحمل معه الغزو والاستعمار وحرره من عقدة التقوقع والانكماش حفاظا على شخصيته وارضه وقريته ، وحرره الى حد ما من فكرة الانعزال القبلي .. فبدأ الدين يحل محل القبيلة او على الاقل بدأ يحطم اسوار العزلة القبلية ويعطي للمواطنة معنى جديدا كانت القبيلة الضيقة تحد منه .

والدعوة الى الاسلام نفسها دعوة الى انفتاح فكري ، فان وراء كل دعوة الى دين او مذهب تفكير في عالم آخر غير العالم الفكري الذي اعتاده الانسان. ولكن الاسلام اقترن بشيء آخر من شأنه ان يساعد على تكوين حركة ثقافية هو المسجد .. المسجد كما نعرف لم يكن في الاسلام مركز صلاة او ذكر وتعبد فحسب . ولكنه كان مدرسة للتعليم ، تعلم العلوم الدينية بالطبع ولكنه توسع في ذلك فاصبح مدرسة عامة ثم جامعة لتعليم مختلف العلوم التي يدرسها المسلمون . وقد عرفنا ان المسلمين ربطوا الاسلام بكثير من العلوم التي تتصل بأداء الشعائر الاسلامية من قريب او بعيد . وقد لعب المسجد دورا مهما في العالم الاسلامي فكان مركزا لمجالس العلماء والطلاب يدرسون فيه أول ما يدرسون التفقه في الدين وما يتصل بالدين من علوم الفكر والنظر ، وتوسع حتى أصبح مسجد القرويين — وعدد آخر من مساجد المدن والقرى — جامعة اسلامية ، تدرس فيها مختلف علوم الدين والدنيا . ونحن نعرف ان الفتح الاسلامي اقترن في اطواره المختلفة بتأسيس مراكز علمية فاتخذت المدن كتلك التي انشئت في فاس والنكور وسبتة وكذلك في طنجة واصيلا والبصرة وهي مدينة اسلامية انشئت في عهد الادارسة بالقرب من القصر الكبير .

ولم يكن الفتح الاسلامي انتقال دين من جزيرة العرب فحسب ، ولكنه كان مقترنا بهجرات عربية كما عرفنا وفي هذه الهجرات كان الفكر ينتقل ، وكان الاتصال بين المغاربة والمهاجرين يتم على نطاق واسع ، وكان هؤلاء المهاجرون يحملون معهم علما ومعرفة وتجربة فكرية . لم تكن هذه الهجرات كلها في صالح تكوين مجتمع جديد سليم مستقر ، وانما كانت في بعض الاحيان مبعث اضطرابات اجتماعية وسياسية ودينية ، ولكنها في كل ذلك كانت مبعث حركة فكرية لا يشك احد في انها حركت الفكر المغربي واعطته آفاقا جديدة لم يعهدها من قبل حتى على عهد الغزو الروماني الذي لم يفتد الفكر المغربي في شيء رغم الحضارة التي اسهم بها الرومان .

اما الركيزة الثانية وهي العربية فقد جاءت مع الاسلام ، وكانت البربرية كما عرفنا لغة الحديث والشعر والغناء ، ولكنها لم تكن لغة فكر فلم تكن لغة مكتوبة ولم تكن تستند الى ثقافة عقلية ، فلما جاءت العربية مع الاسلام كان التزاوج بين الفكر الاسلامي واللغة المكتوبة التي تعبر عنه ، كان هذا التزاوج لصالح انتشار العربية في المغرب كلغة فكر وثقافة وادارة .

وقد سارت العربية في دخولها للمغرب مسيرة الاسلام ولكن عوائق حدث دون انتشارها . من هذه العوائق الثورات التي قام بها البربر ضد العرب ؛

والتصرفات التى كان النازحون العرب من الفاتحين يقومون بها ازاء البربر حتى كان هؤلاء ينفرون منهم ويقاومونهم وفى ظروف مثل هذه لا يمكن أن تتمكن لغة العرب من البربر .

ولكن تغير العلاقات بين البربر والعرب اثناء ولاية حسان بن النعمان وموسى بن نصير وضع أمام الاسلام والعربية معا ظروفا طيبة للانتشار والانتصار فقد كان حسان من المجاهدين الذين مهدوا السبيل للغة العربية اذ أخذ يستفيد من أنظمة الحكم الاموية فدون الدواوين وجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية . وبعث عمر ابن عبد العزيز مجموعة من الفقهاء يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم فى الدين .

وموسى بن نصير نفسه رتب عددا من الفقهاء والقراء لتعليم البربر شؤون الدين وتثقيفهم بالقرآن .

وتستمر هذه الظروف فى الهجرات العربية التى وفدت على المغرب فى عهد الولاة وفى عهد ادريس . فقد كان مع طارق بن زياد نحو ثلاثمائة من العرب الى جانب جيش البربر الذي كان يتكون من اثنى عشر الفا ولاشك ان الجالية العربية التى قدمت ثلاثمائة للجيش الفاتح كانت تتكون من الآلاف . ووجود هذه الجالية الى جانب المعلمين والفقهين واختلاطها مع البربر من شأنه أن ينشر العربية كلغة خطاب الى جانب انتشارها « ولو نسبيا » عن طريق المعلمين والفقهاء وعن طريق الدواوين كلغة كتابة .

وقد قيل أن جيش طارق بن زياد ، ومعظمه من البربر كما رأينا ، فهم الخطاب البليغ الذي افضى به ليلة عبوره الى الاندلس ويستدلون بذلك على أن البربر تعلموا العربية واحسنوها . وهذه أسطورة مرتكزة على اسطورة ، فخطاب طارق الذي ترويه كتب التاريخ ببلاغته وسجعه ومحسناته البلاغية خطاب موضوع قطعا . ولو فرض أنه القى خطابا كهذا ما كان للجيش البربري أن يفهمه ولذلك فالاستدلال بهذه الاسطورة على أن العربية تمكنت من المغرب فى عهد موسى بن نصير استناد على أسطورة لاقرار حادث تاريخى غير صحيح علميا .

حينما جاء ادريس الى المغرب وفدت عليه وفود من العرب ويذكر المؤرخون أن من بينهم خمسمائة فارس من القيسية والازد ومدحج وبنى يحصب ، فقربهم واستوزر منهم عمير بن مصعب الازدي ، وعين قاضيا عامر بن محمد بن سعيد القيسى .

ثم أن ادريس أقر العربية لغة للادارة ، وكانت العربية تنتشر فى المناطق التى يوجد فيها الادارسة واتباعهم من العرب .

واهم عمل قام به الادارسة وكان منطلقا للغة العربية فى المغرب هو تأسيسهم لمدينة فاس التى اخذت طابعا اسلاميا عربيا وتأسس فيها بعد ذلك جامع القرويين الذي احتضن العربية كلغة دين وثقافة . واخذ يحج الى هذه المدينة مهاجرون من العرب وليسوا مغامرين ولا جنودا ولا تبليين ولكنهم متعلمين ومتحضرون . وقد عرفت فاس فى بداية عهدها هجرات من القيروان والاندلس فيهم ادباء وعلماء وتجار ومزارعون اثروا فى تطور الحضارة المغربية عموما ولكن اثرهم فى نشر اللغة العربية كان ولا شك كبيرا .

وقد كان فتح الاندلس من الظروف غير المواتية لانتشار العربية فى المغرب ذلك أن العرب الوافدين كانوا يمرون من المغرب ليستقروا فى الاندلس ، ولذلك كانت نسبة النازحين منهم الى الاندلس كبيرة نظرا لانها كانت مما وراء البحر . وهذه الفكرة وحدها كانت تثير مخيلة العرب وتدفع بهم الى الهجرة من المغرب، ولكن هذا العامل المضاد سرعان ما انعكس ليكون عاملا مواتيا حينما بدأ الاندلسيون يفرون الى المغرب كما قدمنا ومنهم من تعلم وحسنت ثقافته ، وكان ذلك

بداية التبادل الفكري والثقافي بين المغرب والاندلس طيلة حياة الاسلام في العدوة الشمالية للمغرب الاسلامي .

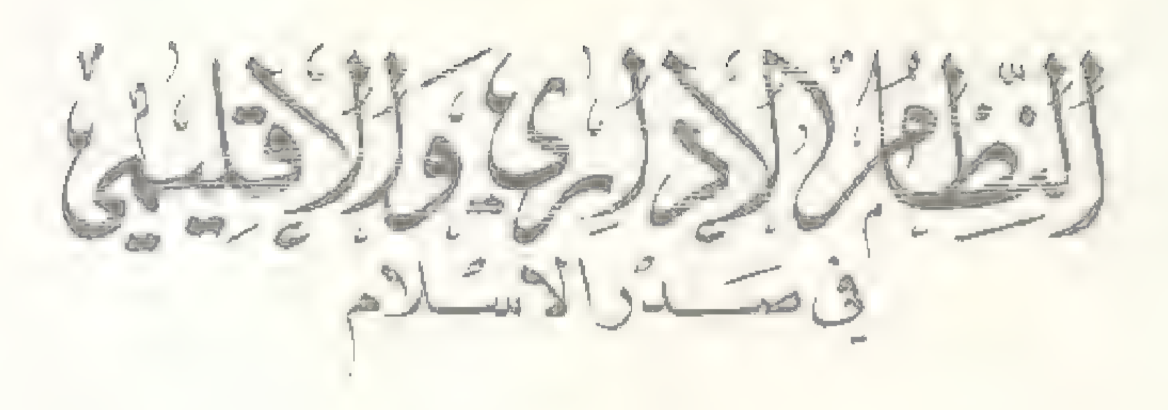
ولا نحتاج ان نتتبع مسيرة العربية في المغرب ، فليس الهدف الان هو معرفة تطور انتشار اللغة العربية في هذه البلاد ولكن الهدف هو تسجيل ما فتحته اللغة العربية امام المغرب من آفاق عقلية لم تكن لتفتح أمامه لولا العربية التي كانت لغة فكر وثقافة وعلم .

هذه الركيزة فتحت للعقلية المغربية باب المعرفة على اوسع نطاق . ويمكن ان تقول ان الاستعداد الفطري الذي عرفه الجنس المغربي المتكون من الاصول البربرية والعربية وجد منطلقه في هذه الثقافة ، وكأنه كان يبحث من قبل عن منطلق فلم يجده ، كان يبحث عن ثقافة منظمة مهتدية تعتمد على اصول جديدة وجدها في الثقافة الاسلامية المعتمدة على القرآن وعما اهتدى اليه المثقفون الاسلاميون من معرفة متصلة بالقرآن .

فقد كانت العربية رغم وجود البربرية في كثير من المناطق هي لغة الاداء الثقافي لم تمح البربرية من الحديث في جهات مختلفة ، فاحتفظ بها المغاربة كتراث يمارس فنيته ويعبر عن الحياة اليومية ، ولكن العربية كانت عندهم — حتى عند الذين يتكلمون منهم البربرية — لغة المعرفة والعلم والاداء المكتوب حتى في المعاملات اليومية . ولهذا لم يكن هناك صراع بين اللغتين احداهما على الاخرى ، ولم يكن هناك فصل بين الذين يتكلمون البربرية — وكثير منهم عرب في الاصل — وبين الذين يتكلمون العربية — وكثير منهم بربر في الاصل — وانما كان هناك تكامل وتعايش سلمي . تستعمل البربرية في كثير من المناطق في الحديث المنزلي واليومي العادي ، وتستعمل في الاداء الفني في الشعر المغنى على الاخص ، ولكنها تنحسر لتترك المكان للعربية كلما كان الامر يتعلق بعمل عقلي : بثقافة او معرفة مكتوبة او عقود وبالطبع في الامور المتعلقة بالدين والثقافة الدينية .

وما من شك في ان اللغة العربية فتحت باب المعرفة على مصراعيه اما المواطنين المغاربة فمن طريقها اتصلوا بكل التراث الاسلامي والانساني الذي عرفه المسلمون والعرب، وبطريقها نقلوا المعرفة التي ساهموا فيها الى اوروبا عن طريق الاندلس ، وعن طريقها التحمت معارفهم بمعارف المسلمين ، وعن طريقها التحمت معارفهم بمعارف الاندلسيين فانتقلت الى المغرب كل تجارب الاندلس في العلم والادب والفن مثلما انتقلت الى الاندلس كل معارف المغاربة في العلم والفن والادب . بل لم يكن هناك اي فارق في المجتمع الثقفي الاسلامي ، اذ كانت هذه اللغة هي واسطة الاتصال بين معارف الانسانية والاسلامية على السواء .

من هنا يمكن أن نقول ان الحياة العقلية بالمغرب تكونت لها شخصيتها الحقيقية بعد الفتح الاسلامي ، وكانت هذه الشخصية تعتمد على ركيزتين اساسيتين هما : الاسلام والعربية .



للدكتور ابراهيم حركات

اولا ــ التنظيم النبوي

اعتمد التنظيم الاداري للجهات والاقاليم فى صدر الاسلام على الاسس التى وضعت فى العهد النبوي مع اعتبار الاوضاع الجغرافية والبيئية للاقطار المفتوحة (مسؤولون عن الري فى المناطق الغنية بالماء ، اقطاعات الجند ، الاحتفاظ بعدد من المسؤولين الوطنيين - الخ ..) وعلى كل فان التنظيم الاقليمى فى عهد الرسول عليه السلام وفى بلد شاسع لم يكن يعرف انظمة تشريعية ولا قضائية ولا اقليمية او ادارية باستثناء اليمن تقريبا ، يمثل طفرة بالغة الاهمية فى التاريخ العربى وانجازا يثير الاعجاب فى الظروف التى نشاء فيها الاسلام .

وهكذا كانت السياسة النبوية تراعى ظروف الاقاليم فهناك جهات احتفظ بامرائها او حكامها السابقين وجهات عين عليها عمال جدد والاولى تشمل على الخصوص الجهات التى اعتنق حكامها الاسلام تلقائيا والثانية تشمل الجهات المفتوحة عنوة او التى يرى الرسول ضرورة مراقبتها وضبطها عن طريق العمال الذين يفقهون تعاليم الاسلام ، ويعينهم الرسول.

وحظيت المدينة المنورة كاول عاصمة سياسية للاسلام ، باهمية خاصة فى صدر الاسلام على الرغم من انها لم تخرج عن نطاق البساطة والاختصار فى المرافق ، وكانت فى اول الهجرة مجرد بساتين تحجز فيما بينها حوائط دون تخطيط(1) وانما بدأ تخطيطها بعد استقرار الرسول صلى الله عليه وسلم بها حيث قسم البلد احياء (2) واقطع بها الدور .

وقد عرض عليه الانصار من عقاراتهم ما يفضل عن حاجتهم لايواء المهاجرين ثم بنى مسجده بعد أن ابتاع ارضا اضافها لمسجد كان يشرف عليه سعد بن

---

1) المقدسي ، البدء والتاريخ 4 ، 177
2) ن. م. ص 179

زرارة من رؤساء الانصار (3) وادى الثمن ابو بكر لان الارض كانت ملكا ليتيمين .

ومنع الرسول قطع الاشجار من حول المدينة، والزم المخالفين بغرس كمية من الاشجار مكان كل شجرة مقطوعة (4) كما انشا سوقا رفع عنه كل ضريبة واتجه الى السكان بقوله : « هذا سوقكم لا خراج عليكم فيه (5) » على ان السوق ما لبث ان عرف نظام التعشير بعد اتساع حركة التجارة فى العهد الخليفى .

ولم تكن الحكومة النبوية تتوفر على مبان خاصة باستثناء المسجد الجامع الذي يعد مقرا لمجلس الصحابة الذين يستشيرهم الرسول ويدير مناقشاتهم، وبنفس المسجد تنعقد الاجتماعات العامة والمهرجانات الخطابية وبه تقرر الاحكام القضائية ومنه توجه الخطابات النبوية الى العمال ورؤساء الدول أو ملوكها وقد يقوم مسكن الرسول بنفس الادوار السابقة او بعضها عند الحاجة ولبيت المال مقرا بالحرم النبوي بالمدينة لا تعرف شيئا من شكله ولا عن طريقة حفظ المال به غير انه كان بسيطا بساطة المسجد النبوي وبيت الرسول نفسه .

وكثيرا ما تقرر اشياء تهم حالات خاصة او مصالح عامة اثناء تنقلات الرسول الكثيرة وكان الرسول يتولى فى آن واحد مباشرة شؤون المدينة الى جانب مهماته كرسول وقائد مجتمع ومسير نظام سياسى

ولابد ان نعرف ان الدور التربوي والاجتماعى للمدينة فى غاية الاهمية لاسيما فى حقل التعليم ونشر المعرفة على ان هذه المعرفة وذلك التعليم لا يتجاوزان النطاق الدينى بما يشمله من دراسة القرآن حفظا وفهما ودراسة احكامه وتلقى الاحاديث النبوية وتفسرات الرسول عليه السلام وكذا بعض كبار الصحابة .

وعلى كل فنحن لا نلمس فى ادارة العاصمة الاولى للاسلام اي اقتباس يذكر من الخارج فى العهد النبوي على الاقل وانما سيبدأ الاقتباس بعد احداث الدواوين فى عهد عمر والتى لها كلها صبغة مالية ، بل هى ليست فى المدينة الا ديوانا واحدا .

وقد عاش النبى اكبر فترة من حياته قبل المدينة بمكة التى كانت لها انظمة اجتماعية ودور سياسى بارز ودار ندوة هى اشبه ما تكون بمقر برلمان من حيث مهمتها التشاورية وانشاها قصى بن كلاب احد الاجداد القريبين للرسول صلى الله عليه وسلم .

وظلت قريش تجتمع بها الى عهد الهجرة غير انها كانت ملكا خاصا لبعض رجالات قريش . وانتقلت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى حكيم بن حزام بن خويلد وهو ابن أخى خديجة زوجة النبى وكان من اثرياء قريش ودخل فى الاسلام عند فتح مكة وباع دار الندوة فيما بعد الى معاوية بن سفيان لان حكيما هذا قد أمتد به العمر حتى تجاوز مائة سنة (6) . وقال له الزبير معلقا على مصير دار الندوة : « بعت مكرمة قريش » ، فاجاب : « ذهبت المكارم الا التقوى » وقيل ان عكرمة بن عامر هو الذي باعها لمعاوية ايام خلافتهفجعلها مقرا لعمالة مكة(7)

ولما كانت المدينة ملاذ المؤمنين ومهجرهم كما هى محتشد عسكري توجه منه الحملات ضد الوثنية وعباد الاصنام فقد كانت ادارتها لا تشغر بغياب الرسول قط بل كان يعين من ينوب عنه فى تسيير

---

3) بلاذري فتوح البلدان ص 12
4) ن. م. ص 17
5) ن. م. ص 24

6) ابن عبد البر استيعاب ، 1 ، 362
7) بلاذري ، ص 70

امورها وحمايتها في ايام غيابه ، وقلما يتكرر استخلاف اشخاص بذاتهم وهكذا فقد استخلف في غزوة الابواء في السنة الاولى (وقيل في الثانية) سعد بن عبادة.(8)

واستخلف في غزوة بواط في السنة الثانية السائب بن عثمان بن مظعون (9) وقيل سعد بن معاذ (10) وحسب ابن الاثير كانت غزوة بواط في السنة الاولى (11) واستخلف في غزوة السويق ابا لبابة بن المنذر وقيل انه استخلفه في غزوة بدر ايضا (12) وفي غزوة غطفان في السنة الثانية استخلف عثمان بن عفان كما استخلف ابن ام مكتوم حين خروجه الى نجران الحجاز (13) وفي غزوة العشيرة استخلف ابا سلمة بن عبد الاسد (14) كما استخلف ابن ام مكتوم في غزوة الكدر (15)

وفي السنة الرابعة اناب عنه ابن ام مكتوم خلال غزوة النضير (16) كما اناب عنه عبد الله بن رواحة وقيل عبد الله بن ابي بن سلول وفي غزوة بدر الثانية (17) .

وفي السنة الخامسة استعمل سباع بن عرفطة في غزوة دومة الجند (18) ثم ابن ام مكتوم في غزوة الخندق (الاحزاب) (19) وقد قام ابن ام مكتوم بنفس المهمة في غزوة بني قريظة (20) .

وفي السنة السادسة غزا بني المصطلق فاستعمل ابا ذر الغفاري (21) او نميلة بن عبد الله الليثي الذي استعمله في غزوة خيبر ايضا (22) .

وفي السنة الثامنة استعمل خلال فتح مكة ابا رهم (بضم الراء) كلثوم بن حصين الغفاري (23)

وفي السنة التاسعة استخلف في غزوة تبوك سباع بن عرفطة (24) وقيل محمد بن مسلمة الانصاري (25) .

ويعني هذا التنويع في الاشخاص توزيع الثقة والتعبير عن التقدير لاكثر ما يمكن من العناصر المساعدة للرسول وان كان ابن ام مكتوم اكثرهم حظوة .

اما مكة فقد عين عليها النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتحها (26) سنة 8 هـ عاملا قديرا هو عتاب بن اسيد وكان شابا لا يتجاوز العشرين الا بقليل وعرف بالزهد والورع (27) وذلك مما يؤهله لهذا المنصب في مركز هو اعظم منطقة مقدسة في الاسلام وقريش كانت تحصي الانفاس على من ولي امورها وخصص له النبي درهما يوميا كراتب وكان مع هذا معتزا بهذا المبلغ الزهيد واسند اليه في نفس السنة امارة الحج وهو اول من حصل على هذا

---

8) ابن الاثير كامل ، 2 78 ، 79 . ابن خلدون ، 2 ، 744 .
9) ابن خلدون ن. م. و ص
10) قلامي اصحاب بدر ، ص 281
11) ابن الاثير ، كامل ، 2 ، 78
12) ابن خلدون ، 2 ، 756 . قلامي اصحاب بدر ص 154 .
13) ابن خلدون 2 . 756
14) ابن الاثير كامل . 2 . 78
15) قلامي اصحاب بدر ص 100 و 281
16) ابن الاثير 2. 120
17) ابن خلدون 2. 772
18) ابن الاثير 2 . 122
19) ابن خلدون 2 . 773
20) ن . م . ص 777
21) ن. م. ص 782
22) ن. م. ص 795
23) ابن الاثير 2-163
24) ن. م. ص 190
25) اصحاب بدر ص 140
26) ابن الاثير 2-178 بلاذري فتوح ص 55
27) ابن خلدون 2 . 818

الشرف فيها عدا الرسول وفى السنة الموالية تولاها أبو بكر وكان نفوذ عتاب يشمل منطقة بني كنانة المجاورة (28) وقد ظل عتاب عاملا بمكة الى ما بعد وفاة الرسول وفى الفترات القليلة التى اقام فيها الرسول بمكة بعد الفتح تولى ادارة امورها بنفسه.

وكانت مكة ترتوي من آبار يحفرها الخواص وتمدها المياه الجوفية التى تتسرب فى باطن الارض عبر الجبال المجاورة وفيما يخص عقارات مكة فقد روى مجاهد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : مكة حرام لا يحل بيع رباعها ولا اجور بيوتها والحقيقة ان عددا من الفقهاء كمالك وأبى الزناد أجازوا استغلال دور مكة وكان المسجد الحرام بدون جدار حتى سوره الخليفة عمر فى خلافته بجدار قصير (29) وقد شهدت البقاع المقدسة ترميمات وزيادات متوالية عبر التاريخ وتضمنتها كتب عديدة .

وكانت الطائف يسكنها ثقيف وحولها جموع هوازن وبالطائف حصن كبير تجمع فيه السكان قبل انتتاحه على يد الرسول صلى الله عليه وسلم سنة 8 هـ . كذلك استقر عدد من يهود اليمن ويثرب بالمنطقة ، فوضعت عليهم (30) . الجزية وكانت بالطائف املاك عديدة للبورجوازية الصغيرة القرشية تستثمرها . وتنتج المنطقة عدة غلال كالتمر والزبيب والمزروعات واحتفظ القرشيون بأموالهم بالمنطقة التى كانت تعد من أعمال مكة (31) وعين الرسول عثمان بن ابى العاص الثقفى واليا عليها كما اقر مالك بن عوف رئيسا على قومه من هوازن بضواحى الطائف (32) ووصف عثمان بن أبى العاص بانه كان صغير السن حريصا على الاسلام والتفقه فى الدين (33) وقد كانت هوازن وثقيف من اشد القبائل عداء للاسلام قبل فتح الطائف واسلامها واشتهرت ثقيف بعمليات الربا قبل أسلامها (34) ويبدو ان ذلك من تأثير اليهود الذين كانوا يخالطونهم من عهد قديم واستمر عثمان بن ابى العاص على الطائف بعد موت الرسول ؛ ومالك بن عوف على الضواحى .

ان نظام ادارة المناطق على يد اشخاص ينتمون اليها ويحظون بثقة سكانها عمل وضع قواعده الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان تأكد من ضرورة اسناد المسؤوليات الى من يعرفون جيدا البيئة والسكان الذين ينظرون الى السلطة المركزية عامة بشيء من الريبة والحذر .

وكان على البحرين عامل فارسى هو المنذر بن ساوى الذى دخل الاسلام فاقر عاملا باسم الرسول صلى الله عليه وسلم (35) وكان جل سكان البحرين من عبد القيس وببواديها تميم المعروفون بروحهم الثورية ثم عين الرسول العلاء بن الحضرمى على المنطقة (36) واستبدله بعد ذلك بابان بن سعيد بن العاص وهو ممن قاد بعض سرايا النبى (37) صلى الله عليه وسلم وفى عمان (بالضم) كما فى اقاليم اخرى كان هناك نوع من ازدواجية السلطة فقد اقر النبى ملكيها وهما جيفر وعباد كما عين ابا زيد

---

28) ن. م. ص 859 .
29) ن. م. ص 62
30) ن. م. ص 75
31) ن. م. ص وانظر أعمال مكة والمدينة فى المسالك والممالك لابن خرادانبه
32) ابن الاثير كامل 2 ، 183
33) ن. م. ص 194 ابن خلدون 2 ، 823
34) بلاذري ص 75
35) ن. م. ص 106
36) الكامل لابن الاثير 2 - 203
37) بلاذري ص 111

الانصاري وهو احد جامعي القرآن على شؤون الصلاة والتكوين العقائدي (38) وعمرو بن العاص السهمي عاملا اداريا (39) وكان لهذا التدبير مبرر سياسي وهو قرب عمان كجارتها البحرين من فارس، اما اليمن فقد شهدت مرحلتين من التنظيم الاداري ، حيث كانت موحدة قبل الاسلام باشراف عاملها الفارسي باذان (40) ولما اسلم اقر عليها الى وفاته ، وكان الرسول حينذاك قد انصرف من حجة الوداع وكانت حضرموت المنطقة منطقة نفوذ باذان ولكي لا تصبح عمالة اليمن وراثية بعد باذان فقد عمد الرسول الى تقسيمها الى عدة مناطق (41) على كل منها عامل.

1 ــ صنعاء : شمر بن باذان وهناك اختلاف فيمن تعاقب عليها بعده (42)

2 ــ مارب ابو موسى الاشعري

3 ــ همدان : عامر بن شهر الهمذاني

4 ــ عك والاشعريين : الطاهر بن ابي هالة

5 ــ نجران : عمرو بن حزام (ابو ابن حزم) الانصاري (43)

6 ــ ما بين نجران وزمع وزبيد : خالد بن سعد بن العاص

7 ــ حضرموت : زياد بن لبيد البياضي .

8 ــ السكاسك والسكون : عكاشة بن ثور الغوثي

9 ــ كندة عبد الله بن المهاجرين بن ابي امية وكندة ليست من اليمن ولا جارتها جغرافيا ، فهي في وسط شبه الجزيرة الى الشمال ولكنها ارتبطت الجاهلية بحلف معها على ان ابن المهاجر لم يلتحق بعمله الا بعد وفاة الرسول صلى الله وسلم وذكر ابن الاثير المهاجر عوض عبد الله ابن المهاجر .

10 ــ الجند : يعلى بن امية

11 ــ جرش (بضم ففتح) وهي مخلاف بشمالي اليمن : ابو سفيان بن حرب (44)

وقد حدث بعض التغيير في العمال قبيل وفاة الرسول (45) صلى الله عليه وسلم فكان على صنعاء فيروز الديلمي ومساعده داذويه وقيس بن مكشوح المرادي وكان يتشاطرون المهام السياسية الدينية والمالية .

واحتفظت نجران برؤسائها المحليين مع منسق منهم وهو قيس بن الحصين (46) بالاضافة الى العامل الاداري الذي كانت مهمته دينية بالدرجة الاولى (47) ويعتبر مرسوم تعيين هذا العامل (وقد احتفظت المصادر بنصه) بالغة الاهمية في تحديد مسؤوليات العامل وحقوق المواطنين من مختلف الملل (48) .

واسند الرسول مهمة القضاء والشؤون الدينية بعموم اليمن الى معاذ بن جبل وكان الرسول قد كلفه في فتح مكة بالتكوين العقائدي للمسلمين الجدد (49) كذلك اسند الرسول الى معاذ مهمة جمع الصدقات (50) (الزكوات) .

ويلاحظ ان العديد من عمال اليمن انصار ، نظرا لتقارب العادات والتقاليد ومنهم عمرو بن حزام

---

(38) ابن خلدون 2 ، 884

(39) بلاذري ص 104

(40) ابن خلدون 2 ، 843

(41) ن. م. و ص

(42) بلاذري فتوح ص 93

(43) ن. م. ص 94

(44) ن. م. ص 79

(45) ابن خلدون 2 ، 859 ابن الاثير ، 2 ، 252

(46) ن. م. ص 829

(47) ن. م ص

(48) انظر النص في تاريخ ابن خلدون 2 ، 829 ــ 831

(49) ن. م. ص 818

(50) بلاذري ، ص 94 .

وزياد بن لبيد كما ان منهم عناصر يمنية كعامر بن شمر ، ومكية كخالد بن سعيد ، وكان عامل خيبر أنصاريا وهو سواد بن غزية (بضم الغين فتح (51)

ومن المناطق التى كانت تدين بالولاء للبيزنطيين واحتفظت بادارتها المحلية مع التزامها بالجزية : ايلة وهى من اعمال تبوك (52) وكان المشرف عليها يوحنا ابن روابة واذرج ومقنا وكان على دومة الجندل امير عربى مسيحى هو اكيدر بن عبد الله الكندي الذي اعتنق الاسلام على يد خالد بن الوليد (53) واحتفظ بمأموريته ثم عين الرسول عبد الرحمن بن عوف لمساندته (54) .

ومن هذا العرض عن ادارة الاقاليم فى العهد النبوي نستخلص :

1 — أن بعض التعيينات لم تتفق عليها المصادر .

2 — ان عددا من المناطق احتفظت بزعمائها او حكامها واضيف اليهم عامل للشؤون الدينية يسمى عامل الصلاة او صاحب الصلاة وقد يعين هذا العامل حتى فى الجهات التى يوجد بها عامل اداري عينه الرسول .

3 — فى المناطق الرئيسية يعين عامل آخر هو عامل الصدقة الذي يكلف باستخلاص الزكوات وصرفها فى عين المكان فى الوجوه المستحقة ويرد الباقى الى بيت المال .

ثانيـا — التنظيـم الراشـدي :

تعيين العمـال

ان تطور الاحداث السياسية واندلاع حركة الردة ثم امتداد الفتوح عبر الشام فى عهد ابى بكر جعل من الضروري احداث بعض التغييرات فى سلك الولاة بالاضافة الى احداث اقاليم جديدة فاصبح جرير بن عبد الله على نجران (55) ومعاذ بن جبل على الجند (بفتحتين) وعياض بن غنم بدومة الجندل وعبد الله ابن ثور بجرش (56) كان عليها من قبل ابو سفيان واعتبرت المناطق المفتوحة بالشام قيادات عسكرية او مقاطعات عسكرية بصفة مؤقتة وقد تقاسمها ابو عبيدة وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابى سفيان وعمرو بن العاص وكلهم بقيادة خالد (57) وسميت كل مقاطعة جندا ، فهناك جند حمص وقنسرين ، وجند الاردن الخ — (58) ويشمل كل جند مجموعة من المراكز الحضرية والقروية .

واعاد عمر بن الخطاب تنظيم الاقاليم وتشطيرها خصوصا اليمن التى عين عليها عاملا واحدا او موحدا هو يعلى بن منية المتوفى سنة 37 وقيل انه اول من أرخ المراسلات وكان يتيما من سكان مكة ، وتقلب فى مناصب ادارية (59) كما تولى ابو عبيدة بن الجراح ولاية الشام والمثنى بن حارثة بنو حي الكوفة التى تولاها بعد ذلك المغيرة بن شعبة ، وبالبصرة ابو موسى الاشعري وبحمص عمر بن سعد الخ على ان

---

(51) غلامى أصحاب بدر ص 225
(52) ابن الاثير 2 ، 191
(53) بلاذري ص 82 ابن الاثير 2 : 192
(54) أصحاب بدر ص 281
(55) طبري 4 — 51 ابن الاثير 2 ، 289
(56) ن. م. ص
(57) ن. م. ص
(58) بلاذري فتوح ص 180
(59) زركلى اعلام ج 9 وتعيين يعلى على اليمن كان من عهد عمر لا عثمان انظر ابن الاثير 2 ، 309

هناك مراكز شهدت تغيير عمالها أكثر من مرة كالكوفة والبصرة علما بطول خلافة عمر نسبيا (60) .

وتسب الى الخليفة عمر شروط طريفة فى اختيار العمال اذ كان على العامل اذا عينه :

1 — ان لا يركب البراذين
2 — ان لا يلبس الرقيق
3 — ان لا ياكل النقى
4 — ان لا يتخذ بوابا (61)

وكان عمر اشد الراشدين قسوة على العمال حيث كان يلزمهم باقصى حدود النزاهة والتقشف ولكن هذا لا يمنع من وجود حالات مخالفة (معاوية بالشام، وعمرو بن العاص بمصر الخ) .

واقتضى التوسيع الكبير فى الفتوحات تعيين المزيد من الولاة فى انحاء الامبراطورية الفارسية السابقة وكذا الجهات الشاسعة التى فتحت من الامبراطورية البزنطية وهناك عدة اقاليم يتم تجميعها أو تقسيمها حسب الظروف وتبعا لاختيارات السلطة المركزية وعلى سبيل المثال فقد ضمت قنسرين وحمص الى معاوية سنة (62) 31 هـ ثم ضمت ، اليه فلسطين فى عهد عثمان (63) لمدة سنتين الى ان عين على فلسطين علقمة بن حكيم الكنانى (64) كذلك قسمت اليمن مرة اخرى فى مرحلة لاحقة من عهد عمر فعين بها عاملان أحدهما يعلى بن منية بصنعاء ، والثانى عبد الله بن ربيعة بالجند واقر هذا التقسيم فى عهد عثمان (65) .

وقد نحى على سنة 36هـ معظم الولاة الرئيسيين الذين تركهم عثمان وعين عمالا جددا وقد تكتلت الطبقة الاموية التى كان اغلب العمال منها أو لهم صلة قرابة أو صهر بها ضد علـى .

الا أن عليا نفسه عين بعض الولاة من اقاربه كعبد الله بن عباس بالبصرة وقثم بن العباس بمكة والطائف (66) وبالمقابل لم يتردد على فى مطالبة عبد الله بن عباس باداء الحساب عن تصرفاته المالية بالبصرة حتى تخلى ابن عباس عن عمله غاضبا . ويتم تعيين العامل بعهد تولية يقرا فى مجلس عام بالمسجد الاعظم بالعاصمة ويخبر سائر الولاة التابعين للعامل بقرار الخليفة وينص العهد على التزامات العامل من شدة على العتاة ورفق بالمستضعفين وحكم بالحق واذا كانت اليه الجباية فيجب ان يباشرها طبقا للشريعة وللالتزامات الدولة ازاء الامة أو الاقليات ومن عهود التولية على سبيل المثال تولية محمد بن أبى بكر على مصر فى عهد على وهذا نصه (67) .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد عبد الله على امير المؤمنين الى محمد بن أبى بكر ، حين ولاه مصر : امره بتقوى الله والطاعة فى السر والعلانية وخوف الله عز وجل فى الغيب والمشهد وباللين على المسلمين وبالغلظة على الفاجر وبالعدل على اهل الذمة وبانصاف المظلوم وبالشدة على الظالم وبالعفو عن الناس وبالاحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين ، ويعذب المجرمين — وامره ان يدعو من قبله الى الطاعة والجماعة فان لهم فى ذلك من العاقبة وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره ولا

---

60) انظر عن تعيينات العمال فى عهد عمر : الطبري 5 ، 42 ابن الاثير 2 ، 309 و 340 و 3 و 9 و 40 ابن خلدون 2 ، 956
61) ابن قتيبة ، عيون الاخبار 1 ، 53
62) طبري 5 ، 69
63) طبري ن. ص والجزء
64) ابن الاثير 3 ، 95
65) ن. م وص وانظر تعيينات وتنقلات العمال فى عهد عثمان فى : م . س طبري 5 ، 54 ، 69 ابن خلدون 2 ، 1009 ، 1016 بلاذري ص 567 يعقوبي البلدان ص 57 .
66) ابن الاثير 3 ، 177
67) طبري 5 ، 231

يعرفون كنهه وأمره أن يجبي خراج الارض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينتقص منه ، ولا يبتدع فيه ثم يقتسمه بين أهله ، على ما كانوا يقسمون عليه من قبل وان يلين لهم جناحه وان يواسي بينهم في مجلسه ووجهه ولكن البعيد والقريب في الحق سواء وامره أن يحكم بين الناس بالحق ، وان يقوم بالقسط ولا يتبع الهوى ولا يخاف في الله عز وجل لومة لائم فان الله جل ثناؤه مع من اتقى وآثر طاعته وأمره على ما سواه .

وكتب عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرة شهر رمضان (68) » .

وكانت كتابة العهود والمراسلات الادارية في أغلبها على الرق الذي يرجع استعماله لاول مرة الى حوالى قرنين قبل الميلاد (69) .

وقد يحدث ان يطالب أهل منطقة بعزل عامل معين أو برد آخر عزل كما حدث في رد العلاء الحضرمي الى البحرين بطلب من سكانها في عهد ابي بكر (70) وقد يحدث ان تتعصب منطقة لعامل معين وان تحميه أمام السلطة المركزية وهناك ولاة كثيرون استقالوا من عملهم اما لكبر السن او صونا لكرامتهم عن المهانة فقد أصر ابو هريرة على الاستقالة من ولاية البحرين في عهد عمر الذي اتهمه من غير حجة بسرقة أموال الامة (71) ونادرا ما يرغم مرشح على قبول ولاية (72) .

وللعامل سلطة واسعة على منطقة عمله وتجد هذه السلطة تتسع تدريجيا لاسيما في عهد عثمان فالعامل هو في نفس الوقت قائد عسكري عام على منطقة عمله ان كان قادرا بها . فكان يتوسع في الفتوح وينشيء التحصينات ويقوم بالمبادرات (73) وقلما يجمع الى هذه الاختصاصات الشؤون الدينية التي يتولاها عامل مستقل (74) ونرى ان هذه الازدواجية في السلطة « زمنية وروحية » كانت أصلا بعيدا لقيام أنظمة محلية مشابهة في العصور اللاحقة(عبد الله بن ياسين ويوسف بن تاشفين عند المرابطين او عبيد الله وعبيد الله الشيعي عند الفاطميين الخ ..) ولذلك ينبغي عدم الاخذ بنظرية وحدة السلطة في النظام الاسلامي بكيفية مطلقة لاسيما في الاقاليم .

ويتميز الولاة القطريون في عامتهم بالمقدرة التنظيمية على الصعيد الاداري والسياسي فضلا عن تجربتهم العسكرية ومن العمال القطريين :

1 — عمرو بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة بمصر .

2 — ابو عبيدة بن الجراح ومعاوية بالشام .

3 — باذان ويعلى بن منية باليمن (75) .

ولم تعتبر العراق قطرا اداريا موحدا فكان لها عاملان رئيسيان احدهما بالبصرة والاخر بالكوفة ويبدو هذا التقسيم منذ عهد عمر اذ كان في الاصل مبنيا على اعتبارات عسكرية ثم هناك بطبيعة الحال ولاة تابعون لاحد العاملين ويعينون مباشرة او بموافقة

---

68) انظر نص تعيين عامل آخر على مصر هو قيس بن سعد في عهد علي : طبري 5 ، 227 .

69) 193 و 3

70) بلاذري ص 111

71) ابن قتيبة عيون 1 — 54

72) بلاذري ص 489

73) ن. م. ص 173 ابن خلدون 2 ، 947

74) بلاذري ص 192 .

75) انظر سلسلة العمال القطريين في البلاد المذكورة في : القلقشندي صبح 3 ، 419 و 5 ، 26 والمقريزي خطط 2 ، 66 . ابن الاثير كامل 3 ، 135 ابن خلدون 12 ، 1090 بلاذري ص 287

الخليفة (76) ويتولى العاملان حسب تعليمات الخليفة القيام بعمليات الفتح او التهدئة في الاقاليم الفارسية (77) .

ومن عمال الاقاليم غير العربية ربعي العنبري على سجستان (78) في عهد علي ، وصلة ابن زفر العبسي على ارمينية في عهد عثمان (79) والاحنف بن قيس بخراسان (80) .

عمال الصدقات والخراج :

لم تكن سلطة العامل (الاداري والسياسي) تمتد الى الشؤون المالية والجبائية الا في حالات نادرة تلافيا للاستغلال الشخصي للمسؤولية ولذلك سار الراشدون على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تعيين عمال خاصين بالجباية سموا بعمال الخراج وآخرون اختصوا بالصدقات اي الزكوات وربما اختلط الاختصاصان فجمعهما شخص واحد ومن اوائل عمال الصدقات في عهد ابي بكر — عمرو بن العاص على قطاعة انعليا ، والوليد بن عقبة على قطاعة السفلى (81) وتولى سعد بن ابي وقاص على صدقات هوازن في عهد عمر (82) وممن جمع بين الصدقات والعمل الاداري عتبة بن غزوان عامل البصرة في عهد عمر (83) وذلك في وقت اسندت مهمة قبض المغانم الى مسؤول آخر هو سيل بن معبد البجلي (84) ومن عمال الخراج بمصر في عهد عثمان سليمان البجيبي (85) وبالكوفة في عهد عمر : عثمان ابن حنيف (86) .

وجمع عبد الله بن عباس في البصرة بين الاشراف الاداري وقيادة الجيش والشؤون الجبائية (87) كما تولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مسؤولية الصلاة والخراج بمصر في عهد عثمان (88) ثم مسؤولية الخراج والحرب في عهد عثمان ايضا(89) وفي اول تعيين عبد الله بن عباس بالبصرة كان الخراج وبيت المال من اختصاص غيره (90) وهناك عمال خصصوا لشؤون السقي (الري) في بعض المناطق الخصبة وعلى العموم من تجميع الاختصاصات او توزيعها يخضع للظروف المكانية واحيانا لاعتبار المكانة الشخصية للعامل .

الاجراءات التاديبية :

اذا كان العمال وقادة الجيش وسائر المسؤولين يتلقون تعليمات محددة وصارمة أحيانا تصد التزام الاستقامة واعطاء كل ذي حق حقه فان انحرافهم عن هذا الاتجاه يؤدي الى تاديبهم بشتى الوسائل :

1 — التوبيخ
2 — العقاب البدني الخفيف
3 — القتل
4 — العزل
5 — مصادرة الاموال

---

76) بلاذري — فتوح ص 464
77) ن. م. ص 567
78) بلاذري ص 557
79) ن. م. ص 287
80) ن. م. ص 574
81) طبري 4 ، 29 ، 30 ابن الاثير 2 ، 276
82) كامل 2 ، 310
83) بلاذري فتوح ص 543
84) ن. م. و ص
85) - -
86) - -
87) - -
88) -
89) ابن خلدون 2 ، 1002
90) طبري 5 ، 224

وقد راينا ابا بكر نقل خالد بن الوليد من واجهة الشام الى الواجهة العراقية عقابا له على مغادرة قيادته الى شبه الجزيرة للقيام باداء شعائر الحج دون اذن سابق وان عمر عزله عن القيادة العامة بالشام ثم عن القيادة العسكرية جملة وصادر جزء من امواله بعد محاسبته (91) وعندما استقبل قادة الجيش الخليفة عمر بالشام وهم يرتدون الديباج والحرير وبخهم وعنفهم (92) ولم يتردد عمر في عزل قدامة ابن مظعون سنة 20 هـ عن ولاية البحرين وحده لشرب الخمر (93) وكان من عادته ان يلزم العمال بموافاته في موسم الحج في سنة خلافته كلها ، فيتعرف احوالهم عن كثب ، ويستمع الى ردودهم عن شكاوي المواطنين (94) ولا يراعي عمر صحابيا كبيرا ولا مسؤولا مرموقا وقد حبس ابا سفيان وقيده بقيد جاء به من نجله معاوية عامل الشام ، وهو من نماذج القيود البزنطية وذلك لان (95) معاوية اودع مالا لبيت المال فاحتفظ بالمال وتحم القيد لعمر فكان اول من قيد به حتى رد المال .

واعتاد عمر ان يلزم العمال عند توليتهم بتقديم تصريح عن ممتلكاتهم فاذا زادوا عليها من الكسب اخذ منهم الزائد او كله (96) وقليل من الدول الراقية الان يطالب فيها المرشحون للمسؤولية بتقديم تصريح من هذا النوع خارج التصريحات الخاصة بالضرائب.

ومن امثلة المصادرات التي تعرض لها العمال، مشاطرة اموال عمرو بن العاص عامل مصر فقد كتب اليه الخليفة عمر (97) انه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن لك حين وليت مصر » .

فرد عمرو بن العاص : « ان ارضنا ارض مزدرع ومتجر ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج اليه لنفقتنا ».

فعقب الخليفة : « اني قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك الي ، كتاب من قد اقلقه الاخذ بالحق وقد سؤت بك ظنا ووجهت اليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك فاطلعه طلعة واخرج اليه ما يطالبك واعفه من الغلظة عليك فانه برح الخفاء ».

وشوطر عامل مصر في امواله حسب الاجراء الذي قرره الخليفة واتخذ عمر اجراء مماثلا تجاه ابي هريرة الذي تولى عمالة البحرين بعد قدامة وعلى اثر ذلك رفض ابو هريرة العودة الى الولاية (98) .

وطالب علي بن ابي طالب عاملا له على الري باستحضار مال اخذه من الخراج فانكر اخذه ، فضربه ضربا خفيفا بالسوط ثم حبسه فتمكن من الفرار والالتحاق بمعاوية (99) .

وعندما عاد احد القواد مهزوما في اشتباك مع انصار معاوية ضربه بالسوط فغضب ولجأ الى معاوية (100) وقد كان تمرد معاوية ضد علي مفتاحا لتمرد آخرين والتحاقهم بصفوف معاوية او تضامنهم معه. وقد فسد سلوك العمال او بعضهم على الاقل من ايام عثمان ولذلك لم يكن بامكان علي ان يعود بنجاح الى سياسة الصرامة في اقصى حدودها تجاه الولاة مثلما كان الشان في عهد عمر فاخر من بقي الى جانبه واعزهم مكانة وهو عبد الله بن عباس عامل البصرة هجر منصبه نهائيا بعد ان اصبح موضع تهمة لدى الخليفة .

---

91) ابن خلدون 2 ، 956 — 957 كامل 2 ، 375
92) كامل 2 ، 348 ابن خلدون 2 ، 949
93) ن م ص 398
94) كتاب تراتيب 3371
95) ابن عبد ربه عقد 1 ، 36
96) بلاذري فتوح ، ص 307
97) بلاذري ص 307
98) ن م 112
99) ابن الاثير كامل ، 3 ، 147
100) م س ص 191

ولقد كان الراشدون محتزين تدابير ولاتهم متى انتشروا بوجاهتها (101) وتجد الحرص على مصالح السكان شغلهم الشاغل في كل التعليمات التي يوجهونها وهكذا فعند ما استقر احد الولاة بجبل الاهواز وهو منطقة وعرة كتب اليه عمر يقول (102) « بلغني انك نزلت منزلا كؤودا لا تؤتى فيه الا على مشقة فاسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد وقم في امرك على رجل (بسكون الجيم) ، تدرك الاخرة وتصف لك الدنيا ولا تدركنك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك لتذهب آخرتك » .

والتزم على في عهد تولية قيس بن سعد على مصر (103) بالعمل بما في القرآن والسنة ، وشدد على العامل في الاحسان الى المحسن والشدة على المسيء والرفق بالسكان بجميع فآتهم .

شرح عمر بوضوح مهمة العمال في خطاب القاه على جماهير المؤمنين ومما جاء فيه(104) : « انى والله ما ارسل اليكم عمالا ليضربوا ابشاركم ولا ليأخذوا اموالكم وانما ارسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الي » .

واتجه عمر الى المسؤولين بقوله : (105) لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم » .

وشبه عمر حقوق الامة تجاه المسؤول بقوم سافروا فدفعوا نفقاتهم الى رجل منهم وقالوا : انفقها علينا فليس له ان يستأثر عليكم بشيء (106) ، وهذا غاية ما تقتضيه امانة المسؤولية وكان يقول (107) : لي على كل خائن امينان الماء والطين .

وتعد البصرة والكوفة من اكثر العمالات تعرضا لتغيير الولاة تليهما منطقة البحرين (108) وكل هذه المناطق شهدت تناحر العصبيات فضلا عن شراهة بعض الولاة الى استغلال السلطة بشكل او بآخر(109) بل ان الذين اشتهروا بنزاهتهم من بين الولاة لم تبرئهم اصابع التهمة الشعبية احيانا فقد كان ابو موسى الاشعري ممن نالهم العزل عن ولاية البصرة لانه دعا المتطوعة الى جهاد المرتدين من الاكراد ورغبهم في السير على الاقدام ثم حمل هو اثقاله على اربعين بغلا وسار راكبا فاتهمه المتطوعة باستيلاء على حقوقهم وعمد عثمان الى عزله (110) والواقع ان عثمان دشن بانتهاج سيرة سابقة حتى ان اول منشور وجهه الى العمال يذكرنا بتعليمات مشابهة من عمر ومما جاء فيه (111) .

« اما بعد ، فان الله امر الائمة ان يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم ان يكونوا جباة » وقال ايضا : « الا وان أعدل السيرة ان تنظروا في امور المسلمين وفيما

---

(101) عقد فريد 1 ، 10 يعقوبي البلدان ص 82
(102) الطبري 4 ، 212
(103) الطبري 5 ، 227
(104) كامل 3 ، 30
(105) ن. م. و ص
(106) ابن قتيبة عيون 1 ، 52
(107) ن. م. ص 53
(108) انظر ابن الاثير كامل 2 ، 376 و 3 ، 9 ، 15 ، 41 ، 42 ، 52 ابن عبد ربه عقد 1 ، 10
(109) انظر مثالا من شراهة عمرو بن العاص في البلاذري فتوح ص 313 وانظر الطبري 5 ، 47 ، 48 ، 54 بشأن عزل عمال الكوفة والبصرة في عهد عثمان وانظر ايضا طبري 5 ، 61 . وصالحاني رنات 2 ، 345
(110) ابن الاثير 3 ، 49
(111) طبري 5 ، 44

عليهم فتعطوهم ما لهم وتاخذوهم عليهم ثم تثنوا بأهل الذمة فتعطوهم الذي لهم وتاخذوهم بالذي عليهم ، ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء » .

وكتب عثمان منشورين متقاربين الى كل من قادة الجيش وعمال الخراج (112)

الشرطة :

لم يكن للشرطة تنظيم خاص فى العهد النبوي ولا فى عهد ابى بكر وعمر فقد كانت مهمة الشرطة يؤديها اشخاص غير قادرين وعلى العموم فقد ظل النظام عسكريا يعتمد على حماية الجيش للامن وتنفيذه للتدابير الادارية والقضائية الى ان ظهرت الحاجة الى انشاء تنظيم خاص بالشرطة بعد عمر وهكذا فقد كان هذا الخليفة يقوم بنفسه مقام رئيس الشرطة خاصة بالليل فى المدينة حيث يقوم بجولة لمراقبة الامن ، ويصحبه مولاه او عبد الرحمن ابن عوف (113) ولكن حاجة العمال الى الشرطة على كل حال آكد من حاجة الخلفاء لان العمال اكثر احتكاكا بالسكان واقربهم الى ممارسة تنفيذ المحل واليومي للتدابير القضائية والادارية ولذلك استعانوا بمن يتولى هذه المهمة من خواصهم حتى كان عهد عثمان فاتسع نظام الشرطة ليشمل الاقاليم وهكذا فان عثمان فيما قيل أول من اتخذ الشرطة من الراشدين او على الاصح رئيس شرطة وهو عبيد الله بن قنفد (114) وكان صاحبا شرطة علي هما معقل بن قيس الرياحي ومالك بن حبيب اليربوعي (115) وكان لعلي شرطة عسكرية كبيرة العدد تدعى شرطة الخميس (116) وكانت آخر من اعترف بخلافة معاوية من مساعدي علي .

ومن أصحاب الشرطة الاقليميين عبد الرحمن ابن جبش الاسدي بالكوفة فى عهد عثمان (117) والضحاك بن قيس الهلالي بالبصرة فى عهد علي (118)

وكان صاحب الشرطة الاقليمي يعمل باشراف العامل الذي يوجد تحت تصرفه ايضا كل من ديوان الجند وجهاز الكتاب الذي لم يطلق عليه اسم خاص وتتسع سلطة العامل او تتقلص تبعا للحاجة وللظروف كما تقدم .

د. ابراهيم حركات

---

(112) ن. م. وص.
(113) مقريزي 3 ، 150
(114) عقد فريد 5 ، 34
(115) ن. م. ص 58
(116) طبري 6 ، 94
(117) صالحاني رنات المثالث والمثاني 2 ، 345 وذكر المقريزي خطط 3 ، 150 ان عبد الله بن مسعود تولى الاشراف على العسس شرطة الليل ، بالمدينة ايام عمر .
(118) ابن الاثير ، كامل ، 3 ، 181

المولد النبوي ومظاهر الاحتفال به

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

ذكر الفشتالي أن المنصـور السعدي كان يحتفل بالمولد النبوي فيصرف الرقاع الى الفقراء أرباب الذكـر على رسم الصوفية والمؤذنين النعارين في الاسحار فيأتون من كل حواضر المغرب وتطرز الشموع وتصاغ فتحمل ليلة المولد بالاطبال والابـواق والمعـازف الى الايـوان الشريف حيث يصلي المنصور الفجر فيقعد على اريكته في حلة البياض شعار الدولـة وأمامه الشمـوع الملـونة والمسك والمباخـر فيسرد الواعـظ فضائـل الـرسول ومعجزاته ومولده ورضاعه ثم المولديات ثم كلام الصوفية ونوبات المنشديـن ثم شعـراء الدولة قاضي الجماعـة الشاطبي والمفتي عبد الواحد الشريف والوزير علي بن منصور الشيظمي والكاتب أبي فارس عبدالعزيز الفشتالي ثم الكاتب محمد بن علي الفشتالي ثم الاديب محمد بن علي الهوزالي النابغة ثم الفقيه علي بن أحمد المسفيوي ثم ينشر خوان الاطعمة للاعيان ثم المساكين . (1)

وورد في (المنتقى المقصور في مآثر خلافة المنصور) لابن القاضي ان المنصور كان يستدعي الناس ايام المولد النبوي على ترتيبهم فيقرأ بعض القراء شيئا من كلام الولي الصالح محمد بن عباد ثم تقرأ الميلاديات بالحد ذكية وانشاد مقطعات الشعر (الباب الرابع) ولعل اول ما صنف في المولد كتابان لمحمد بن عمر الواقسلاتي (207 هـ/822 م) صاحب (المغازي وكتاب الفتوح) وهذان الكتابان اللذان نقل عنهما السهيلي في (روض الانف) هما (المولد النبوي) وانتقال النور النبوي (راجع جؤنة العطار . لأحمد بن الصديق بالخزانة العامة بتطوان) .

و (المولديات) قد اختص بنظمها ابن الصيرفي محمد بن القاسم بن عمر بن عبد الله المراكشي (2) وقد بدا الاحتفال بعيد المولد عام 671هـ/1272م بامر السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني وصار عيدا من الاعياد في جميع المغرب وقد تم ذلك في (صبرة) بناحية (الملوية) . وقد سبقه الى ذلك بنو العزفي اصحاب سبتـة . (3)

---

1 ـ (الاستقصا ج 3 ص 75 نقلا عن مناهل الصفا)
2 ـ الاعلام للمراكشي ج 4 ص 40 نقلا عن (نفاضـة الجراب) لابن الخطيب .
3 ـ (الاستقصا ج 2 ص 43)

وحل ابن دحية الكلبي (633 هـ / 1235 م) عام 604 هـ / 1207 م بمدينة (اربل) فاتصل بصاحبها الملك مظفر الدين وكان مولعا بالاحتفال بالمولد النبوي فصنف له كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) . (4)

وقد ذكر الحسن الوزان انه في العصر المريني كان شعراء فاس يجتمعون كل عام بمناسبة المولد النبوي وينظمون القصائد وكانوا يجتمعون كل صباح في ساحة القناصل يصعدون منصة ويلقون قصائدهم الواحد تلو الآخر امام الجماهير ويختار احسن [illegible] شعراء نظما وترتيلا اميرا للشعراء في تلك السنة وكا[illegible] ـك بني مرين يقيمون مادبة للشعراء في مدح الرسـ[illegible] ـوه السلطان وتقام منصة ويحكم الحاضرون [illegible] ـلى احسن شاعر خلعة (مائة دينار وفرس وامة مع خمسين دينارا للباقين) ولكن منذ مائة وثلاثين سنة تقريبا توقفت هذه العادة . (5)

وقد تحدث عنه احمد المقري في كتابه (روضة الآس) (طبعة 1383 ـ 1964 ص 13) في عهد المنصور السعدي واستعرض ما كان يلقى آنذاك من قصائد لكبار شعراء الدولة أمثال الشاعر عبد العزيز الفشتالي ووصف انواع الطرب وحفلات الشموع التي يطاف بها في البلد .

وكانت كراسة ابن عباد في المولد تقرأ في حضرة المنصور السعدي وقد وقع ذلك عام 1010 هـ / 1601 م (الاعلام للمراكشي نقلا عن المقري ج 2 ص 110)

وفي نفس العصر اشار الحسن بن محمد اليوريني (6) (1024 هـ / 1615 م) الى الشيخ بعث الله الاعمى المصري قاريء الموالد بدمشق .

كما اشار ابن الطيب المراكشي المعروف بالسراج في رحلته الحجازية (انيس الساري) (عام 1042 هـ / 1632 م) الى بعث رسالة سلطانية وقراءة قصيدة امام الضريح النبوي كما كان الامر في الاندلس وفي عهد المرابطين . (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 194 خ) وكان الناس يمشون في الازقة بالمديح بمناسبة المولد النبوي في سبتة في عهد المرينيين . (7) (البيان لابن عذاري ج 4 ص 486)

وكان عبد الله بن عجال امزوري يقرا نظما له في الامداح المولدية بين يدي المنصور السعدي . (7)

المولد النبوي في العهد العلوي

كتاب حول عادة العلويين في المولد النبوي لاحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج (1316هـ/1839 م) (في خزانة محمد المنوني) .. (نظام الاحتفال بالمولد في العهد العلوي) (العز والصولة لابن زيدان ج 1 ص 172) وكان المولد يقام بالمنازل كل سنة كما ورد في ترجمة الفاضل بن عبد المجيد السرغيني الذي كان يقيمه كل سنة بداره ويحضره العامة . (الاعلام للمراكشي ج 8 ص 21 (خ)

ومن المصنفات والرسائل في الموضوع

ـ (قصيده)لابراهيم بن ابي بكر بن عبد الله بن موسى التلمساني الوشقي السبتي .

ـ (مولد خير الانام) لابراهيم بن عبد الله القادر الرياحي نسخت عام 1303 هـ

(دار الكتب الوطنية بتونس ق 137 ـ س. 15)

ـ (حجة المنذرين على تنطع المنكرين) لاحمد بن عبد الواحد بن المواز (1341 هـ / 1922 م) رد بها على محمد الحجوي لنهيه عن القيام لولادة الرسول عليه السلام .

---

4 ـ (روض الانف للسهيلي ج 3 ص 281 ـ ط. بيروت)

5 Leon lAfricain Schefer T. 2 P. 131

6 ـ في تراجم الاعيان من ابناء الزمان (ج 1 ص 56) .

7 ـ (مناهل الصفا مختصر الجزء الثاني ص 221) الاستقصا ج 3 ص 75

(طبع بفاس عام 1338 م) •

ـ (المولد النبوي) لاحمد بن محمد العلمي نزيل مراكش (1358 هـ / 1939 م) (طبع بمراكش)

ـ (مورد الظمآن لشرح مولد سيد ولد عدنان) وهو شرح على مدمح أحمد الدردير لتلميذه ابن قدور المغربي محمد البزمي الاسكندري المكنى الابيض ، (وعادة أهل الاسكندرية قراءة هذه التآليف ليلة المولد) •

ـ (كمال الفرح والسرور بمولد مظهر النور) لاحمد سكيرج (طبع على الحجر بفاس في 24 ص وله ايضا (ضوء الظلام في مدح الانام)

طبع على الحجر بفاس مرتين (12 ص و 16 ص) •

ـ (اسعاف الراغبين بمولد سيد المرسلين) لعبد الصمد بن التهامي بن المحجني جسون نزيل طنجة ، (1352 هـ / 1933 م) •. (ثلاثة كراريس)

ـ (الفيوضات الوهبية في مولد خير البرية) •

ـ (نظم) في المولد لعبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن سودة

ط • على الحجر وعلى الحروف بفاس) •

ـ (ربيع القلوب في مولد النبي المحبوب) للعربي بن عبد الله التهامي الوزاني الحسني الرباطي 1339 هـ / 1920 م •

ط • على الحروف بالرباط ص 44

ـ (فتح الله في مولد خير خلق الله) لفتح الله بن ابي بكر بناني الرباطي (1353 هـ / 1934 م) (خم 2409)

ـ (مسامرة الاعلام وتنبيه العوام بكراهية القيام) (عن ذكر مولد الرسول عليه السلام) •
لمحمد العابد بن احمد بن الطالب بن سودة (1359 هـ / 1940 م) •

طبع بالجزائر (1339 هـ / 1920 م)

ـ (الدر المنظم في مولد النبي المعظم) لمحمد بن احمد اللخمي بن العزفي السبتي •
(الاسكوريال 1741) •

ـ (قصيدة رائعة في المولد النبوي) • لمحمد بن احمد الصنهاجي وزير القلم في العهد الحسني (راجع نصها في الاعلام للمراكشي ج 7 ص 63 (ط ـ الرباط) •

ـ (اليمن والاسعاد بمولد خير العباد) • لمحمد بن جعفر الكتاني

ط • بالرباط (59 ص) وعلى الحجر بفاس •

(شرح مولد سيدي محمد بن جعفر الكتاني (لم يكمل) للتهامي بن عبد القادر ابن الحداد المراكشي •

ـ (بغية الراجي بالمولد الباجي) • لمحمد بن عثمان السنوسي

(مكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس (18112) •

ـ (مولد النبي)لمحمد بن قاسم بن محمد الهاشمي الفاسي (1331هـ/1913م) •

اسمه (سعادة الامة بمولد خير الامة) •

طبع على الحجر بفاس (24 ص) •

ـ لمحمد ابن محمد الحجوجي (1370 هـ / 1950 م) اسمه (بلوغ القصد والمرام بقراءة مولد خير الانام) (طبع على الحجر بفاس في 12 ص) •

ـ (المولد النبوي) لموسى بن ابي علي الزناتي الزموري (702 هـ / 1302 م) •

(الاعلام للمراكشي ج 7 ص 299 ط• الرباط)

ـ ميمون بن علي بن عبد الخالق ابن خبازة الخطابي .. الفاسي توفي بسلا عام (637 هـ / 1240) حيث رافق اليها الرشيد الموحدي نسب الى خاله الشاعر الشهير بابن خبازة لملازمته اياه شاعر مفلق اعجوبة الدهر في سرعة البديهة عارض ابن الجوزي في بعض فصوله لبس المرقعة له قصيدة (الميمونة) في المدح النبوي (راجعها في الاعلام ص 320) وقد انشا وثيقة في بيع قلبه من ربه (ص 326) •

أزهار الرياض ج 2 ص 383 ٠٠

الاعلام للمراكشي ج 7 ص 313 ـ ط ٠ الرباط

ـ (المدخل المفيد في حكم المواليد) ٠ للحكيم المغربي يحيي بن محمد القرطبي ٠
3488 (2) (مكتبة احمد الثالث) ٠

ـ وكان الملوك يهتمون منذ العهد السعدي بالمدح النبوي خاصة بواسطة البردة والهمزية وبانت سعاد وفي عام 1200 هـ / 1785 م دشن السلطان محمد بن عبد الله اتمام بناء جامع السنة بالرباط فاقام حفلا كبيرا حضره المادحون فكان التلحين مناوبة بين اهل فاس واهل تطاوين وفرق المال على الفقهاء والطلبة والمجاهدين٠ (8)
وكان المغاربة يوجهون رسائل وقصائد يمدحون فيها الرسول عليه السلام منها (القصائد المقرية في مدح خير البرية) ٠ لاحمد بن محمد المقري التلمساني الفاسي صاحب (النفح) وذكر محمد المنوني مجموعة أمداح مغربية توجد في مكتبته واشار اليها ابو سالم العياشي الذي صنف (مجموعة قصائد على حروف المعجم من 700 بيت ٠ (9)

(الرحلة ج 1 ص 6 ـ 9 ـ 12 ـ 310 ٠

ومن هذه المدائح : ـ (البردة أو الكواكب الدرية من مدح خير البرية)للبوصيري عليها شرح لابن مرزوق التلمساني ومختصر له لشهاب الدين احمد القسطلاني

(خع = 2134 = د)

(م = ا ـ 172)

ـ (ديوان في الامداح النبوية) ٠ لابن طاهر عبد الله بن ابي الحسن بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي ٠

ـ (الوتريات من مدح افضل الكائنات) ٠لاحمد بن ابي بكر بن رشيد البغدادي ٠

(خع = 2401 = د)

(م = 1 ـ 52) ٠

ـ (ديوان المرداسي في الامداح النبوية)لحمدان بن الحاج السلمي المرداسي خم = 1003 ٠

ـ قصيدة بربرية في المدح النبوي ٠ لحمو تسمس الشاعر البربري ٠

(خم 9356) ٠

ـ قصيدة لسيدي رضوان الجنوي (خم 5779) ٠

ـ (نفائح الازهار في اطايب الاثمار)في مدح الرسول عليه السلام للسلطان مولاي عبد الحفيظ بن مولاي الحسن الاول نظمها في الحج عام 1331 / 1913 م (طبعت بالمطبعة العلمية بالمدينة المنورة (في 13 صحيفة) ٠

ـ ديوان في الامداح النبوية مرتب على حروف المعجم لعبد القادر بن عبد الله لبريس الرباطي (1332 هـ / 1914 م)

وقف عليه بوجندار (الاغتباط) ٠

ـ (السراج الوهاج في امتداح صاحب التاج والمعراج) ٠

ديوان في ثلاثة أسفار ٠ خزانة محمد داود بتطوان الجزء الثالث / دار الكتب الوطنية بتونس (ف 204 س 15) 225 م بعنوان النجم الوهاج في مدح صاحب المعراج) خع 1830

(السفر الاول) / خم 5940 ٠

---

8 ـ كتاب النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية لابن زيدان
9 ـ راجع في الانيس المعرب للعلمي (القصائد العشرة في الشرق للبقاع المطهرة) (مرتبة على حروف المعجم)
راجع مجموعة من هذه القصائد في ركب الحج المغربي لمحمد المنوني ص 44 ٠

ـ لوامع الانوار في مدح الصلاة على النبي المختار ق 204 س 15 ق 182 ـ س 15 / خم 2356 كلاهما لعبد الكريم بن عبد السلام زاكـور .

ـ (حلي نحور حـور الجنان في حظائر الرحمن). (3600 بيت) لعلي بن سليمان الدمناتي (1306 هـ / 1888 م)

ارتكب فيه غريب اللغة . (طبع بمصر ـ المطبعة الوهبية (1928 هـ / 1880 م)

ـ (مفرجة الكرب في مدح سيدي العجم والعرب) لعمر بن الحاج السعيدي خـم = 5911 .

ـ (الحلة السيرا في مدح خير الورى) . لمحمد بن جابر الهواري (780 هـ / 1378 م)

شرحها احمد بن يوسف الرعيني (779 هـ / 1377 م) . في (طراز الحلة وشفاء الغلـة) .

خع 1966 د (440 ص)

(الاصل والشرح في مكتبة ليدن (2) 29

ـ قصيدة في المدح النبـوي

لابن جزي محمد بن احمد شهيد وقعة طريف (741 هـ / 1340 م)

(خع 6992)

ـ (ديوان كبير في الامداح النبوية والصالحين والرؤساء) . للشاعر ابن داني محمد بن أحمد الندرومي

ـ (قصائد في المدح النبوي / لمحمد الطالب بن حمدون بن الحاج

ـ (لامية في المديح النبوي) لمحمد الامين بن عبد الله الحجاجـي الصحـراوي (1295 هـ / 1878 م) (خـم 6695)

ـ (ديوان في المدح النبوي) لمحمد بن محمد بن المعطي السرغيني (1329 هـ/1911 م)

(راجع نماذج منه في الاعلام للمراكشي ج 6 ص 260 (الطبعة الاولى) .

السيـرة النبويـة : صنف فيها علماء المغرب والاندلس رسائل متعددة نذكر منها :

ـ (نتيجة الخير ومزيلة الغيـر في نظم المغازي والسير) لابراهيم بن ابي بكر الوشقي السبتي (مكتبة الاسكوريال 390) .

(شرح غريب السيرة) لابن ابي الركب مصعب ابـي ذر الخشني قاضي جيان في عهد المنصـور المـوحدي (توفي بفاس عام 604 هـ / 1208 م)

(مختصر في السيرة النبوية) لابي بكر بن العربي المعافري (خم 527) .

ـ (اعذب المناهل على الشمائل) . لاحمـد بن جعفر الكتانـي .

ـ شرح على عمدة الاحكام عن سيد الانـام لعبد الغني المقدسي (600 هـ / 1203 م)

لابي العباس بن احمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي (741 هـ / 1340 م)

ويوجد شرح آخر لاحمد بن يوسف بن محمد الفاسي (1021 هـ / 1612 م)

ـ (زهرة الخمائل من روح ختم الشمائل) لاحمد بن قاسم جسوس (1331 هـ / 1912 م)

ـ (الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا) لسليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري (خـع 2313 د (م = 1 ـ 90) (الجزء الاول غير تام / ثماني نسخ في خم / طبعت قطعة صغيرة من أولـه بالجزائر عام 1931 م .

ـ (نظم الشمائل المحمدية) للسلطان عبد الحفيظ العلوي (طبع بفاس في 80 ص)

ـ تقييد على الشمائل (لم يكمل) . لعبد الرحمن بن العشاب (724هـ/1323م)

ـ (مختصر السيرة والمغازي) لابن الصغير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الانصاري اختصر فيه سيرة ابي اسحاق .

– (الروض الانف في شرح السيرة النبوية (عبد الرحمن السهيلي) تحقيق وتعليق وشرح عبد الرحمن الوكيل (دار الكتب الحديثة–القاهرة–1967) ٠ (ومعه نص السيرة لابن هشام) ٠

– (مفتاح الشفى في التعريف بحقوق المصطفى) ٠ للشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ثلاثة اسفار مات دون اتمامه وقد حاذى فيه (الشفا) للقاضي عياض توجد نسخة بالمكتبة الفاسية بفاس ٠

– (غاية الوطر في نظم ما قد حل من السير) للشيخ عبد الرحمن الفاسي المذكور ٠

– الفية السيرة لشيخ عبد الرحيم العراقي شرحها الشيخ الطيب بن عبد المجيد بن كيران ويسمى (الدرر السنية في نظم السيرة النبوية) (خم 2478د (62 ص) – خع 2064 د (513 ص)/خم 1650 ٠ 9759

– (الدرة الخطيرة في مهمة السيرة) لعبد السلام بن الطيب القادري

– (مورد الصفا في سيرة النبي والخلفا) لعبد السلام بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله خق (خزانة القرويين) = ي 52 / خم 2541

– (اختصار القاضي عياض لكتاب شرف المصطفى) لابي سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري (406 هـ / 1015 م) في ثمانية مجلدات ويسمى (شرف النبوة) ٠

– (ربيع القلوب في مولد النبي المحبوب) لابي حامد العربي بن عبد الله التهامي الوزاني طبع بالرباط (44 ص)

– (شرح الشمائل النبوية) في مجلد ضخم للعربي بن علي المشرفي المعسكري ٠

– (تحفة الاخيار على شمائل النبي المختار) ٠ لعلي بن احمد بن محمد الحريشي الفاسي خم 1695

– (تقييد على سيرة ابن هشام) ٠ لعلي بن ادريس قصارة

(خم 2207)

– (منجزات جنان الشفا في معجزات جناب المصطفى) حسبما اقتضته حروفه الاربعة (لعلي بن سليمان الدمناتي (1306 هـ / 1888 م)

(شرح فيه العلوم المستخرجة من اسمه صلى الله عليه وسلم محمد في عدة مجلدات) ٠

– تاليف النسبة النبوية (خم 5020) لابن فرحون علي بن محمد بن ابي القاسم اليعمري التونسي الذي قرا بمدينة فاس (746 هـ / 1248 م) ٠

وقد نظم مختصر اليعمري محمد بن سعيد المرغيثي وله ايضا شرح على قصيدة زهير مع تخميس لها ٠

– (نظم الدرر بابي احمد اجل البشر) في المعجزات النبوية لابي الحسن الرهوني الذي كان حيا اواسط القرن السابع الهجري) وهو رجز في 300·6 بيت قدمه لابي حفص عمر المرتضى الموحدي (خق ل 40 / 291) ٠

– (خصائص النبي صلى الله عليه وسلم) لعمر بن علي بن احمد بن محمد الواد آشي (804 هـ / 1401 م) (دار الكتب المصريه 469 (تاريخ)

– (انجح الوسائل في شرح الشمائل) لابن مخلص قاسم بن محمد (تسع نسخ في خم من 313 الى 1483)

– (مستعذب الاخبار باطيب الاخبار) لابي مدين محمد بن احمد بن محمد عبد القادر الفاسي (1181 هـ / 1767 م) وهو شرح لمختصر احمد فارس الرازي في السيرة النبوية (السلوة ج 1 ٠ ص 322) ٠
خع 1149 د / 1641 د / 1663 د

– (الوصول الى السول) في نظم سيرة ابن هشام (المجلد الاول (في 8183 بيتا) خم 1668 (الموجود منه المجلد الخامس والاخير) ٠

لفتح بن موسى بن حماد نجم الدين الجزيري القصري المغربي (663 هـ / 1265 م)

– (انجح الوسائل في شرح الشمائل) لابن مخلص قاسم بن محمد (عدة نسخ في خم (من 313 الى 1483)

المرغيثي صاحب (الممتع) وقد نظمه ولده محمد .

ـ (اشرف الوسائل برواة الشمائل) لمحمد العربي بن الطيب القادري

(منية السائل خلاصة الشمائل) لعبد الحي محمد عبد الكبير الكتاني (1382 هـ / 1962 م) خع 29 19 د خع 1929 د (م = 127 ـ 152) .

طبع على الحجر بفاس (1325 هـ / 1907 م) .

(علماء السدرة وانسابهم وابناؤهم) لمحمد بن عبد الواحد العافقي الملاحي (619 هـ/1222 م)

ـ حاشية على الشمائل لمحمد الفضيل بن الفاطمي الادريسي الزرهوني سماها (الفجر الساطع على الصحيح الجامع) .

(مطالع الانوار في شمائل المختار) لابن عتيق محمد اللاردي الغرناطي (راجع ابن عتيق) (السيرة النبوية والاعلام المحمدية) لمحمة بن عيسى بن محمد بن اصبغ ابن المناصف المتوفى بمراكش (620 هـ / 1223 م) مكتبة الكتاني / دار الكتب الوطنية بتونس (ق 58 س 15) .

ـ (شرح شمائل الترمذي) لمحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم جسوس (1182 هـ / 1768 م) ست نسخ في خع (من 552 الى 2182 في مجلد ضخم / خع 347 ك (في مجلدين) نشر بالقاهرة عام 1306 هـ / وفي بولاق عام 1296 وفي فاس وتوجد نسخة مبتورة الاول في خع (2466 د (116 ص)

ـ (عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير) لابن سيد الناس بن محمد الاشبيلي اليعمري خع 2032 د (259 ص)

الجزء الثاني فقط وتوجد نسختان اخريان في خع احداهما تامة (597 د) والاخرى فيها الجزء الثاني فقط (1289 د) طبعت بالقاهرة في جزئين 1356 هـ / 1938 م لختصرها منها خالف محمد احمد بن عبد الله الرباطي .

ـ (شرح غريب السيرة) جزءان مطبوعان لمصعب بن محمد أبي ذر بن ابي الركب الخشني دفين فاس .

البـردة :

البـردة : قصيدة الامام البوصيري في المدح النبوي تسرد في الحفلات العامة والخاصة مع الهمزية (وهي له ايضا) وكانت هذه القصيدة محط اهتمام العلماء والادباء والشعراء المغاربة الذين كتبوا عليها تعاليق وشروحا مستفيضة منها .

ـ شرح البردة لابن سليمان سعيد السملالي (882 هـ 1477 م) .
خـم 1091 / 5661 .

ـ شرح البردة لابن عطية عبد الرحمن بن محمد عبد الرحمن المديوني الشهير بالجادري موقت منار القرويين (839 هـ / 1435 م) .

ـ شرحها محمد بن علي بن محمد العدلوني الدمناتي . الاعلام للمراكشي ج 7 ص 66 ـ ط . الربـاط .

ـ شرح محمد بن المعطي بن احمد السرغيني سماه (التوشيـح) .

ـ شرح ابي حامد محمد المكي البطـاوري اسمه « نسيم الوردة في تسنيم البردة »
خـع 1819 د (م = 43 ـ 99) .

ـ (المنهل الفسيح على بردة المديح) لاحمد بن جعفر الكتاني (وهو صاحب الوتريات ايضا في الامداح النبوية والنظم العجيب في الفرح بولادة الحبيب) .

ـ شرح لاحمد بن عبد الله القصار (خم 914)
(شرح البردة سماه الجواهر السنية في شرح الكواكب الدرية) . لاحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني (1146 هـ / 1733 م) . لاحمد بن عجيبة (مكتبة تطوان (281) .

ـ شرح البردة لاحمد سكيرج سماه « الوردة على تخميس البردة » طبع على الحجر بفاس مرتين (ضوء

الظلام في مدح خير الانام) له ايضا (طبع على الحجر بفاس مرتين (في 12 ثم 16 ص) .

ـ شرح البردة لاحمد بن محمد بن الحسن بنانـي قاضي الرباط (1340 هـ / 1921 م) . سماه (اتحاف اهل المـودة) (لم يكمـل) .

ـ قصيدة في المدح النبوي لاحمد المقـري صاحب (نفح الطيـب) . خع 2173 د (م = 231 ـ 232) .

ـ (مشارق الانوار المضيئة في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية) لاحمد بن محمد بن محمد القسطلاني المدعو البطاش الرفاعي الرباطي (1256 هـ / 1840 م) . إختصر شرح الشيخ زروق على البـردة . خع 1234 د (ص = 1 ـ 172) .

ـ صلاة على النبي لاحمد بـدوي دار الكتب الوطنية بتونس (ق . 56 ـ س . 14) .

شرح البردة (في مجلد) لاسماعيل بن الامير يوسف بن الاحمر نزيل فاس (807 هـ / 1404 م)

ـ منظومة في السير على نهج البردة اشتملت على اربعة آلاف بيت لحمدون بن الحاج شرحهـا في خمسة اسفار .

ـ شرح البردة لسعيد بن سليمان السملالي الكرامي (882 هـ/1477 م) .
خع 1096 / 5661

ـ (القصيدة العقيقية بالملحون (302 من الابيات) لسعيد بن عبد الله المنداسي دفين الرتب قرب سجلماسة (خـع 1656 د)

ـ شرح البردة لسعيد بن محمد العقابي التجيبـي التلمساني (811 هـ / 1408 م)

ـ (بغيـة المستهـام في مـدح خـيـر الانـام) لعبد الرحمن بن زيدان نقيب العلويين عارض بها بردة البوصيـري شرحها محمد بن احمد العلوي قاضي فـاس (مجلدان في الخزانة الزيدانية) . و (كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج) (همزية من 300 بيت) ط. على الحجر بفاس زمن المؤلف وبتونس على الحروف شرحها محمد الفاسي بن المكي السنتيسي المكناسي . اسمها (هـداية المنـهاج في شـرح كفاية المحتـاج) (مجلدان في الخزانة الزيدانية عدد (227)

ـ تخميـس على البـردة لعبـد الرحيم بن التـازي (خع 830 د)

ـ خواص بعض ابيات بردة البوصيري لعبد السلام بن ادريس المراكشي (660 / 1262 م)
خع = 1068 د / خم 4995 / 5354
ملحق بروكلمان ج 1 ص 469

ـ شرح البردة بالدربربة لعبد الله بن يحيي الحامدي (خع 1098 د)

ـ شرحها لعبد الواحد بن عاشر في « شفاء القلـب الجريح بشرح بردة المديح »

ـ لبس البردة بمجادلات البدة (او التصيب والحظ) لعلي بن محمد السملالي السوسـي . (خم 3811) .

ـ شرح بردة البوصيري للقاسم بن ابراهيم حسين بن علي بن عبد الله الماجري . (خم ـ 3191)

ـ شرح البردة لابن مرزوق « محمد بن احمد بن محمد الحفيد اسمه « اظهار صدق المودة في شرح البردة » . جزءان في خع 1713 د مع تلخيصهما (خع 1625 د/1665 د المكتبة الوطنية بتونس 4580 م / مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية (OR 2570) خمس نسخ في خم من 1427 الى 5425 .

كشف الظنون ج 2 ص 1335 / هدية العارفين للبغدادي ج 1 ص 139 / ذيل ملحق بروكلمان / رقم 468 / 15 اختصـره شهاب الديـن احمد بن محمد بن ابي بكـر القسطلاني في (مشارق الانوار المضيئة في شرح الكواكب الدرية في مدح خير البرية) خع 2134 د (م = 1 ـ 172) (راجع ما سبق حيث يعتقد ان المقصود هو القسطلاني الـرباطـي)

– تعليق على البردة لمحمد بن عبد الواحد النظيفي سماه « تعليق مليح على بردة المديح » (طبع على الحروف بفاس) .

– تخميس البردة لمحمد بن علي الشاطبي الاندلسي البرجي (870 هـ / 1465 م) مع شرح خع 831 د

– حاشية على شرح الشيخ خالد عبد الله الازهري لمحمد بن قاسم القادري (1331 هـ / 1913 م) سماها « الكوكب اللامع الدري على شرح البردة للازهري » (طبعت بفاس)

– (الموارد الشهية في شرح البردة البوصيرية) في سفرين لمحمد بن المبارك الهشتوكي (1313 هـ / 1825 م)

– شرح قصيدة البردة للبوصيري لمحمد الالبيري ثماني نسخ في خع من 379 الى 9845

الهمزية : قصيدة قافيتها الهمزة لحمام البوصيري هو محور الامداح والسماع في عيد المولد النبوي بالمغرب وقد شرحها أو خمسها عدة شعراء مغاربة ومن هؤلاء :

– أحمد الاقطع البرنوسي له (النخبة السنية في شرح القصيدة الهمزية) خع 6622 (مبتور الاخير) .

– احمد بن جعفر الكتاني .

1) – له (الهمزية البهية في مدح خير البرية) .

2) – (الفتوحات الالاهية على الهمزية الوصيرية)

3) – (عقد الدر النفيس على شرح الهمزية للشيخ بنيس) .

– (نسيم الاذواق في تحريك الاشواق (اكثر من 100 بيت) وعزيمة في المدح لاحمد بن صالح الدرعي

– مقصورة في المديح النبوي (خع 4309) .

لاحمد بن عبد الحي الحلبي (ورد على المغرب عام 1080 هـ 1670م

هل هي (عرائس الافكار في مدائح المختار) ؟ (خع 5777)

له ايضا : 2 – (ديوان المدائح النبوية)

3 – (الحلل السندسية في مدح الشمائل المحمدية)

خع 346 د / 347 د

4 – (معراج الوصول في الصلاة على اكرم نبي ورسول)

– شرح لابن نقيرة أحمد المكناسي الرباطي (1362 هـ / 1943 م) .

– احمد بن محمد بن احمد بنيس له (انوار الكواكب الدرية في شرح همزية البوصيري) (خع = 991)

– شرحها لعبد القادر بن محمد السجلماسي (خع 8144/5068/2711)

– شرح لمحمد بن احمد الحضيكي نزيل آية آسى (1189هـ/1775م) (خع . 1658د)

– شرح لمحمد بن عبد الرحمن الصومعي التادلي

– لابن زكري محمد بن عبد الرحمن الفاسي (1144هـ / 1731م)

قصيدة عارض بها همزية البوصيري في 551 بيتا مطلعها ربنا منك للحبيب جزاء تقتضيه الارواح والاجزاء طبعت على الحجر بفاس (32 ص) (نسختان في خع 1071 د / 492 د

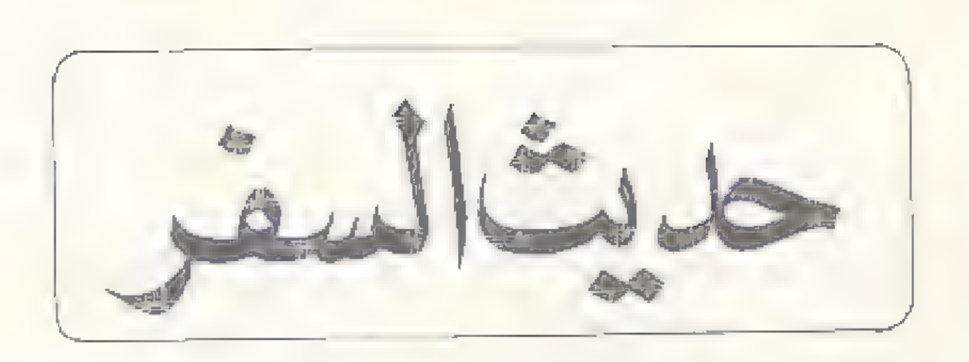
كما له شرح همزية البوصيري (خع 410) (188 ورقة) شرح في جزئين خع 1799 د

توجد ست نسخ في خع من 746 الى 8444

– شرح الهمزية لمحمد زنيبر (مكتبة تطوان (92 / 246)

— Paul Paquignon
Le Mouloud au Maroc
R. M. M. XIV (1811) (525 - 536)

— P. Ricard.
Le Mouloud à Fès; Les Aissawa
France - Maroc. 14 Mras 1917



للأستاذ محمد بن تاويت

جلس الى جانبي ، بعد ان سال عما ان كان المقعد فارغا ، ثم قدم الى شخصه ، او ذكرني ، بانه من خريجي دار الحديث ، وقد سبق ان كان من خريجي كلية الاداب بفاس ، وأستمر الحديث منه ، ولم اجد من نفسي استعدادا للمجاراة ، ثم سالته كيف تجمع كلمة « حديث » ؟ فقال على الاثر : « أحاديث » ، فقلت له : ان كان ذلك كذلك ، فهل هذا الجمع قياسيا أم شاذا ، وفوجىء بهذا السؤال ،فصار يدور في حلقة مفرغة دورانا مربكا ومرتبكا في آن . فقلت له ان الاحاديث ليست جمعا للحديث ، وبعد دوران آخر ، قلت له ان الهمزة ليست موجودة في حديث ، واضطرب حبل الكلام ، فلم يعد احدنا يفهم الآخر ، وقلت له : خير لك ان تطالع وتراجع .

« وبفعالل وشبهه انطقا
في جمع ما فوق الثلاثة ارتقى »

والحق ان الاحاديث جمع لاحدوثة ، كما قال بذلك — واطلعت عليه أخيرا وعند كتابة هذه الكلمة — الفراء - فهو كأقاصيص لاقصوصة والاعيب لالعوبة واساطير لاسطورة ، وانابيب لانبوبة ، واناشيط لانشوطة ويلحق به اناميل ، جمعا لانمول ، بدون تاء . . . وعليه فهو ليس جمعا لحديث ، كما قال من نظر له بالقاطيع جمع قطيع ، على سبيل الشذوذ، فان هذه فتلة من قائلها لا يعمل بها لما فيها من دور

وكان في الامكان ان يقال انه جمع جمع ، فما كان جمع حديث اذن ؟ قالوا انه احدثة ، مثل كثيب واكثبة، ورغيف وارغفة ، والحق ما استظهرناه فيما سلف فان افعله وان كان مطردا في نحو حديث .

« لاسم مذكر رباعي بمد
ثالث افعلة عنهم اطرد »

« أحاديث » بدون ياء في غير الضرورة كما نص على هذا سيبويه في الكتاب باعتباره من باب ما يحتمل الشعر نحو قول الفرزدق :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة
نفي الدنانير تنقاد الصيارفة

بخلاف افعال ، فيمكن ان يكون جمع على افاعيل ولا غرو ان الجمع يجمع كما انه قد يثنى نحو قوله تعالى « ذواتي اكل خمط) اذن فقد ثنى « ذوات » وهو جمع كما ترى .

ومنهم من يجعل « افعال » مفردا ، جمع بافاعيل قالوا ان افعال صيغة تختص بما يتعجب منه ، كما نقل ذلك في التاج عن السعد في حواشي الكشاف ، واختلف فيه هل هو عربي ام مولد ..

والذي يظهر لي ان افعال ، اصله جمع لفعل:

« وغير ما افعل فيه مطـــرد
من الثلاثي اسما بافعال يـــرد »

فان أريد به المفرد ، على سبيل التعجب منه، فذلك من قبيل وضع الجمع موضع المفرد للمبالغة كما قالوا في «بلد أخصاب»، مبالغة في وصفه بالخصب وهو مناط هذا التعجب الذي اوماوا اليه ، ولم يدركوا كنهه ، او لم يفصحوا عن قصته

ووضع الجمع موضع المفرد للمبالغة موجـود حتى في التركية ، فهم حينا يعظمون من شأن « ابـن سينا) مثلا ، يجمعونه ، فيقولون « ابو سينـار » والملاحظ انهم يكونه بابى — وهو ما يفعله الاوربيون الذين قلدوا الاتراك غالبا — لا بابن كما هو بالعربية وما لنا نخرج عن العربية قبل ان نذكر في هذا السبيل قول الشاعر :

« اسيلـة ابدان رقـاق خصورها
عظيمة ما التفت عليـه المـآزر

فكلمات : ابدان ، ورقاق ، وخصور ، ومآزر ، انما وردت جمعا للتعجب منها ، ولشدة وقعها في نفس الشاعر ، لا لكونها عظيمة في الواقع . وبهذا فالمسألة لا تخص صيغة بعينها ، بل الجمع مطلقا يحل محل المفرد عند الاستعظام او الاكبار او الاستعجـاب ، كرقاق وخصور ومآزر المذكورة .

ثم انجر الحديث الى العلماء ، فقلت له : مـا مفرد العلماء ، اجاب ، انه عالم —

فقلت : كلا ، بل العلماء ، مفرده « عليم » ، وفي القرآن : وفوق كل ذي علم عليم ، وهذا العليم ، هو الذي جمع في قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » فعلماء جمع عليم ، قياسا ، كما في الخلاصة.

ولكريـم وبخيـل فعلا   كذا لما ضاهيما قد جعلا

وذلك مثل لئيم ولؤماء، وحنيف وحنفاء ، ووضيع ووضعاء ، وشريف وشرفاء ، وفقير وفقراء .

فالوصف اذن ثابت ، حقه ان يؤديه الصفـة المشبهة . وهذا الاعتبار هو الذي اخذت به الفارسية مثلا ، فوجدنا اول الشاهنامة ، يقول الفردوسي : « توانا بود هركه دانا بود » معناه « يكون قديرا كل من يكون عليما »

اما عالم فيجمع الجمع السالم كما في الآيـة : « وما يعقلها الا العالمون » وكذلك « وكنا بكل شيء عالمين » « وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين » ويلحق بعليم خبير ، ولهذا قال الشاعر :

خبيـر بنـو لهب فلا تك ملغيـا
مقالة لهبي اذا الطير مـــرت

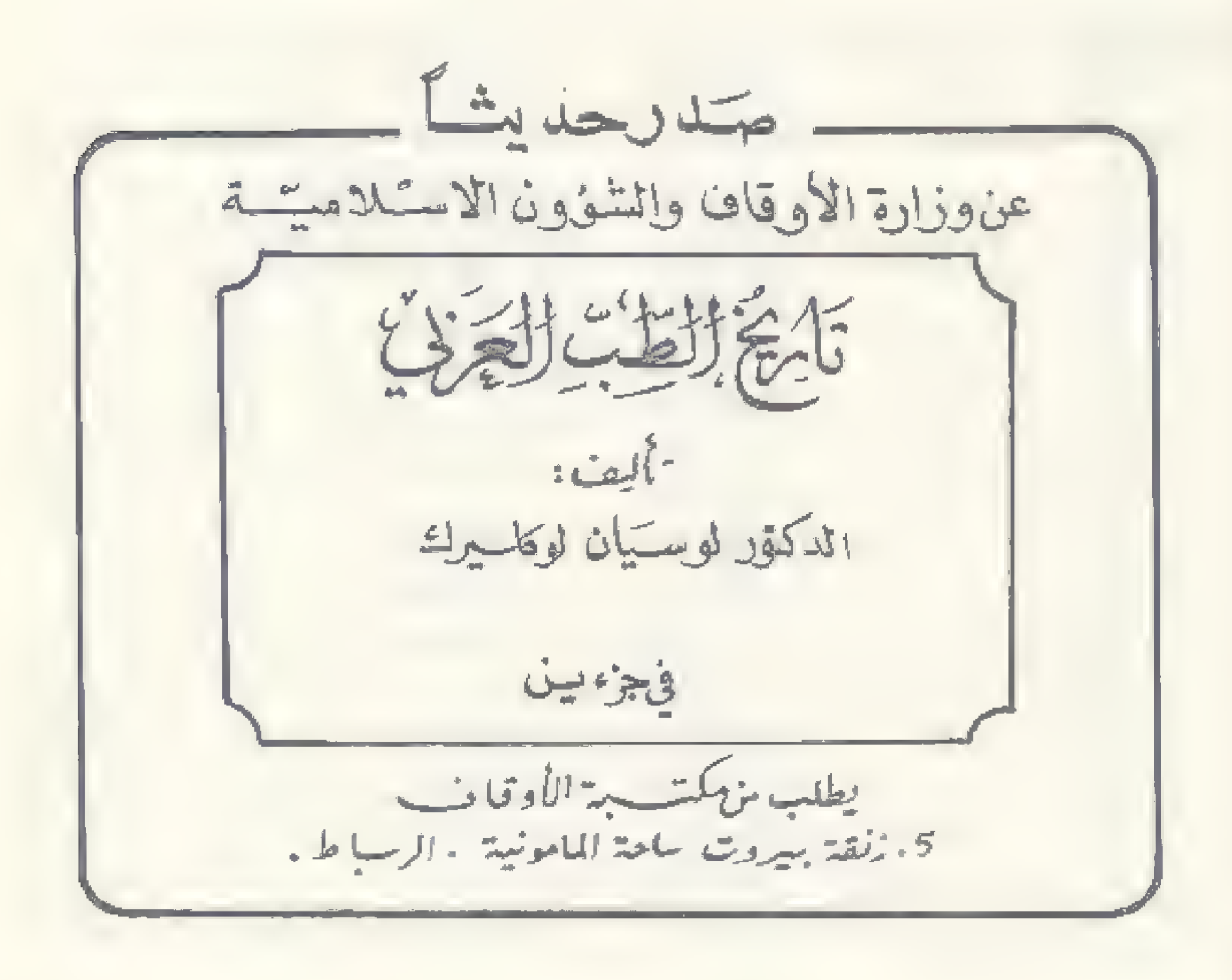
ثم انتهينا الى ما يدرس بدار الحديث ، فكان من ذلك التفسير ، وسألت : ما مهمة « لا » الثانيـة في قوله تعالى : « لا تستوي الحسنة ولا السيئة » فقال ، انها نافية ، فقلت ، كلا ، وعليك أن تتأمل وتطالـع التفاسير فيهـا ، فان « لا » هنا زائدة ، والكـلام يستقيم بعدمها ، مثل « لا يستوي اصحاب النـار واصحاب الجنة » « هل يستوي الاعمى والبصير » « لا يستوي الخبيث والطيب » « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ونحو هذا كثير في القرآن الكريـم .

اما زيادة « لا » فكما هي في قوله تعالى « ومـا يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النـور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ».

ففي هذه وجدنا عدم ذكرها اولا ، ثم ذكرت زائدة مرارا بعد ذلك ، وانما قيل بزيادة « لا » لان استوى لا تكتفي بمفرد واحد .

هذا هو الحق فيها ، ولا حاجة الى تمحك او تقدير يلفظه الذوق ويرفضه . وللزيادات مقامات بيانية ، ربما سنتعرض لها بعد ، وهي هنا على زيادتها تفيد التوكيد للنفي السابق بلا الاولى او بما يفيده كهل الاستفهامية ولا تنافي بين الزيادة والتاكيد.

واخيرا عدنا الى الحديث ،فقلت له :ما معنى «فان الدهر هو الله » فى الحديث ، اجاب بانه على حذف مضاف هو « خالق » — ناقلا عن ابن حجر كما قال — فقلت له : ان هذا التقدير باب واسع ، والله خالق كل شيء ، فهو خالق الكفار والشياطين والخبث والخبيث . والذي يظهر لى — وكنت قرات فى طور التلمذة كلاما لابى قتيبة فى غريب الحديث — ان المشاكلة فى « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » تنظر الى دافع الشتيمة ، وهو الاساءة التى نسبت الى الدهر ، فقيل لهم ان الدهر الذي يقولون عنه « وما يهلكنا الا الدهر » لا شان له وان الضر من الله ، كما ان النفع منه « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » ، فان كنتم تسبون الدهر لذلك ، فكانكم تسبون الله ، او تجنحون الى الدهرية القائلة فى الجاهلية ما قالت . وهذا التاويل لا ياباه المتعارف فى تخاطبنا الذى ينبغى أن نحتكم اليه فيصيب فى الحكم غالبا .



من أخبار الساكنين ونوادر المسكنين

للأستاذ محمد محيي الدين المشرفي

الى حدود منتصف القرن الحالي كان الناس في كثير من البلاد الاسلامية ، وفي المغرب على الاخص يخضعون في اسلوب حياتهم اليومية لنظام اجتماعي متميز ، يقضي بان تعيش الاسرة الواحدة داخل مجموعة من الافراد يتالفون من الابوين والاولاد حتى ولو كانوا متزوجين ولهم أولادهم ، كما كانت تلك الاسرة تتكون بالاضافة الى عناصرها الاولى من الجدود و الاعمام وجملة من الخدم والاعوان ، ذلك ان نظام الحياة في ذلك الزمان كان يعتمد بالاساس على التعاون والتكامل بين جميع افراد الاسرة ليتمكنوا من التغلب على مصاعب العيش ، وبالتالي من تحقيق سعادة الاسرة .

ثم لم يلبث ان دخل على هذا النظام القديم تحول اجتماعي عميق نتيجة اتصال الاسرة بالحياة العصرية ، فتغيرت من اجل ذلك احوال المعيشة بصفة عامة ، فاضطر الاولاد الكبار الى الانفصال عن اسرتهم الاولى ، وراحوا يبحثون لانفسهم ولاولادهم عن مأوى خاص يستقرون به ، فظهرت منذ ذلك الحين ما يسمى بأزمة السكن ، وهي ازمة اكتست حدة وشدة خصوصا بعد الانفجار الديموغرافي الذي عرفته بلادنا والبلدان الاخرى ، وما تبعه من هجرة اهل البادية الى المدن ، يبحثون فيها عن طرق للعيش تكون عليهم أهون واقل صعوبة من التي الفوها من قبل في باديتهم .

وحاولت السلطة في كل مكان ان تجد حلا لهذا المشكل العويص ، سالكة شتى الطرق تطبيقا لسياسة سكنية جزئية احيانا ترمي من ورائها الى انشاء مجموعات سكنية كبرى لفائدة صغار الموظفين والمستخدمين وغيرهم من ذوي الدخل المحدود ، كما فكرت في الحد من ارتفاع الاكرية ، وذلك عن طريق تحديد اجرة الكراء ، او تجميد الاكرية لمدة معينة على الاقل ، الا ان هذه التدابير لم تعط ، وبالاسف ، نتيجة لحد الآن لان الذين وضعت القضية بين ايديهم لم يهتدوا بعد الى استخلاص جذور هذا المشكل العويص، وبالتالي لم يتمكنوا من اتخاذ الوسائل العملية اللازمة التي من شانها ان تحدث حركة بنائية عارمة شاملة كفيلة بان تضع حدا للازمة الخانقة التي يشكو منها على الخصوص صغار المستهلكين ، وهكذا يبدو ان ازمة السكنى ستبقى على ما هي عليه من الصعوبة والتعقيد ، وسيظل المشكل كما كان ، متدحرجا بين

ارباب الاملاك والساكنين : مشاكسات ، ومعاكسات ومقابلات امام المحاكم دون جدوى ، وتنافر وتناحر بين من يستغل ملكه بالكراء ربحا لقوته اليومي ، ومن يستأجر ذلك المكان لفائدته الخاصة بثمن مناسب او غير مناسب ٠

وليست المشاكل المتولدة عن ازمة السكنى ، وما تثيره قضية الاملاك بين الساكنين والمسكنين وليدة اليوم او الا . . فقد سبق للادباء ان نقلوا الينا في كتاباتهم اخبارا كثيرة عن الملاكين ، وساقوا لنا نوادرهم مع الذين تعاقدوا معهم قصد استئجار املاكهم ، وهذه الاخبار والنوادر كثيرا ما تكون رائقة شيقة ، تمتاز بالطرافة والفكاهة خاصة اذا ما اقترنت باخبار البخلاء ، ذلك ان في كثير من الاحيان يكون صاحب الملك موصوفا بالشح والبخل والتقتير حتى على نفسه وعلى ذويه ٠

وهذه الاخبار كثيرة متنوعة تتنوع الاشخاص و الاجناس ، وما زال الناس الى اليوم يروونها ويتندرون بها كما لو كانوا يريدون أن يعطونا الدليل على قسوة الملاكين ، وتسلطهم على المكترين ، يبتزون اموالهم ـ حسب زعمهم ـ بطرق لا توجد فيها شفقة ولا رحمة ٠

وهذا الجاحظ صاحب النكتة الطيبة ، المطبوع على السخرية والتهكم ، يروي لنا في كتاب « البخلاء » نبذة طريفة لطيفة من اخبار الملاكين مع ما كان ينشا بينهم وبين المكترين من مشاحنات وخصومات و مناظرات رقيقة ، اقل ما يقال عنها انها دليل على فطنة الملاكين وذكاء المسكنين ٠

والذي نريد تسجيله في هذا المقام بالنسبة للفئة التي نحن بصدد التحدث عنها هو ان العلل والدواعي التي كان الملاكون يستمدونها في الزمان القديم للتخلص من المكترين او التضييق بهم على الاقل هي علل ودواع متنوعة مبتكرة شيقة تنم في كثير من الاحيان عن دراية بطبائع المكترين ، او هي تعطي الدليل على قلة اهتمامهم بمصالح اصحاب المنازل التي يستاجرونها واليكم على سبيل التندر والاستمتاع فقط نبذة من هذه الاخبار والعلل التي يعتمدها الملاكون في احتجاجهم على سوء تصرف المكترين ٠

جاء في كتاب « البخلاء » الآنف الذكر (1) ان جماعة من الناس نزلت بدار احدهم اسمه « الكندي » لمدة سنة كاملة على اساس ان يدفعوا له كراء معينا مع التزامهم بشروط اخرى منها ان يكون له ، أي لصاحب الملك ، روث الدابة ، وبعر الشاة ، ونشوار العلوفة ، والا يلقوا ، أي الذين تحملوا كراء المنزل عظما ولا يخرجوا كساحة، وان يكون له نوى التمر وقشور الرمان والغرفة من كل قدر تطبخ للحبلى في بيته ، ذلك انه كان من عادة الكندي ان يدخل على الساكن في بيته ، فيخبره بان في داره حاملا ، وان الحامل ربما اسقطت مما يصل اليها من ريح قدر طيبة عند المكتري ، فيسأله : « اذا ما طبختم ، فردوا شهوة الحامل بلعقة او غرفة » ، فيجتمع له بسبب ذلك الوان من الطعام ٠ وكان الكندي يقول لاهله : « انتم احسن حالا من ارباب هذه القطاع الواردة عليكم من المكترين ، انما لكل بيت منهم لون واحد ، وانتم عندكم الوان » ٠ ثم حدث «لمبد» وهو الذي كان قد اكترى منزل الكندي لسكناه لمدة عام مع اهله وذويه قدم عليه ابن عم له مع ولده ، واذا بصاحب المنزل يخاف على داره من اكتظاظها بمن نزل بها من القوم ، بالاضافة الى شخصين اثنين لم يكونا في الحسبان : فيبعث الى المكتري في الحين برقعة يقول له فيها : « ان كان مقام هذين القادمين ليلة او ليلتين احتملنا ذلك ، وان كنت اعلم ان اسكان الضيفين لمدة ليلة واحدة من شانه ان يطمع السكان في استضافتهما لمدة ليال متعددة ٠٠٠ »

---

1) البخلاء : للجاحظ ، كتاب في جزء واحد صور فيه الكاتب اخلاق البخلاء اصحاب الجمع والمنع كما يقول ، وطرقهم في الحرص والاقتصاد : تحقيق وتقديم المحامي « فوزي عطوي » طبع الشركة اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع سنة 1969 ٠

فلما أخبره « معبد » بأن مقام الزائرين قد لا يتعدى الشهر او الشهرين ، وهو ما كان يتخوف منه صاحب المنزل ، كتب اليه الكنــحي مذكرة مطولة تمتاز بقوة السبك ومتانة الاسلوب في تعداد الاسباب التي دعته ، والحالة ما ذكر ، الى مطالبة الساكن بالزيادة في اجرة الكراء قائلا : « بما ان الدار مكراة لكم بثلاثين درهما للقائمين بها وهم ستة ، على اساس خمسة دراهم للنفر .. فان الكراء سيصبح ان شاء الله اربعين درهما اعتبارا لاضافة ابن العم وولده » . فيجيبه المكتري بجواب لطيف قائلا : « وما يضرك من مقامهما ، وثقل ابدانهما على الارض التي تحمل الجبال وثقل شؤونهما علي دونك » . ثم يطلب منه ان يبدي له الأعذار التي تبرر الزيادة المطلوبة في الكراء ، وهو لا يدري انه سيقع في ما وقع فيه ، وانه سيجر عليه ما كان من جواب الملاك حيث كتب اليه يقول : « ان الدواعي التي حملتني على ان اطالبك بما طالبت به لكثيرة متعددة معروفة عند أصحاب المعرفة والفهم والادراك ، وسأذكر لك فيما يلي بعضها على سبيل الاشارة فحسب ، فمنها امتلاء البالوعة وما يترتب عن ذلك من نفقات في افراغها وتنقيتها ومنها انقلاع الجص من ظهر البيوت ، وانتشار الطين من فوق السطوح ، وكل ذلك نتيجة لكثرة المشي بتعدد الاقدام . يضاف الى ما تقدم تشقق العتبات وضعضعة الابواب والمرام وزحزحتها عن اماكنها من كثرة الدخول والخروج ، والاغلاق والاقفال ، ومعلوم انه متى كثر الصبيان — وهذا ما تتصف به الاسر المتعددة الافراد — نزعت المسامير من الابواب ، وفكت كل رزة في الارض ، ومن طبيعة الاطفال ان يهشموا البلاط ويتنقلوا كل شيء من البيت . ويتبع ذلك بالطبع تخريب الحيطان نتيجة دق المسامير والاوتاد » . ثم يضيف صاحب المنزل الظريف هذا الى الاعذار السابقة ، فيقول : « ثم ان كثرة العيال والزوار والضيوف تحمل الساكن على استغلال اوان متعددة لحفظ المياه كالجرات والخوابي وغيرها ، ومعلوم ان الحيطان يتآكل اسفلها بسرعة وتتناثر اعلاها ويتردى اساسها فيتداعى البنيان برمته نتيجة للاستعمال المياه بكثرة مع سوء تدبيرها ، ثم أن مع كثرة العيال تكون الاسرة في حاجة الى الخبيز والطبيخ والتسخين وايقاد النيران في كل وقت ، والنار ، كما تعلمون ، لا تبقي ولا تذر ، وقد يمتد لهيبها بسبب الاهمال ، فتقضي على المنزل وعلى المنازل المجاورة » .

وبعد هذا العرض الطويل يتساءل صاحب المنزل عما يمكن ان يحدث اذا ما خطر ببال المكتري — ولا يبعد أن يتبادر ذلك الى ذهنه — استخدام السطوح عوضا عن الاماكن الارضية مطبخا او مستودعا يخبىء فيه ما يحلو له من مال يخاف عليه ، أو مكاتيب سرية لا يريد ان يطلع عليها الغير ، أو ضيف مستخف الى غير ذلك مما قد يعرض المكتري الى امتحان عسير اذا ما افتضحت تلك الاسرار ، ثم ما يكون حاله لو تسبب هناك حريق ، وكان ذلك سببا لتعرض الحرم لاهل الفساد ، وهجوم على كنز مدفون ، او ضيف مستخف ؟ أفلا يقدر المكترون هذه العواقب كلها نتيجة سوء تصرفهم في أملاك الغير ؟ هذا والله يبعثنا نحن الملاكين على كثير من العجب والاستغراب ... » .

ثم يقول هذا الملاك الذي يمكن ان نصفه بالفطنة و الذكاء : « ومن عيوبكم — معشر المكترين — انكم تدافعون بالكراء ، وتماطلون بالاداء حتى اذا اجتمعت عليكم اشهر عدة اطلقتم سيقانكم للريح ، فاوين فرار الارانب اذا ما طاردها الصيادون وتركتم ارباب المنازل حيارى ، جياعا ، يتندمون على ما كان من حسن تقاضيهم واحسانهم ، وكان جزاء ذلك انقطاع حقوقهم والذهاب باقواتهم » . ثم انه يفيض في ذكر مثالب المكترين وتعداد مساوىء الساكنين ، متحدثا عن الدار التي وافق على اكرائها منذ حين فيقول : « ويسكنها الساكن حين يسكنها ، وقد كنسناها ونظفناها لتحسن في اعين المستأجر ، فاذا خرج منها ترك فيها مزبلة وخرابا ، لا يصلحه الا النفقة الموجعة ! ثم ان المكتري متى رحل باهله وذويه لا يدع في البيت شيئا الا اخذه وسرقه من مسامير و سلالم وجرات وبرادات ، اما ما يتركه في الدار فهو اثر دق المسامير والاوتاد في كل مكان دون مبالاة بالآجر الذي فرشت به الارض ، كما انه لا يعبأ

موجـود صخرة وضعناها جانبـا ليدق عليها المكتـري ما هو في حاجة اليه . فلم هذا التهاون وعلام هذه القسوة وهذا الغـش ؟ فانت ترى ان المكتري يستحـل كل مكان في المنزل ليقوم بما يشاء ولا ينظـر الى النفقات التـي يتحملهـا صاحب البيت ، ولا يستغفر اللـه فيما يفعل ، ومع ذلك فهو يستكثـر من نفسـه اخراج عشـرة دراهم في السنـة كراء ، ولا يستكثر من رب المنزل الف دينار في الشهـر ... الا يذكر ما يصل الينا مع قلته ولا يذكر ما يصل اليـه مع كثرته ؟ ومعنى هذا كله ـ حفظك الله ورعـاك ـ هو ان الدور تبلى وتهـدم في القريـب او البعيـد ، والساكن فيهـا هو المتمتـع بها والمنتفـع بمرافقها . فاذا فيس الغـرم الذي يتحمله الملاك عنـد انهدامها لاعادتها كما كانت وترميمها بما اخده من اجرة كراء خرج على المسكن من الخسـران بقدر ما حصـل للساكـن من الربح ، مع الملاحظة ان الدراهم التي اخرجها صاحب الملك كانت جملة بينما التـي اخذها على جهـة الغلة كانت متقطعـة ... وهناك ما هو ادهى وامر على ارباب الاملاك ، الا وهو بعض الساكنين لنا بصفة دائمة على محبتنا وتقديرنا لهم ، ذلك ان المسكـن يتمنى ان يكون الساكـن متمتعـا بصحـة جيدة على الدوام ، وان تنفق سوقه ان كان تاجرا ، او تتحرك صناعته ان كان صانعا لما في ذلك من اطمئنانه على تسلم غلته كاملـة في الاجل المحدد ، ولربما تمكن من الحصول على زيادة في اجرة الكراء بسبب نفاق التجارة وتحرك الصناعة اذا كان المكتري طيبا ممن يتفهمون الظروف ، ويقدرون احوال المعيشة ، اما الساكنون ، حفظك الله ورعـاك كيف يشاء ، ان شاء شغلهم بعيبهم وان شاء بزمنهم .. فالمعروف عنهم ان غايتهم ان يشغل الله عنهم المسكنين وان شاء بحبس وان شاء بموت ، فمدار منى الساكن وغاية منتهاه ، ان يشغل عنه المسكن حتى لا يعود يلح عليه في استخلاص الكراء ، ومن المكترين من لا يتذمر من شيء قدر تذمره من صرف ثمن الكراء المترتب عليه في كل شهر ، ومنهم من اذا فترت صناعته او كسدت تجارته يرى من الضروري ان يختفي عنه صاحب الملك من مهمة الكراء ، اما اذا نفقت تجارته او تحركت صناعته فانه لا يرى مع ذلك واجبا للزيادة في اجرة الكـراء ... »

واما عن طرق التعامل السائدة في القديم بين الملاكين والساكنين، ومعاملة هؤلاء للوسطاء المكلفين بقبض الاكرية للملاكين في هذا الباب نوادر واخبار طريفة هي الاخرى لابد من ذكر بعضها على سبيل التسلية فحسب ، وان كانت تخرج احيانا عن حدود الادب والحشمة . يقول صاحب الوثيقة التي نحن بصددها ما مؤداه : « اما اجرة الكراء فان كانت صحاحا دفع الساكن اكثرها مقطعة وان كانت انصافا وارباعا دفعها قراضة مفتتة ، ثم انه لا يترك حيلة الا استخدمها للنيل من صاحب المنزل ، فيحاول ان يدفع له الدرهم المغشوش حتى اذا تفطن الى الحيلة واراد ان يرد اليه القطعة الزائفة حلف بالايمان انه لم يرها قط ولا كانت يوما في ملكه وان كان الرسول المكلف بقبض الكراء جارية صاحب المنزل حاول ان يغرر بها ، ويحملها على الخلاعة والفساد ومما يرمى به المكترون اتخاذهم دور السكنى للخلاعة ، فيجعلون من يصنع اسبوب منه لتحويلها والمكوث بها لدى مليلة حتى اذا قضوا بها حاجاتهـم ردوا المفتاح لصاحبه ، ورب ساكن استاجر بيتا جنب سجن لينقب اليه ، او الى جنب صراف لينقب عليه نظرا لما يوفر عليه البيت المحجوز من طول مهلة وما يحققه له من تستر قبل قيامه بعملية السطو على ما للصراف ! وربمـا ـ وهذا اشنع واقطع ـ اكتريت دار من طرف احدهم ليقـوم بعمل شنيع كقتل نفس في الدار التي اكتراها ، ويحمل ذلك العمل ارباب السلطة على اكتساح المنـزل المذكـور وهدمه عن آخره ، فتكون الخسارة الكبرى على صاحب المنزل ، ثم يقول : « وخلاصة القول ممن دفع دارا الى غيره برسم الكراء فهو اسـد الناس اغترارا بالناس ، وهذه الخصال التي ذكرتها لك وتوسعت في تبسيطها هي التي اهلكت اصول اموالنا نحن الملاكين ، ونغصت علينا مستكاننا ، وحطت من غلات بيوتنا ، وهذا الذي جعل عبد الله بن الحسن يقول قولته الشهيرة فيما يتعلق بمردود الاملاك : غلة الدار مسكة ، وغلة النخل كفاف ، وانما الغلة غلة الزرع والضروع » .

الساكنين ، فيقول : « ومما يؤخذ على المكترين قولهم ان نزول دار الكراء أصوب من نزول دار الشراء ، لان من اشترى دارا فقد صار بها ممتحنا وبثمنها مرتهنا ، ان غاب عنها حن اليها وان اقام فيها زمته للصاريف والنفقات ، وربما كانت بعيدة عن المصلى او السوق ، فيبدو له انه أساء الاختيار حين آثرها على غيرها ، ومن كان كذلك فهو عبد داره ‥ أما صاحب الكراء فهو مخير في انتقاء الدار التي يريد ، فكل دار فهي له يستطيع ان تكون له متنزها أو متجرا أو مسكنا ان شاء ذلك ، لا يتحمل فيها ذلا ولا هوانا ، بينما صاحب الشراء قد يتحمل الشدائد مع الجيران ويشرب كاس الغيظ بسبب ما يحصل له من مشاكسات ومخالفات معهم فيضطر الى الصبر واحتمال الهوان ، وان كان ذا نفس ابية عالية ‥ ثم ان المكترين يقولون : ان مال الشراء يخرج دفعة واحدة فيترك ثلمة في جيب صاحبه واسعة ، مثلها مثل المصيبة اذا نزلت كانت ضربة قاضية بما انها جاءت غامرة للقوى ‥

أما دفع الكراء مقسطا فقد يقاسي بالشدائد اذا نزلت متقطعة متفرقة ، لا يكترث لها ولا يعبأ بها ، ويزعم المكترون – ولهم الحق فيما يزعمون – ان انفاق ثمن الدار في التجارة أربح واجلب للغنم ، ومن ثم تراهم يحثون الناس على الكراء لما يترتب عن ذلك من الزيادة في النماء حسب قولهم ، بينما هم في الواقع يهدفون بتحريضهم الناس على الكراء دون الشراء الى الحاق البوار والكساد بالاملاك في يد اصحابها ، ومما لاشك فيه ان كساد الاملاك خسران في أصل الاموال بالنسبة للملاكين جميعا » ‥

الدامغة متوجها الى الساكنين جملة بقوله : « هذه الخصال المذمومة كلها فيكم ، وكلها حجة عليكم ، بل كلها داعية الى تهمتكم واخذ الحذر منكم ، فليست لكم ، والله خصلة محمودة ، ولا خصلة فيما بيننا وبينكم مرضية مقبولة » ‥ ثم يضيف : وقد اريناكم ان حكم الساكنين كحكم المقيمين ، ولذا تقرر ان كل زيادة في الانفس لها نصيب من الغلة ، ولو لم انفصل لك ، يا ابن العم ، هذه الاسباب والخصال لحملت نفسي على ان اقاسمك رأيك في ان كراء الواحد يصير ككراء الالف ، ولو تغافلت عن ان اعرفك ما عليك بسبب زيادة شخصين في عدد الساكنين لذهب اذ ذاك الاحسان اليك باطلا حيث انك لم تعد ترى للزيادة معنى ولا قدرا » ‥

وبعد ، فواضح من خلال هذه النوادر والحجج التي تذرع بها الكندي ، وهو يدافع عن حقوقه المادية المشروعة ان المشاكل التي تواجه الملاكين المكترين في كل زمان ومكان بقيت كما كانت من قبل لم تتغير ولم تتبدل منذ أن خلق الله الانسان وقدر له ان يعيش داخل مجتمع متمدن متحضر ، كما أن النزعة الطبيعية التي تدفعه الى حب البقاء هي التي جعلته يسعى بكل وسيلة للمحافظة على مصلحته الخاصة حتى ولو ادى به ذلك الى استغلال مصالح غيره ، ومن أجل ذلك كانت التعاليم الاسلامية وما تزال تهدف بالاساس الى تطهير النفس مما علق بها من عوارض البخل والحسد والشح رجاء خلق مجتمع متحرر بالمعنى الصحيح يسود فيه التعاون والتكامل المنشود من أجل سعادة كافة افراد هذا المجتمع الصالح ‥

من وحي القرن الماضي

للدكتور عبد الله العمراني

في شهر ربيع النبوي الثالث ، حلت الذكرى 1470 لميلاد محمد بن عبد الله عليه افضل صلاة وازكى تسليم ، وفيه ايضا تكون قد مرت على هجرته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة اربعمائة والف من السنين ، حسب التقويم الهجري المعمول به لدى امم الاسلام ، ولا ريب أن حادثة الهجرة النبوية تكتسي اهمية بالغة تجعلها تحتل — في راينا — المكانة الثالثة بعد حادث الميلاد السعيد ، وحادثة البعثة النبوية الشريفة ، والواقع ان هذه الاحداث الثلاثة كانت متكاملة فيما بينها ، فلولا الميلاد لما كانت البعثة ، ولولا هذه لما كانت الهجرة ، ولولا هذه لما نجحت الدعوة المحمدية ذلكم النجاح الرائع الذي قلب ميزان القوى في المنطقة وفي العالم راسا على عقب ، وقاد البشرية الضالة ، وهداها الى سواء السبيل ، واخذ بيدها منقذا لها من ظلمات الجهل والتعصب والحيف والظلم ، الى نور الحلم والتسامح والانصاف والعدل.

ما اجدر المسلمين — وهم يحتفلون باعياد المولد والهجرة ويهتمون بتتبع مراحل تاريخهم الطويل الحافل — ان يستلهموا من صفحاته امجادا لهم سالفة ، ومن نكساته الماضية — ولكل جواد كبوة — دروسا وعظات ووثبات لهم جديدة فوق معارج التقدم والرقي والرفعة والعظمة !

ما اجدر المسلمين بتحرير تاريخهم بتسلسل ومنهجية جديدة ! وما اقمنهم بتنقيته من شوائب ومغامز حاول بها خصوم الاسلام ان يشوهوا وجهه الصبوح في فترات انتابت ابناءه فيها الوان من الضعف والخضوع والتبعية السياسية ! ! عمل جسيم كهذا ، قد ينوء بحمله كاهل الامة جمعاء ، ناهيك بكاهل فرد او هيئة او عصبة اولي قوة .

■ السنة بعشر امثالها :

في اعقاب استرجاع المغرب لاستقلاله السياسي ضمني ودبلوماسيا اجنبيا ومستعربا انكليزيا مجلس تطرق الحديث اثناءه الى ثورة الملك والشعب ، فما كان من الدبلوماسي المحنك الا ان قال معقبا على تلك الثورة : ان حوادث الخمس سنوات الاخيرة ، لتمثل كثافتها وعمقها تاريخ نصف قرن من الزمان !

اجل ، هو ذاك ! اننا لو تأملنا وانعمنا النظر في حوادث التاريخ — تاريخ الشعب المغربي خاصة — بمثل هذا المستوى من التوسع والدقة ، لالفينا أن السنة بعشر امثالها حقا ، وان المائة بمثابة الالف ، وان حقبة العرش المغربي الاسلامي منذ اسسه مولاي ادريس الاول سنة 172 هـ لتتسع وترحب لتغطي مسافة زمنية تبلغ حسب مقياس هذا الديبلوماسي ثمانين ومائتين واثنى عشر الفا من السنين !

ان التصدي للكتابة عن فترة تاريخية — مهما قصرت — يتطلب من الكاتب كثيرا من التبصر والتأني وطول الاناة والصبر ، بل يتطلب منه ان يكون مثل ذلكم الصوفي الزاهد الذي درج على محاسبة نفسه كل يوم في زلف من الليل ، على ما كسبته يداه طرفي النهار !

لعل سلوك هذا المسلك الطويل ، الكثير الالتواء المليء بالاشواك ، يصعب مناله ، ان لم يكن مستحيل التنفيذ ، لعدة اعتبارات يضيق المجال عن ذكرها الآن لذا ، تمكن الاستعاضة عنه بسلوك منهجية جديدة تمكن من تفادي تلك الصعوبة ، وتجنب هذه الاستحالة ، وتكتفي بالاشارة فقط الى ما اوحى به انصرام القرن الهجري من بعض ارتسامات على ملامح من وجه التاريخ المغربي المعاصر .

■ لعبة الامتيازات :

اصطلاح الامتيازات الاجنبية ، يطلق على تلك الفوائد والمزايا التجارية او الاقتصادية او السياسية التي كانت تحصل عليها بعض الدول الاستعمارية طوعا او كرها ، رغبا او رهبا ، فتجعل لها الحظوة والمكانة الفضلى لدى دول مستضعفة كالامبراطورية العثمانية (الرجل المريض في الشرق) والامبراطورية المغربية (الرجل المريض في الغرب) على حد تعبير بعض المؤرخين الغربيين .

واذا كانت أعمال العقلاء تصان عن العشوائية او العبث ، وكانت المقدمات غالبا ما تؤدي الى نتائجها المرجوة ، وعواقبها المتوخاة ، امكننا ان نلاحظ ان هذه الامتيازات جاءت وليدة حركة الكشوف الجغرافية الحديثة ، وهذه نتجت عن نمو الملاحة البحرية وروح المغامرة لدى الشعوب البحرية الاوروبية ، وهذه بدورها كانت ثمرة حروب «الاسترداد» التي تمكنت في اعقابها دولتا شبه جزيرة ايبريا من طرد المسلمين من فردوسهم المفقود.

ان ازدهار الملاحة ايقظ في نفوس الاوروبيين بواعث الجشع التجاري ، وكشف فيهم كوامن الطمع الاستعماري ، فعملوا — جادين — على نشر سياستهم وسيادتهم في مناطق نفوذ معينة ، ليستغلوا خيرات تزخر بها اصقاع نائية تابعة فيما وراء البحار والمحيطات ، وقد اضطرت هذه الظاهرة اولئك المغامرين — من تجار وسياسيين ومبشرين واطباء — الى الاحتكاك بالاهالي ، والاستقرار بين ظهرانيهم ، بغية تحقيق المبادلات التجارية في ظروف احسن ، والسهر على اقرار سياسة بلادهم ، وتسيير شؤون رعاياهم هنا وهناك ، ومن اجلى مظاهر تلك السياسة تدخل سفراء الدول الاستعمارية وقناصلها في شؤون الدولة التي يستوطنوها تدخلا سافرا ينتقص من سيادتها بطرق مكشوفة لا تخفى على ارباب الحكام ، ولكن العين بصيرة واليد قصيرة كما قيل .

لو وقف الامر دون هذا التدخل السافر ، لما تعدى حدود التعاون الدولي المتعارف ، والتعايش السلمي المنشود ، ولكن ضعف الدول المضيفة اغرى ضيوفها بالتدخل في شؤونها السياسية ، وبمحاولة السيطرة والمس بسيادتها الوطنية ، ففرضوا أو أحرزوا ما يعرف بالامتيازات الاجنبية تارة وبحقوق الحماية تارة اخرى .

■ تخطيط سابق :

في العادة يبدأ التخطيط لهذه الامتيازات في وقت مبكر تكون فيه الدولة المضيفة ما زالت تتمتع ببعض نفوذها وقوتها التوعية ، فلا يجد حكامها غضاضة في « منح » هذه الامتيازات لدولة ما ، فلا تلبث دول اخرى أن ترى في ذلك « المنح » سابقة تاريخية تغري باحتذائها ، فتسعى سعيا حثيثا لنيل مثيلتها ، ومن ثم تصبح الدولة « المانحة » — وقد استشرى داء الضعف في كيانها — نهبا مقسما بين اطماع الدول .

مؤرخ أوروبي من القرن الماضي يتحدث عن التجارة مع المغرب فيقول : « في السنوات السالفة ، كانت الاحتكارات تمنح بحرية وسخاء ، كما كانت تسترد بحرية ايضا ، لكن ابرام معاهدة بريطانية سنة 1856 وضع حدا لكل ذلك ، مع استثناء حالة المنع المطلق ، فان الاذن بالاتجار في مواد مثل المخدرات والحبوب كان حينئذ يعطى من حين لآخر لمن يعرض أعلى ثمن » .

وفعلا ، اغرت هذه المعاهدة البريطانية بعض الدول الاوروبية التي سبق للمغرب ان منحها بعض الامتيازات ، فسعت من اجل الحصول على امتيازات مماثلة ، بابرام معاهدات أخرى جديدة تحذو فيها حذو بريطانيا .

■ في غمرة الحصار :

قد يبدو ولاول وهلة ، ان هذه الامتيازات الاجنبية ، ترجع الى عهد سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) الذي امتاز بالتفتح على الغرب ، وبابرام معاهدات مع مختلف الدول البحرية ، تستهدف تنظيم شؤون التجارة ، والملاحة البحرية ، والقرصنة (الجهاد في البحر) ، وتحرير الاسرى ، وتحريم الرق، وما الى ذلك ، ولكنها في الحقيقة ترقى الى عهد مولاي اسماعيل بن الشريف الملك القوي الذي كانت اوروبا وملوكها يحسبون له الف حساب .

اثناء محاصرة الجيش المغربي لمدينة سبتة (1) تلكم الحصار الذي طال أمده ، وخلال حصار البريطانيين لجبل طارق واحتلاله سنة 1704 ، تمتع هؤلاء بامتيازين اثنين منحهم المغرب اياهما :

1 — تواجد الاسطول البريطاني في المياه الاقليمية المغربية .

2 — امداد المغرب للحامية البريطانية وسكان مدينة جبل طارق بالمؤون والمواد الغذائية وغيرها .

قد يتساءل المرء : وماذا استفاد المغرب من وراء منح هذين الامتيازين ؟ الجواب هو ان المغرب نال في المقابل امتيازين اثنين آخرين :

1 — تزويد الانكليز لقوات مولاي اسماعيل المحاصرة لمدينة سبتة بالاسلحة والذخيرة .

ب — منح المغاربة حق المتاجرة مع جبل طارق، في حرية تامة ، وعلى نطاق واسع .

وتأييدا لما ذكر بهذا الصدد نقول ونؤكد ان البريطانيين كانوا طلبوا من مولاي اسماعيل تزويدهم بمواد البناء والترميم ، ولكن عاهل المغرب رفض ان يزودهم بشيء ، ما لم يعط رعاياه الحرية التامة في المتاجرة مع اهالي جبل طارق .

لم يسع البريطانيين الا أن استجابوا للرغبة فنفذوا الشرط ، ومن ثم يحق القول :

1 — أن مولاي اسماعيل كان السبب في جعل ميناء جبل طارق ميناء حرا ، وهو ما زال حرا لحد الآن ..

---

(1) للتوسع في الموضوع يراجع كتابنا : مولاي اسماعيل : حياته ، سياسته ، مآثره .

2 ـ ان ما تتمتع به مدينة جبل طارق من ثروة وتجارة مزدهرة ، يرجع فى الدرجة الاولى الى مينائها.

3 ـ ان الفضل فى ذينك الثراء والازدهار، راجع الى المغرب وعاهله .

4 ـ ان التاريخ اعاد نفسه ، ذلك انه عندما تأزمت الامور السياسية بين بريطانيا واسبانيا على اثر مطالبة هذه الاخيرة بضم جبل طارق ، عمدت الحكومة الاسبانية فى عهد الجنرال فرانكو الى مقاطعه المدينة ، وسحب ابنائها ـ تجارا وعمالا ـ من هناك حينئذ حل محلهم المغاربة ، واصبح المغرب ـ مرة اخرى ـ يتاجر مع جبل طارق ، ويزود اهله بالمواد الغذائية وباليد العاملة ايضا .

■ لعنة الحمايات :

تمثل الحمايات الشخصية مشكلة سياسية عويصة عانى منها المغرب كثيرا ، وكانت ارهاصا ومقدمة لفرض ما عرف فى تاريخ الاستعمار الحديث بنظام (الحماية) . لقد عالج صديقنا الاستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة هذا الموضوع بما فيه الكفاية فى كتابه القيم (مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها الى مؤتمر مدريد 1880) . وما اريد ان اؤكد عليه هنا هو ان القصد ـ قصد المغاربة على الاقل ـ من عقد المؤتمر ، كان الحد من تفاقم شر الحمايات الشخصية ، واستشراء دائها فى كيان الامة المغربية ، ولكن رياح المؤتمر جرت بما لم تشتهه سفينة المغرب ، فجاءت قرارات المؤتمر مؤيدة ومؤكدة ومركزة لتلك الحمايات .

■ شهادة شاهد عيان :

فى احدى زيارات المغفور له جدنا (ت 4 ـ 4 ـ 1333 هـ) لمدينة فاس العاصمة ، حرر لنجله المرحوم والدنا (ت 22 ـ 8 ـ 1350 هـ) عدة رسائل نقتطف من احداها ما نصه بالحرف الواحد :

« اسعد الله ايام ولدنا الابر ، الموفق الانجب الاطهر ، من فى ظلال رياض الرضى مقيله ومرتعه، وبين اغصانها وازهارها مبيته ومضجعه ، سيدى محمد اصلحك الله ، واصلح بك ، ونفعك ونفع بك آمين ».

وبعد ان تحدث الكاتب عن توعك خفيف الم بصحته ، وعن السعى لتحقيق ما سافر الى فاس من اجله ، ومن ضمنه ـ فيما يبدو ـ غرض علمى يتعلق بعلم الفلك ، استطرد ـ رحمه الله ـ قائلا :

« فان كانت (يشير الى رسالة سابقة) وصلتك وقراتها وعرفت معناها ، فنحن لا زلنا فى انتظار ما رايت ووقفت عليه ، وعن قريب والله اعلم يتم الامر بيد ربه ، ويشهدنا اياه ، لصدقه معى بحيث لا ينتقل لدرجة حتى يرينا ما قبلها . فهذا هو الحال ، وهذا كله لاجلكم ، واما ابوك فماضى العمر أكثر من باقيه ، نطلب الله ان يكون آخره افضل من اوله ، وأن يختم لنا بما ختم به لاحبائه ، آمين » .

ثم تشير الرسالة الى امواج « الحماية » العاتية ، التى طم عبابها فغمر ارجاء فاس فتقول :

« فلا يتشوش لكم بال علينا كيفما سمعتم عن هذه الناحية . وحالها يخبركم بها الحامل (يعنى حامل الرسالة) ، فالخلائق كلها فى كرب الا اصحاب الحمايات ، فلا يعباون باحد من خلق الله كائنا من كان ، ودخلت الوف على ما يحكى ، انا لله وانا اليه راجعون ، اللهم احفظ علينا ديننا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا . انه ولى ذلك ، والقادر عليه»

ويختم جدنا ـ رحمه الله ـ رسالته ، بالاشارة الى اليوم والشهر اللذين كتب فيهما الرسالة ، ولكنه للاسف اغفل الاشارة الى السنة اذ قال :

« فى 17 ابريل وفيه ركب امير الطلبة لواد فاس على العادة المالوفة .

ابوك محمد امنه الله آمين »

■ ارتشاء ممثلي الدول :

لما تبين سكان المغرب — وخاصة اليهود — جدوى الحماية (حيث لم يكن المحمي يخضع لاحكام الحكام المغاربة ، وتخلص نهائيا مما كان يفرض عليه من زكاة او جباية أو مغرم) حينئذ صاروا ينضوون تحت لواء الحماية ، ويدخلون في نطاقها افواجا — افواجا ، وكثر الطلب ، واضطر الطالبون الى تقديم الرشى من اجل تحقيق مأربهم ، ولم يتورع ممثلو الدول عن قبض اثمان ما يبسطونه من حمايات دولهم على هؤلاء المارقين التعسين !

■ مسؤولية الوضع :

لاشك ان جانبا كبيرا من المسؤولية عن هذا الوضع المتردي الذي مس السيادة الوطنية في الصميم يقع في المقام الاول على عاتق المغاربة انفسهم ، وذلك من عدة اوجه :

1 — ضعف السلطة المركزية ، والسلطات المحلية الجهوية ، التي لم يكن في مقدورها ان تحول دون تفشي هذا الوباء الفتاك . لقد كان في الامكان استصدار قرار يحرم بتاتا لجوء اي مغربي للاحتماء بالاجنبي .

2 — تفشي الظلم والمحاباة والارتشاء وسائر عوامل التعفن الاداري ، الذي دفع بكثير من المظلومين وحتى الظالمين الى الارتماء في أحضان الحمايات القنصلية .

3 — انزواء المغاربة عموما ، وانكماشهم على انفسهم ، وتزمت الحكام وحتى حاشية السلطان وجهلهم وتعصبهم ، مما ادى الى الحيلولة دون التفتح على عناصر الحضارة الجديدة ، وحال بين الناشئة المغربية وبين العب من مناهل العلوم الحديثة والتربية والثقافة .

4 — الحيلولة دون استفادة البلاد من افراد البعثة الذين أرسلهم السلطان الحسن الاول الى معاهد أوربا ، فقد سدت ابواب الخدمة في وجوه الكثير منهم، ليغط المغرب في نوم اعمق ، وجدير بالملاحظة ان اليابان — الدولة المتخلفة آنذاك — ارسلت في نفس الوقت بعثات علمية الى معاهد أوربا ووفرت لافرادها عاملين مهمين :

أ — وفرة اعداد البعثات العلمية ، وتنويع اختصاصاتها ، وتتابع ارسالها .

ب — فتح مجالات العمل امام المبعوثين حين رجوعهم الى بلادهم .

فكانت النتيجة جد رائعة : نهضت اليابان نهضتها المملاقة في خلال خمسين سنة ، وغزت — وما زالت تغزو — صناعاتها المتقدمة اسواق العالم .

5 — الانحطاط السياسي العام : الذي انعكس على الميدان العسكري ، فلم يأخذ المغاربة بعين الاعتبار عوامل القوة والاستعداد الحربي الذي أمر به الله تعالى في قوله الحكيم : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم » ، صدق الله العظيم .

■ بين اتفاقيتي مدريد :

كانت اتفاقية مدريد سنة 1880 وتالياتها : (الاتفاق الودي بين انكلترا وفرنسا سنة 1904 ، واتفاقية الجزيرة الخضراء 1906 ثم اتفاقيات فرنسا مع اسبانيا والمانيا بعد ذلك) وبالا على المغرب وعلى سيادته الوطنية ووحدته الترابية ، فمزقت اراضيه شر ممزق لاول مرة في التاريخ المعاصر ، وفرضت الحماية على اثنين من مناطقه ، والنظام الدولي على منطقة ثالثة ، والاحتلال العسكري على رابعة وهكذا ، وظل المغرب يعاني من الاستعباد والتمزيق ما يقرب من نصف قرن ، جاءت بعده ثورة الملك والشعب لتصحح الوضع ، ولتسترد سيادة

الوطن وحرية المواطنين ، وكان آخر مجهود في سبيل اعادة الوحدة « المسيرة الخضراء » السلمية المظفرة التي عجلت بانسحاب اسبانيا من الصحراء ، وتسليمها الى أهلها .

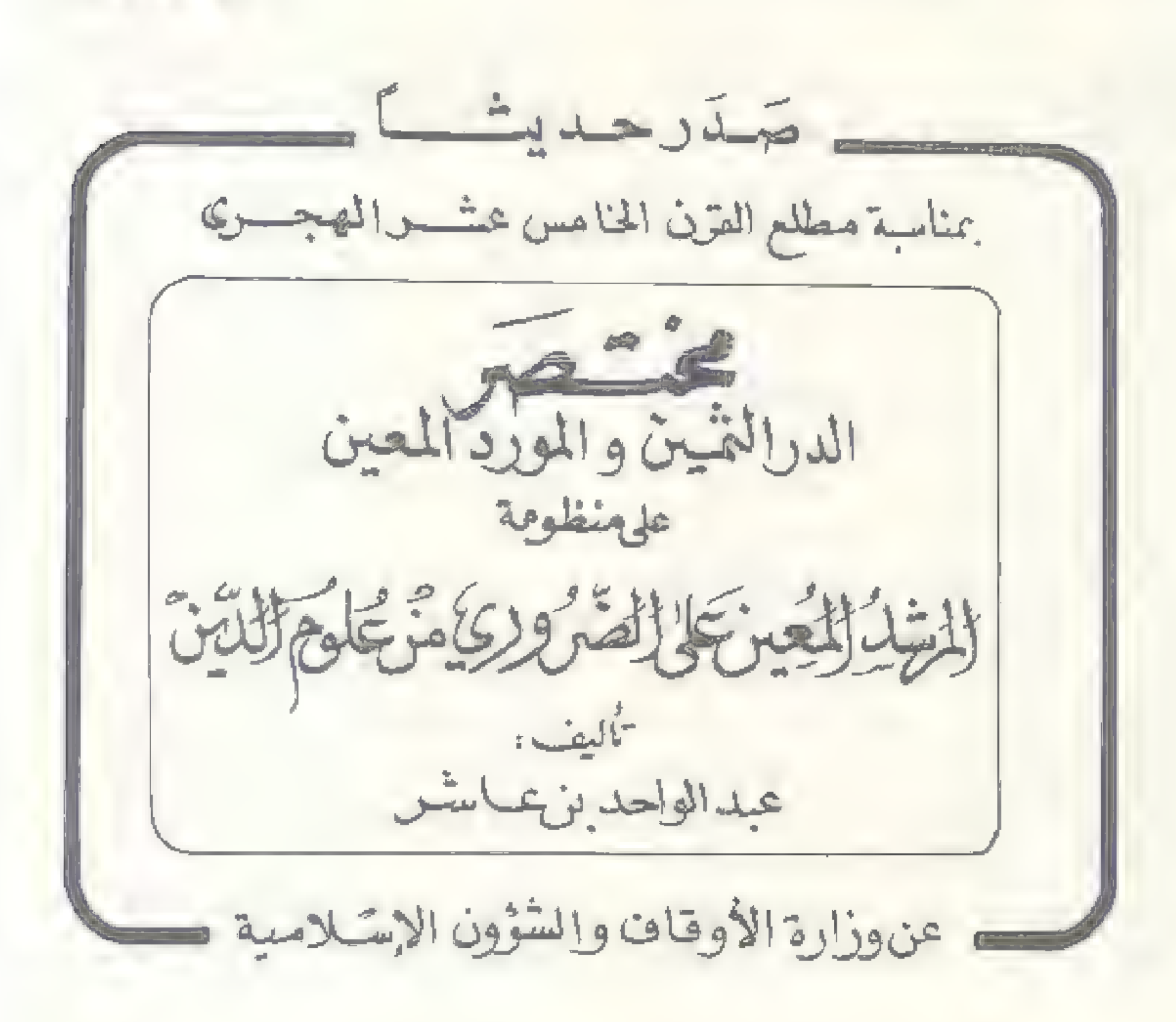
■ يا اخي الحامل ضيمي :

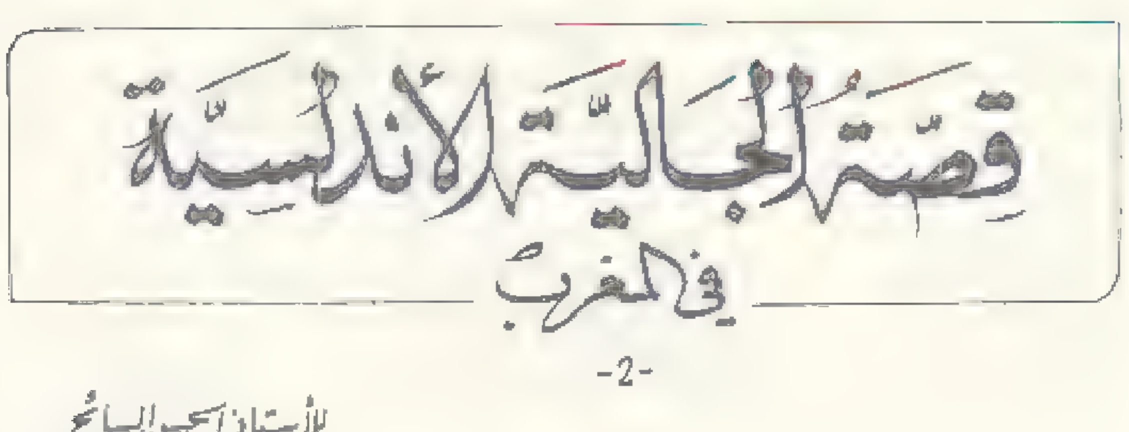
والبوم ، وقد ودعنا قرنا واستقبلنا آخر نحاسب انفسنا حساب ذلكم الصوفي الزاهد ، فنرى اننا في القرن الماضي ، فقدنا استقلالنا الوطني ، ووحدتنا الترابية ، وفيه ايضا تمكنا من استردادهما بعون الله وحمايته وقوته ، فكاننا في الحقيقة لم نفقد شيئا ،

ولذا نرى كان القرن الهجري الرابع عشر المنصرم ، قد سلم الامانة كاملة والمسؤولية كلها للقرن الخامس عشر الهجري ولسان حال الاول يقول للثاني ، مما قاله أحد ابطال (مقامات الحريري) لرفيقه :

يا اخي الحامل ضيمي
دون اخواني وقومي
ان يكن ساءك امسي
فلقد سرك يومي
فاغتفر ذاك لهذا
واطرح شكري ولومي

د . عبد الله العمراني





-2-

للأستاذ الحسن السائح

لا يمكن ان نقدر عدد المسلمين الاندلسيين تحت حكم اسبانيا ، فاذا كان عدد المسلمين في عهد بني امية يقدر بين عشرين وخمسة عشر مليونا ، حسب الاحصاءات العصرية المعتمدة علـى عدد المدن والاستهلاك المحلي للسكان ، فان تقديرات السلطة الاسبانية لعدد المسلمين في الاندلس بعد احتلال غرناطة لا تخلو من تقليل عددي لشانهم تهوينا لامرهم ومكانتهم .

ويذكر مؤلف خلاصة تاريخ العرب ان عدد المسلمين المطرودين من اسبانيا بعد فتح غرناطة ثلاثة ملايين نسمة .

بعد وفاة احمد المنصور السعدي ، وفد على المغرب امواج عظيمة من اللاجئين الاندلسيين ، وحظيت تطوان والرباط وسلا بعناصر نشيطة منهم، وقد ساهموا في كثير من الاعمال البحرية ، كما شارك الموريسكوس بحظ وافر في الميدان الاقتصادي والتجاري ، وبالاخص في المغرب وتونس .. وبلغ عدد ما استقبل المغرب منهم حوالى 60 الى 80 الفا منهم سنة 1018 1609 م حيث انبثوا في اجزاء كثيرة من البلاد التونسية كسهل مجردة وكرمباليـة والسلوكية وناحية تونس وغيرها ، فعبلوا الطرق وزرعوا البساتين ، واحدثوا عدة زراعات وصناعات كما في J. Pignon, Initiation a la Tunisie p. 103

وكذلك عملوا سواء بالمغرب او تونس علـى تنشيط التجارة مع الدول ، عن طريق البواخر التجارية ، غير ان نشاط حركة الجهاد البحري كان اكثر اهميـة بالنسبة لاي قطر .

ولم ينطفيء (الاسلام) ولا خمدت ثقافته في قلوب (الموريسكوس) بل ظلوا يتسترون باسلامهم، يصلون في الكنيسة ، ويقراون سرا سورة (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون) ويستظهرون في بيوتهم ويقتلون بعد خروجهم من الكنيسة .. ويؤلفون كتبا مبسطة في القصة والتوحيد والتفسير والسيرة النبوية والقصص القرآنية . وجاءت تفاصيل ذلك في عدة مصادر (تاريخ الموريسكوس) مع تثبيت المعاجم والتاليف (انظر تاريخ الفكر الاندلسي ، بلاسوس).

وبعد سقوط الملكية الاسبانية المتحالفة مع الكنيسة، واعلان الجمهورية انتشرت الحرية الى حد

ما ، وجهر كثير من الاندلسيين باصلهم العربـــى وطالبوا بارضهم وممتلكاتهم التى انتزعتها الكنيســة غصبا وظل العرب فيها مزارعين فى نظام اقطاعــى متعصب ، واستجابت الحكومة لطلبهم بل طالبــوا بالاستقلال الذاتى .. بل ظهروا فى ميدان السياسة والحكم ويقال ان رئيس جمهوريـــة اسبانيـــا ALKALA ZAMORA من أصل عربى (القلعة زمورة).

وبرزت فى الاندلس حركة ثقافيه لاحياء التراث العربى الاسلامى فى الاندلس ، فنصبت تماثيل لابــن رشد وابن حزم وابن الخطيب ، وتقدم احد نـــواب (مجريط فى عهد الجمهورية بمشروع اعادة مسجد قرطبة الى الاســلام .. واسست فى اسبانيا (الجمعية الاسبانية الاسـلامية) .

من الخطا ان تساير المؤرخين الذين يزعمــون نهاية الثقافة الاندلسية بماساة (الموريسكــــوس) وتشريدهم . والحق ان الثقافة الاندلسية الاسلاميـة ظلت تلتهب قوية جبارة تطور العالم كله وتسير بـــه الى استشرافية التقدم والنماء .

لقد كانت ماساة المثقفين والعلماء الاندلسيــين، ولم تكن ماساة الثقافة والعلم الاندلسيين ، ذلك ان النظريات الاصلاحية فى السياسة والاجتمـــاع ، وملفات الاختراعات ، انتزعت من يد اصحابهــا واستغلها اعداؤهم معفين على اسمائهم وعبقريتهم.. والمهم ان العالم مدين لهؤلاء الاندلسيين فيماعرفــت اوربا من نهضة علمية ، وما عرف فى افريقيا وآسيا والمحيطات من اكتشافات وفتوحات ، فقد كـــان المسلمون الاندلسيون ، اعظم المفكرين فى العصـــر الوسيط حيث كانت اوربا ذات ثقافة بدائية ، ويشهد مؤرخو الفكر العربى ، ان قيام التاليف العلمى فـــى اوربا يرجع للمسلمين الاندلسيين سواء فى الطب أو الرياضيات او العلوم بل ان (اسبانيا) خضعــت خضوعا علميا للغة العربية التى كانت لغة المصطلحات العلمية ، وخلال حكم (الفونسو السابع) 1126 — 1157 م ، انكبت اسبانيا على نقل التفكير الاندلسى الفلسفى والعلمى والادبى والقصصى الى اوربا بصفة عامة بترجمته الى اللغة اللاتينية ، وكان (رامن لل) ودانتى والغرابلى ..

ويثبت التاريخ العلمى لاسبانيا واوربـــا ان الفلسفة والآداب والاخلاق والشعر والقصة نقلت عن الاندلسيين نقلا حرفيا اما بصفة صريحة او بصفــة ملتوية . وان كل هذه الآثار كان وراءها (الغربــاء) الاندلسيون الذين عذبوا وامتهنوا واختلست آثارهم ، وارغموا على العمل فى الحقول للزراعة وفى المــدن للتجارة ، وفى الكنائس والمعاهد لاعطاء عصــارة التجربة العلمية والادبية لجماعة من المتبجحين بالمعرفة والالقاب العلمية .

فقد اخترعوا (البارود) اثناء حروب غرناطة وطوروا استعماله ، وانقض اعداؤهم على ثمـــرة الاختراع وزعموا ان الفضل لهم فى الاكتشـــــاف ، انتزعوا (الاكتشافات البحرية) من العرب وزعموا ان كريستوف كولمب هو المكتشف .. وقد اثبــت التاريخ الحديث ان كريستوف استعان بالكتب العربية، والبحارة المسلمين وبمشروع (الاخوة المغرورين لاكتشاف العالم الجديد .

وكان للجالية الاندلسية عمل عظيم فى تطويــر الفكر الغربى وتقدمه مل ان (الكليات) العلميــة فى اوربا المسماه (بكوليج) محرفة عن اسم كتـــاب (كليات ابن رشد) الذي كان معلم اوربا ، وكان أبو زيت (ابو زيد) المتنصر على الطريقة (البروتستانتية) من الموجهين لفولتير ، وروسو ، ونيوتن ، وليبنتز . كما كان (موروجامبري) (المغربى الجعفري) نائب كورسيكا اعظم فقيه فى فرنسا ..

وكانت صناعه المدافع الاولى بمراكش على يد موريسكى من مدريد ، كما كان بها مصنع للبارود من

أوائل دولة السعديين (زيانى ، ترجمان ، ص 352؛ واغلب جهاز المدفعية من الاتـراك والعلـــوج والموريسـكوس ، اما فرق التخريب وانشاء الخنادق ونقل المدفعية فهى من سكان الجبال الذين يدعون ـ ايتو دراون وبعد انهزام الاسطول المغربى وفقـد كثير من وحداته سنة 741 ـ 1340 بعد ان فقد 600 قطعة فى سواحل الجزائر على اثر عاصفة هوجاء ، ومنذ ذلك توقف عمليا كل تدخل رسمى للمغـــرب بالاندلس عن طريق البحر وقد اهتم السعديون ببناء اسطول جديد بكيفية تدريجية حتى بلغ منتهى قوته فى عهد المنصور . وكانت القيادة العامة للاسطـول تسند غالبا الى عنصر الموريسكوس .

وكذلك كانت الجالية الاندلسية عظيمة بثقافتها وتفوقها الحضاري فى العمران والبناء وفى التنظيمات الاجتماعية واقامة الحفلات والولائم ، والتمتـــع بالموسيقى والطرب ، ومعرفة التصوير والنحت علـى الخشب والجبس .. ومما لاشك فيه ان الفن العمرانى المرينى والسعدي والعلوي مدين للصناع الاندلسيين، بل ان صناعة (الزردخان) من الذهب والحريـــر الرائجة بفاس ، كانت عن عمل الجالية الاندلسيـة المقيمة بفاس كما ذكر ذلك ابن خلدون .

● قـوة الموريسكـوس البحريـة :

هدف (الموريسكوس) وراء اختيارهم للاقامة بالرباط الى تكوين قوة هجومية للعودة الى بلادهـم والانتقام لانفسهم .. والغالب ان المنصور الذهبـى واعدهم سرا باعانتهم على العودة وذلك يبدو مـن خلال تصرفاته الدبلوماسية ، وتصرفاته التنظيمية، فقد كان المنصور الذهبى يتوسل الى الله ان يحقق العودة الى الاندلس على يده كما يظهر ذلك من رسالة بعث بها فى موكب (الحج) لتلقى على قبر الرسول يبث فيها آماله وطموحه ، كما انه حاول السيطرة على مالى والسينغال لقطع الطريق على البرتغـال حتى لا يحتلوا هذه البلاد ويحاصروا المغرب من جنوبه و (ثالثا) لانه ابرم اتفاقية مع انجلترا للتضييق على المملكة الاسبانية .

اما من جانب (الموريسكوس) فقد انضموا الى جيشه فى غزو الجنوب سعيا وراء اكتساب أموال تساعدهم على تنظيم شؤونهم المادية وتقوية مركزهم العسكري كما أنهم نظموا امور جهاد البحر حتـى يستطيعوا مهاجمة (اسبانيا) فبنوا فى الرباط دارا لصناعة السفن وانشاوا مدرسة ملاحية للدراســة البحرية وصناعة السفن واصلاحها ومعرفة طرق البحر ليلا بواسطة حركة النجوم . وقد كان منهم اساتذة نبهاء مارسوا المهنة وابدوا كفاءة ومقدرة .. وفعلا سيطر (الموريسكوس) على البحر الاطلسى والمتوســط ونسقوا عملهم مع مراكز الجزائر ، وليبيا ، وهـــم جميعا من (الموريسكوس) المتوافدين على هــذه المنطقة .

وقد ذكر المؤرخ الرباطى (الضعيف) ان السلطان محمد بن عبد الله كان يريد اخراج أهل الرباط للصويرة لحصارهم اخاه بالقصبة ، ولكنه عدل عن ذلك لانــه راى فى خروجهم فراغا ، ولن يجد من يقوم مقامهـم بشؤون البحر .. سيما وقد كانت الدولة المغربيـة تعتمد على خبرتهم فى شؤون البحر ، والتقنية المدفعية . كما كانت تعتمد عليهم فى السفارات الديبلوماسية لمعرفتهم باللغات الاجنبية كالانجليزية والاسبانيـة والايطالية والفرنسية حيث كان اغلب السفراء منهم ، كالسفير ابن عبد الله ابن عائشة ، سفير المولـى اسماعيل الى لويس الرابع عشر ، وكالسفير التهامى لمدور فى بلاد السويد والمستيري فى انجلترا وغيرهم كثير .

كما كان منهم (أمراء البحر) كالبعودى وبريبس والمستيرى والمربى حكم والعنقى ولبريس وغيرهم . وغيرهـم .

وكانت للاندلسيين سفن كبيرة كسفينة (الكوار) وسفينة المشاري ، وفى كتاب (الضعيف) تفصيل لحركة الجهاد فى البحر .. الى ان جاء السلطان عبد الرحمن الذي اراد احياء الجهاد البحري ، واذن لرؤساء البحر بالعدوتين بالخروج منها ، وغنموا بعض سفن (النابريال) لعدم ادلائهم برخصة العبور فهجم (النابريال) على العرائش ، فقررت الدولة المغربية العدول عن تشجيع الجهاد فى البحر لتأييد الممالك الاوربية ضد الاندلسيين والامارتة والعرب والمسلمين بصفة عامة .

ولم تكن لدى موريسكيي ابى رقراق اول الامر اكثر من اربع بواخر سنة 1617 م (1026 هـ) ثم اصبحت فى سنة 1036 هـ (1626 م) تبلغ الستين . واقترح قائد اسطول فرنسى على ريشيليو وزير فرنسا المشهور ان يسمح باغراق باخرة فرنسية فى ميناء ابى رقراق حتى يضطر السلطان الى عقد اتفاق مع فرنسا من شأنه ان يوقف الجهاد الموريسكى وهكذا يضطر القراصنة الى تحرير الاسرى الفرنسيين وعلى الرغم من ان الاسطول الفرنسى طبق هذه الخطة فعلا فانها لم تؤد الى نتيجة .

ثم قل البواخر الاندلسية ، فاصبح 22 سنة 1044 هـ (1635 م) والى عشرين سنة 1058هـ (1647 م) ، وكانت بواخرهم تجلب فى الغالب من اوربا ، كما كانوا يصنعون عددا منها بمساعدة الهولانديين فى الرباط ، وكانوا يصلون فى مغامرتهم الى الشواطىء الانجليزية ويهاجمون السفن الاجنبية.

وكانت للموريسكيين علاقات ديبلوماسية مع كل من هولاندا وفرنسا وانجلترا حيث كان لليهود دور بارز فى السمسرة التجارية بين الموريسكيين وهولاندا ، وكان هؤلاء يضايقون اشد مضايقة سائر المراكب التى تخرج للصيد فى عرض المحيط الاطلسى ، مما جعل فرنسا تفكر فى عهد لويس الثالث عشر سنة 1038 هـ (1629م) و 1039 هـ (1630م) فى امر يقضى بارجاع كل باخرة احتجزها احد الطرفين من الآخر، وان تفتح موانىء كل من الفريقين لتجارة الطرف الآخر ، ويسمح باستقرار قنصل فرنسى بالرباط ، ولا يباع الاسرى الفرنسيون بسلا .

ومنذ سنة 1626 م قدم مبعوث عن البلاط الانجليزي جون هاريس قصد الاتصال بالمجاهدين حول القيام بهجوم مشترك ضد اسبانيا ، وكان ملك انجلترا فى ذلك الوقت هو (جاك الاول) ، ومن ضمن شروط الاتفاقية تحرير اسرى الانجليز وتسليم اربعة عشر مدفعا مع ذخيرة الى المجاهدين ، وقد عاد المبعوث فى السنة الموالية يقدم ستة مدافع وكمية من الذخيرة ، ولكن قضية الحلف ضد اسبانيا لم تقبلها الحكومة البريطانية التى لم ترتح اذ ذاك لمساعدة المجاهدين الذين كانوا قد قطعوا علاقتهم مع السلطان زيدان ، وحينئذ تم تحرير اسرى الانجليز بعد ان توصلت امارة ابى رقراق فى مقابل ذلك بالاسلحة المتفق عليها .

وفى عاشر ماي 1036 هـ (1627 م) تم الاتفاق بين الامارة وجون هاريسن على ان تفتح كل موانىء الطرفين لترويج بضائع الطرف الآخر مع عدم التعرض لسفن اي منهما ، والتزام انجلترا بتحرير جميع الموريسكيين الاسارى بمملكتها ، وتعهد امارة ابى رقراق بمساعدة انجلترا حربيا على اعدائها . وامضى الاتفاقية عن الامارة ابراهيم بركاش ومحمد باركو ، غير ان شارل الاول رفض توقيع الاتفاق . ولم يمض قليل حتى استولت السفن الانجليزية على باخرة للمجاهدين ، ورد الموريسكيون بالاستيلاء على عدد من البواخر الانجليزية ، وعلى الرغم من ان جون هاريسن عاد الى المغرب يؤكد باسم ملكه انه يتبرأ من مسؤولية تصرفات السفن الانجليزية التى استولت على الباخرة الموريسكية ، فان المجاهدين رفضوا ان يسمحوا (للمبعوث) بالنزول من باخرته ، وقد قضى جون هاريسن ست سنوات

في التردد بين أبي رقراق وبلاده (من سنة 1626 — 1631) عسى أن تحسن العلاقات بين الجانبين ، ولكنه لم يوفق الى ذلك .

هذا وما تزال مدينة الرباط وتطوان وغيرهما، تحتفظ بعائلات كثيرة من هذه الجالية تحمل اسماءها الاسبانية والبرتغالية ، ولا شك ان محاكم التفتيش حملت العرب والمسلمين على تغيير اسمائهم ، ولذلك فاسماؤهم اما عربية محرفة او اسبانية ، اما الاسبانيون والمسيحيون بصفة عامة الذين كانوا يدخلون للاسلام ، فانهم كانوا يغيرون اسماءهم العائلية باسماء عربية واسلامية .

وما تزال اسبانيا الحديثة تحتفظ بعائلات اندلسية تحمل اسم (موريسك) .

و (الاسبان) كانوا يعرفون المغرب العربي باسم لاتيني هو (موريتانا تنوانيا) اي (موريتانيا وطنجة) ثم اصبحوا يطلقون على الوافدين من المغرب ويسمونها (موريس) مختصرا عن (موريطانيـا) واخيرا يطلقونه على كل (مسلم) وعلى كل عربي ، لان المغرب باب افريقيا والاسلام والعروبة .

وبعد ، هذه قصة الجالية الاندلسية التي قضى عليها ان تشيد حضارة عظمى في تاريخ البشرية .. وان تلاقي عقوق المتعصبين المسيحيين فشردوها شر تشريد وقطعوها في الارض امما .

انها قصة (العنف الجماعي) الذي يبدو بين الفيئة والاخرى في البيئات المتعصبة عقائديا ، والتي تدين بالعنصرية اللونية والجنسية .

لقد عانى (الموريسكوس) الطرد الجماعي والتغريب ، كما يعاني (الفتناميون) اليوم الهجرة الجماعية والتردي في البحار حيث يلاقي الآلاف اشد ما يعانيه البشر من شقاء ، وكما يعاني (الفلسطينيون) من تعذيب وتنكيل وحياة اليمة في المخيمات .

الاستاذ الحسن السائح

الشاعر الوزير : محمد بن موسى

للدكتور عبد الله العمراني

سادسا : الهزليات والاجتماعيات :

الانسان في ساعة من ساعات حياته يشعر بجدية ما يحيط به ويسأم احيانا من جفاف الرتابة التي يحياها والتي تغمر اعماقه فتشيع في رحابها تقززا فلا يقر له قرار ، وتصفو له ساعة من عمره اثناء هذه اللحظات الجدية الامر الذي يضطر معه الى اللجوء الى ما يخفف عنه القنوط ويشرح صدره ويبعث في نفسه الهدوء والطمأنينة .

وقد كان شاعرنا الوزير صاحب روح مرحة ، وكان صاحب ملح وفكاهة ، ولعل ذلك يرجع الى أرومته المراكشية التي تميزت بخفة الروح ، ولدينا من هذا الصنف قصيدتان: الاولى يفتتحها بقوله متحدثا عن بعض انواع الطعام مضفيا على ذلك ظلالا من روح شفيفة حلوة رضية رقيقة ، ومجيبا في الوقت نفسه صديقه البشير انيلال ، وذلك بتاريخ 19 صفر الخير عام 1367 موافق 2 — 1 — 1949 م .

بعلق انفاسي الدجاج المحمر
ويحلو لاضراسي اخوه المعمر

وكم عصفت بي (للمشرمل) نهمة
تظل بمرآها الانامل تقطر

ويحدو يدي نشر (المقلي) بزبدة
ومن خلفه الجدي الطلي (المزعفر)

وكاسيات التفيان سرا اذا فشى
تصدى لها من باطن الجوف محشر

واما (الكباب) المستطاب فيهل
بمن لم يزل في شيبه يعمر

والوان طهي بالخوان تتابعت
فمنها اخو عري ، ومنها (المخضر)

و (شعرية) يحدو الدجاج دفينها
فلله ما اشهى طعاما يبخر

و (بصطيلة) تشفي العليل و (كسكس)
له في حلوق الداخلين تبعثر

ولا ينسى شاعرنا وهو في غمرة الحديث عن شتى المأكولات ان يمزج بين النقد الفكاهي والنقد الاجتماعي ، وذلك حين يقول باسطا الحديث عن الفاكهة والقهوة واباريقها ، ثم عن امتلاء السوق بكل شيء بارخص الاثمان ، لكن هذه الاثمان لا تلبث ان ترتفع فتسوم الناس المشقة والهوان فلا يجد الموظف

الصغير بعد أيام من قبضة المرعب ان يتغلب على تصاعد الاسعار بهذا الشكل ، فما بالك بالفقير الذي لا يجد ما يتقرب به أو الجائع المعذب الذي يظل وقته يتضور جوعا ولا من يسدي اليه المعروف او ينقذه مما هو من عذاب .

وفاكهة يحلو لماهــا وتهـــوة
اباريقهـــا فوق المجامـــر تـــزار
تجود على الكاس الكبير بما حـوت
واما على الكاس الكبير فتكبـــر
زمان امتلاء السوق من كل مشتهى
بارخص سعر يشترى ويوقـــــر
فاعقبه وقت يســوم رجالــــه
غــلاء يشق الدهر عسفا فيقهـر
ولا شـىء فى الاسواق يبدو شراؤه
لمن جد فى اعقابــــه يتعثــــر
ولا فلس فى جيب الموظف ان مضت
من الشهر أيام تسر فتقصـــــر
فما حيلة المسكين والشهر لم تزل
اواسطه تمشي الهوينا وتخطـر
رجعنا الى سوق البتول فاخضـر
يرد ذماء الجائعـــين واحمـــر
فما خامرت نفس التنوع غضاضة
بما وجدت كلا ولا ما يكـــــدر

ويذكرنى هذا بقول حافظ ابراهيم (1) فى غلاء الاسعار وهجومه على المصلحين لتدارك الامر :

أيها المصلحون ضاق بنا العيـــ
ـــش ولم تحسنوا عليه القيامـــا
اصلحوا أنفسا اضر بها الفقـــ
ـــر واحيا بموتها الآثامــــــا
واغيثــوا من الغلاء نفوســــا
قد تمنت مع الغلاء الحمامـا (1)

وعندي ان ابيات ابن موسى فى غلاء الاسعار اجود بكثير من ابيات حافظ فى الموضوع نفسه من حيث الهندسة الشعرية وطريقة التناول التى قدمت لنا القضية فى صورة شعرية جميلة تحفز الاحساس الى تقبلها والانفعال بها انفعالا ينتزع منا السخط والغضب على الاستبداد والاستغلال الذي يعمل على ايجاد ظروف عصيبة لتسلط العذاب على المظلومين من الفقراء ، واذا كان الشعر يجري على هذا المنوال من التأثير فانه بحق يعتبر شعرا خالدا تتماوج فى اعماقه على مر الايام حقائق النفس الانسانية .

والحق ان هذا لون جيد جديد فى شعر ابن موسى لانه يسجل ظاهرة اجتماعية مهمة تتصـــل بالطبقة الشعبية المحرومة المعذبة وهذا يعني انـــه عالج مضمونا من مضامين المسألة الاجتماعية التى تؤلف عصب الحياة ، الامر الذي جعل الاسلام يخصها بعناية كبيرة وكبيرة جدا عبر تصوره الفذ للحياة مما لا نجد له نظيرا فى أي نظام بشري فى القديم والحديث ولن نجده كذلك فى اي نظام آخر يمكن ان يستحدث فى المستقبل والى يوم القيامة . ورغم ذلك فان ابن موسى لم يهتم بهذا الجانب الخصب الا فى هــــذه الابيات المعدودة من القصيدة الهزلية ، وكان عليه وهو الرجل المسلم ان يفسح للنقد الاجتماعى مكانا ارحب مما خصصه له فى هذا القصيد ، ويبدو ان ابن

---

1) مر التعريف ، انظر ديوانه ج 1 ضبطه وصححه أحمد أمين وآخرون ص 316 ــ 316 ، الناشر محمد أمين دمج ــ بيروت 1969 م .

موسى ما التفت الى ما ندعو اليه من قصد وتدبر ، ذلك ان نقده الاجتماعي ذاك فلتة من الفلتات ليس الا في لحظة من لحظات استيقاظ الهمة الاسلامية وفي غيبة عن سيطرة الروح الارستقراطية كوزير يعيش حياة غير الحياة التي يعيشه رجل الشارع الذي يذوق من ارتفاع الاثمان طول العام الامرين .

اما القصيدة الثانية فيدعو فيها صديقه السيد البشير انيلال الى تناول اكلة تسمى (البلبل) مضيفا الى ذلك روحا من الفكاهة والمرح ، يقول :

يا سيدا جميع شمل الكلمه
نحاز من وصف الكمال اجمله
ومن غدا كعبة جمع النقلـه
ينفى القذا من عين كل مسالـه
فذاد آية الظلام المزملـه
وراد آيـة الضيـاء المقبلـه
وطالما اضح كـل مشكلـه
وحل بالبرهان كل معضلـه
فاستنبط اللب وصفى منهلـه
ونبـذ القشر لمـن تقبلـه
ان لدى اخيك لونا انزلـه
من الطعام فوق كـل منزلـه
جـن ـه جنونه نعدلـه
وكان قبل يومـه قـد اغفلـه

ثم يبدأ في التعريف بهذه الاكلة داعيا طالبا منه الحضور بدون تأخر عن الموعد :

من خالص الشعير نحى خشله
عـن الصفى ودعـاه البلبلـه
ضـم اليـه لرمه وفلفلـه
ولم يغادر لفتـه وبصلـه
وغير ذا من البقول المجملـه
ويعظم الشرح على من (بصله)
فما ترى عينين رجا ان تصلـه
بعـد الزوال دون ان تؤجلـه
من يومنا ماذا ولن أبدلـه
بغيره فالحـزم ان تعجلـه

ثم ينبه الشاعر صديقه الى ان طعام (البلبل) هو الذي سيجده عنده ليس غير ، اما الانواع الاخرى من الطعام كالدجاج و (البصطيلة) و (الشواء) من الطواجين المختلفة فانه سوف لا يجد شيئا من ذلك فعليه اذن ان يحمد الله على ذلك ويقتنع بالحاضر :

والشرط الاقتصار بعد البسملة
على الذي بينت قبل فاشبـه
واعلم بأن الخبز لا محل لـه
واللحم ماكول الضوار المرسلـه
فلا تخل ان لدينـا سلسلـة
من (الطواجين) تجـر عرقلـه
ولا دجاجا سابقته (بصطلة) .
ولا (شواء) من دواعي المكمله
وكل ما في الامر بعد الحمد لـه
وشكر من اولى النـدى فاجزلـه
مـاء وظـل ونشـوق الانملـه
والضحك الدائر حول الحوصلـه
فاقتنـع بمـا حضر يا من فضله
وبالرضى بما ينال جملـه

ويبدو ان شاعرنا في ممارسته هذا الفـن الشعري قد استفاد من قصيدة ابي عبد الله بن الازرق(2) في المجون وبعض الاطعمة - يقول في اولها :

---

2) هو محمد بن علي ابـن الازرق (٠٠ 896 هـ ـ ٠٠٠٠ 1491 م) عالم اندلسي من غرناطة تولى بهـا القضاء ، انتقل الى تلمسـان بعد استيلاء النصارى عليها ثم الى المشرق من تاليفه (شفاء الغليل في شرح مختصر خليل) انظر المقرى احمد نفح الطيب ج 2 ص 699 وما بعدهـا تحقيق احسـان عباس ط ـ 1488 ـ 1968 م .

عـــم باتصال الزمن

ولا تبـــال بمـــن

وهو يواسى بالرضى

من سمج أو حسن

الى ان يقـــول عن بعض الوان الطعام :

واللحـــم مع شحم ومــع

طوابق الكبش الثنـــى

والبيض فى المقلاة بالـــز

يـــت اللذيـــذ الذهـــن

وجلـــدة المـــروج بشــــ

ـــويا كثير السمـــن

ثم يقـــول :

ولـــلارز الفضـــــل اذ

نطبخـــــه باللبــــن

وللشـــواء والـــرقـــــا

ق من هيـــام انثنــــى (3)

وباستعراض القصيدة الازرقية كلها يتبين ان ظلالا من روح منها قد حومت على روح شاعرنـــا وهو يكتب شعره الهزلى فى الاطعمة لكن صياغة ابن موسى وتوليده للمعانى اجود مما نجده عند ابـــن الازرق .

سابعا ــ التوسلات والاستغفارات :

سوى الله تعالى النفس البشرية فى صـــورة معجزة فريدة فالهمها فجورها وتقواها ، فترى الانسان غافلا منشغلا بالملذات تغمره بريقها ، ويخدعه وهج الفجور ، وتغويه خلاية الدعارة ، فيندفع غير عابىء بقضى اللبانات فى شراهة ، ثم تأتى لحظة الاستيقاظ فينتصب فى غوره الايمان متألقا متبرعما ، ويــــروح يتمسح بأعتاب التوبة ويلج باب الله مستشرفا آفاق الغفران الوضيئة .

وقد اتحفنا غير واحد من شعراء العربية بشعر يذوب ندامة وحسرة وأسى على ما اقترفوا من خطايا كما يحكى عن ابى نواس فى اخريات حياته حين احس بالندم يفرى اعماقه على ما اجترحه فقال :

يا رب ان عظمت ذنوبـــى كثيرة

فلقد علمت بأن عفوك اعظـــم

ان كان لا يرجوك الا محســـن

فبمن يلوذ ، ويستجيـــر المجـــرم

ادعوك رب كما امرت تضرعـــا

فاذا رددت يدي فمن ذا يرحـــم

مالى اليك وسيلـــة الا الرجـــا

وجميل عفوك ، ثم انـــى مسلم(4)

وابن موسى ككل انسان عصى الله تعالـــى فى لحظة من لحظات الضعف البشري فأرهف احساسه الندم ، واشرئبت بأحنائه التوبة وازهرت فى مشاعره الروح الشفيفة المعطار فتحركت شاعريته تجـــود وتجرد ، وانطلق يقول لاهث الانفاس يجود ويجود فى قصيدة طويلة :

الله يغفر ذنبا سود الصحفـــا

وضاعف الاثم والاكدار والاسفـــا

الله يعفو فلا يبقـــى على اثـــر

للسيئات ولا يجزي على ما سلفا .

3) انظر القصيدة فى المصدر السابق ج 3 ص 298 ومـــا بعدهـــا .

4) انظر الابيات بديوانه تحقيق وضبط وشرح احمد عبد المجيد الغزالى 618 ــ الناشر الدار الكتاب العربى ــ بيروت لبنان (بدون تاريخ) .

الله يستر عيبا شوهت يــــده
وجه المحاسن واستوصت بها تلفا
الله يغمر بالحسنى اســـاءة من
ولى الى بابه بالذنب معترفـــا
ويسترسل شاعرنا فى الحديث عن الذنـــوب والخطايا متوسلا متضرعا ذاكرا قدرة الله المطلقة ونعمه الشاملة وآلاءه الغامرة :
الله نور يعم الكائنـــات سنـــا
امداده فبيد اليبس والصدفـــــا
الله كاشف غـــم ثـــار ثائـــره
وفارج الهم عن قلب به وجفـــا
الله حق يجيب السائلين متـــى
أموا بآمالهم بـــاب الدعا كلفـــا
الله يصلح احوالا لنـــا عبثـــت
بها الزخارف وارتادت بها جرفا
الله مبدي هذا الخلق من عـــدم
وهو المعيد اذ رسم الوجود عفا
القصيدة من اولهـا الى آخرهـا نفس عذاب الذنب واضناها الاثم فى حق الله ، وليس ادل علـى ذلك من ان الشاعر يبدأ كل بيت باسم الله جل جلاله اشارة منه الى انه الملجا الوحيد الذي يفيء الـى رحابه الجميع ، كما ان تكرار لفظ الجلالة يكشفه عن قلب ظامىء ملتاع لا يرتوى الا من ضياء الجلالة .

ويمتعنا ابن موسى مرة اخرى بقصيدة طويلة فى التضرع والتوسل تزيح لنا الستار عن عمق جلــده النحم والتصور والضعف والاستكانة فاستيقـــظ فى لحظة الوعى الايمانى ، وتفتح الضمير لنداء الله يقول متضرعا متوسلا الى الله ، بجود بالنفحات الابكار والمعاناة الشعورية اللاهبة :
دعوتك سائلا منك الاجـــابـــة
بمن أصفيتهم صفـــو الاجابـــــه
واوقات بها تدنـــو الاجابـــــه
وأمكنة تلوح بهـــا الاجابـــــه
وآيـــات جمعـــت بها الاجابـــــه
لمن يدعـــو فيظفر بالاجابـــــه
واسرار ســـرت منهـــا الاجابـــة
لمن سالوا بهـــا منك الاجابـــة
واسماء قرنـــت بهـــا الاجابـــه
فللــداعـــى بها منـــك الاجابـــه
آنلنى مـــا رجوت من الاجـــابـــة
وفرحنى باقبـــــال الاجابـــــه
يردد الشاعر فى قصيدته هذه كلمة « الاجابة » فى آخر الشطرين من كل بيت ، وهذا يشى باستغراق النفس فى لحظه شعورية متازمة ملتهبة ، تشرئب الى فتح صبيب تصنعه التوبة الندية المضواع ولنستمع الى هذه النبرات الجريحة الضارعة السائلة المليئة بالنفحات لشاعرة المعبرة عن الالتياع والبوح المزود بالصدق المحمل بالتوق اللاهب :

فاهلنـــى بفضلك للاجابـــــه
وعجلنـــى بفيضـــك بالاجابـــــه
واوقاتـــى ادعهـــا وقت الاجابـــه
ولى فى الارض مكـــن للاجابـــــه
واصحبنـــى بآيـــات الاجابـــه
واوصلنـــى بغايـــات الاجابـــه
وخلصنـــى بأســـرار الاجابـــــه
وخصصنـــى باسمـــاء الاجابـــه
الاهى قد دعـــوت وبالاجابـــه
وعـــدت فمـــن وارحم بالاجابـــه
ومكنـــى المآرب بالاجابـــــه
وقد سنى وسلم بالاجابـــــه
ثم ينهى نبراته بهذه اللفتات والخواطر المعبرة عن النفس التواقة الى الاجابة العامرة بالخيـــر الوافدة من الملا الاعلى :
وجـــد وارحم واسرع بالاجابـــه
ايـــا مـــن ترتجى منه الاجابـــه

وضاعف لي الكرامة بالاجابه

وقرب لي المسافة بالاجابة

وقل لي ذا عطاء بالاجابه

به فامنن او امسك بالاجابه

ولابن موسى قصيدة رائعة ضمنها اسماء الله الحسنى وفيها يعرض ويختم كل بيت باسم الله (الكافي) ويعرض فيها اشتاتا من اللبانات التي يود تحقيقها ، وأشتاتا من المقاصد يتطلع الى الفوز بها وقد وشحها بروى شعرية ندية اسرة جميلة تنبيء باحساس مرهف ونفس متطلعة الى الارتياد في الملكوت الالهي ، وعمق مشتاق يعلن عن استسلام الى الله استسلاما مطلقا يقول في اولها :

كفاية نفسي في الشدائد يا كافي

وراية انسي في المقاصد يا كافي

وراحة روحي ان تعرض طائف

يضيق به صدري تداوله يا كافي

وأهدى سبيل للنجاة الآمه

اذا ما ادلهم الخطب واشتد يا كافي

الى ان يقول متوسلا في عبودية حلوة محببة زاخرة بالتودد والاستسلام ، سخية بالعطاء الحي تتاوح طيوبه في مغاني الاشراق وربوات القدس الطيبة :

فما لي لا اهفو لبابك طالبا

بأسمائك الحسنى (5) جميلك يا كافي

وقد قلت في التنزيل ادعوني أستجب (6)

فطيبت نفسي بالاجابة يا كافي

فباسمك يا الله سهل رغائبي

وحقق يقيني في امتنانك يا كافي

دعوتك يا رحمان حين امضني

من السوء مشروع الاسنة يا كافي

مقابل دمائي يا رحيم برحمة

تكف بها الاسواء عني يا كافي

الى أن يقول في آخر القصيدة :

فيا منقذ الغرقى اذا عز منقذ

ويا منجي الهلكى من الضر يا كافي

ويا سامع النجوى وكافل نجحها

ويا كاشف البلوى عن العبد يا كافي

ويا من يجيب السائلين اذا دعوا

وتكشف مااستعصى من السوء ياكافي

اليك غياث المستغيثين تنتهي

قواصد الاستجداء فضلك يا كافي

مددت بها أيدي الرجا متضرعا

قليلا عليلا واجف القلب يا كافي

بالجملة : التوسلات والاستغفارات والتضرعات في شعر ابن موسى تتميز كلها باجواء من الابداع برفدها الاحساس العميق بالذنب والرغبة الملحة في الانضاء بكل ما لدى الشاعر من وخزات الضمير تعبر عن تطلع نفس تعبى تود الارتواء من المعين الصافي والتفيوء عند الظلال الحواني حيث طراءة النسيم المنعش ، وحسب الشاعر انه اسهم في موكب شعر التوسلات والتوبة والاستغفار فاطلع في الرحاب طلائع الكلم الصادق التائب يملأ الاحاسيس ويمد الاعماق عبر الاظاليل الندية بالنبرات الحية المعبرة الموحية الآسرة .

يتبع

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

---

5) الدعاء بأسماء الله الحسنى الاصل فيه قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) ولذلك اقبل العلماء والناس على الاعتناء بها رغبة في فضلها .

6) يشير الى قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) سورة غافر الآية 60 .

على هامش نداء اليونسكو

خلال شهر ابريل المنصرم شهدت مدينة فاس العاصمة العلمية للمملكة المغربية وحاضرة المغرب العربي الكبير ، شهدت احتفالا تاريخيا لهيئة اليونسكو انبعث من خلال نداء دولي يناشد ضمير العالم المتحضر لانقاذ آثار مدينة فاس باعتبارها دعامة من دعامات التراث العالمي اكثر منها علامة محلية لحضارة المغرب الاسلامية

واذا ما كان العالم المتحضر يدرك اليوم اهمية العناية بالتراث الانساني ويدعو للحفاظ عليه استجابة لجهود عدد من علماء العرب الدوليين وعلى راسهم تلك الشخصية المغربية العالمية الفذة ونعني بها الاستاذ محمد الفاسي الذي مثل العرب والمسلمين اصدق تمثيل في عدة لجان دولية لهيئة اليونسكو ، فان حماية الآثار الحضارية التي يزخر بها المغرب لتعتبر واجبا وطنيا بالدرجة الاولى ·

ان آثار مدينة فاس لتقف اليوم كورقة تعريف لجهود المغرب المسلم التاريخية في مجال التعمير حرية بان تبرزها لعالم اليوم دليلا على تكافل المجتمع بما توصل اليه من مؤسسات انسانية وتكامل الاقتصاد الذي انتج تلك الروائع العمرانية ، ويقظة الوعي الديني الذي كان دائما من وراء تفتق تلك العبقرية ·

ولا غرو فقد كان لانبثاق فكرة النداء العالمي لانقاذ مآثر مدينة فاس مؤشرا الى ابناء الوطن العربي قبل غيرهم كشركاء في ذلك التراث للاسهام كل حسب طاقته في ذلك الواجب القومي ·

ولعلي لا اكون مغاليا ان قلت ان عملية ابراز التراث والحفاظ عليه والتعريف به بقصد بناء الشخصية العربية المسلمة من الداخل أمضى سلاحا من قوة البترول ·

وفي هذا النطاق توجهت الى مدينة فاس ونواحيها لتحقيق بعض الابحاث المتعلقة بدراسة المنابر والعنزات والثريات الاسلامية ومن بينها منبر المدرسة الشهيرة باسم البوعنانية (1) المحفوظ حاليا بمتحف البطحاء بمدينة فاس · وقد رايتني بحاجة الى معاينة المكان الاصلي

---

(1) سنقصر هذا المقال على المدرسة البوعنانية ونخص متحف البطحاء بمقال آخر ·

للمنبر وهكذا توجهت الى الطالعة الكبرى حيث المدخل الرئيسي للمدرسة المذكورة وواجهتني لوحة رخامية صغيرة الابعاد ملتصقة بجانب المدخل على يمين الداخل حيث شاهدها بالضرورة جميع المشاركين في المؤتمر لاسيما وانها تحمل اسم المؤسس وتاريخ التاسيس الامر الذي يشغل دائما الزائر لاي اثر من الآثار .

وبديهي الا يشك احد المشاركين عربا واجانب الوافدين على المدرسة البوعنانية ضمن برنامج النداء العالمي لليونسكو في صحة البيانات المكتوبة باللوحة الرخامية المذكورة ، ان نقش اللوحة التاسيسية وتثبيتها في ذلك الموضع البارز من بناء كافيان للثقة في المعلومات الواردة بهـا .

ولما كان للمؤرخ والاثري عادة ما تنطبع في ذاكرته مجموعات من الاسماء والارقام تدور حولها احداث تاريخية تكون دوما كعلامات الاميال في طريق الرحلة الحضارية الطويلة ، فقد شعرت بالقلق بين ما حفر في اللوحة من معلومات وبين ما نقش في ذاكرتي من حقائق حول ذلك الاثر ومؤسسه .

على انه إن لم يكن ذلك النقش التاسيسي قد وضع بمكان بارز على هذا النحو بقارعة الطالعة الكبرى من مدينة فاس العتيق ، لكنت قصرت بحثي على النشر بمجال آخر اكثر تخصصا ، لكنه والحالة هذه كان لزاما أن نناقش المشكلة على مستوى أوسع لتصحيح الخطأ المحتمل انتشاره .

وهذا هو نص النقش التاسيسي المحفور باللوحة الرخامية المثبتة حاليا بمدخل المدرسة البوعنانية الشهيرة بمدينة فاس التي كان ولا يزال لها وضع خاص متميز عن بقية مدارس المغرب الى اليوم .

ويشتمل نص النقش المذكور على أربعة اسطر على النحو التالي :

1 ـ مدرسة

2 ـ البوعنانية اسسها

3 ـ ابو عنان المريني

4 ـ بتاريخ 759 هجرية

وعلى الرغم من أن موضوع الحقائق الواردة بالنص المشار اليه بعشرات من المصادر العلمية باكثر من لغة، غير أنني آثرت قبل المضي في التعليق أن أحيل القارىء ـ تيسيرا عليه ـ الى عدد محدود من المصادر العربية والاجنبية .

1 ـ جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي ، الجزء الثاني .

2 ـ كتابنا تاريخ شالة الاسلامية ، الفصل الثامن حول ما أسميته بعصر بناة المدارس .

3 ـ كتابنا حفائر شالة الاسلامية .

4 ـ كتابنا دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش المرينية بالمغرب الاقصى .

5 ـ الاستقصا للسلاوي ، الجزء الثالث .

6 ـ مخطوط المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق (مخطوط الخزانة العامة بالرباط او مخطوط الاسكوريال) .

7 ـ G. Marçais : l'Architecture Musulmane d'occident

8 ـ A. B.-L : Inscription arabes de Fès

ومنذ البداية نقول بان تسمية المدرسة موضوع البحث (بالبوعنانية) تسمية شائعة لكنها غير واردة بنقش التاسيس الاصلي والوثائق الاخرى العديدة حيث تسمى (المتوكلية) وليس (البوعنانية) ، ومن جهة اخرى فان تاريخ التاسيس الوارد بها وهو عام 759 هـ غير صحيح ، ان هذا التاريخ انما هو تاريخ وفاة السلطان أبي عنان المريني (3) وليس تاريخ بناء المدرسة التي

---

(2) لمزيد من المصادر البيليوجرافية بكتابنا دراسات جديدة في الفنون الاسلامية ...

(3) الاستقصا 3 / 205 (وقال في الجذوة : توفى ... الثامن والعشرين من ذي الحجة (759 م)

تؤكد المصادر ان السلطان أبا عنان شرع في بنائها سنة 751 هجرية واستغرق العمل في تشييدها سنين عددا الى ان كان الفراغ منه سنة 756 بعد هجرة رسول الهدى عليه صلوات الله .

دراسة نقش التاسيس والتحبيس على المدرسة المتوكلية (البوعنانية) بفاس :

درس العلامة الفرد مل الكتابات العربية التاريخيه لمدينة فاس وخلف لنا في تاليفه النفيس نص نقش رخامة التاسيس والتحبيس على المدرسة المتوكلية . فمن عصر الدولة المرينية الزاهر وصلت الينا لوحة تحبيس هذه المدرسة التي اتقن صنعها ونقشت بحروف نسخية بديعة تتخللها عناصر زخرفية قوامها زهيرات ثلاثية من ثلاثة نماذج متنوعة واوراق نخيلية مستقلة او ضمن مجموعات ، كما ينتهي الحرف الاخير احيانا بعنصر زهري

ويشمل نص اللوحة على 35 سطرا نورد اهم ما يعنينا منها توطئة لتحليله وتصحيح الاخطاء التي وردت للاسف بالرخامة الصغيرة الحديثة العهد المثبتة جانب بمدخل المدرسة الرئيسي ، وهذا هو اهم ما يعنينا من النص المذكور :

(... **امر بانشاء هذه المدرسة المباركة السنية المسماة بالمتوكلية المعدة لتدريس العلم والمفضلة باقامة فرض الجمعة امير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين المتوكل على الله ابو عنان فارس** ابن مولانا الامام العادل الفاضل ... **امير المسلمين ابي الحسن** ابن مولانا ... ابي سعيد ... **وكان ابتداء بنائها** في الثامن والعشرين لشهر رمضان المعظم **عام احد وخمسين وسبعمائة والفراغ منه آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة** وكان بناؤها على يدي الناظر في الحبس بحضرة فاس حرسها الله تعالى ابي الحسين بن احمد بن الاشقر وفقه الله تعالى ...)

1 - (امر بانشاء)

يفيد النص الصريح بان العملية كانت عملية انشاء مستقلة عن اي اثر سابق بنفس الموقع ، وتتضح قيمة ذلك النص عندما نعلم ما يعانيه المؤرخ والاثري ازاء صمت النصوص وغموض الحقيقة حول اولية البناء اذا ما كان اصليا او محولا من غرض لاخر او اضافة الى اثر سابق او زيادة وتوسعة .

2 - (هذه المدرسة)

تحديد صريح لمهمة البناء وصفته الاصلية ، وليس ذلك بالشيء الهين بالنسبة للباحثين ونكتفي هنا بالاشارة فقط الى المشاكل العلمية القديمة والمعاصرة التي طرحت منذ قرون حول طبيعة وصفة البناء القائم الى اليوم داخل أسوار شالة قرب الرباط وقد اعتبره المؤرخون والاثريون والرحالة والجغرافيون مسجدا عتيقا وقالوا أن بشالة مسجدين مسجد عتيق - وهو هذا البناء - ومسجد آخر بناه أبو الحسن المريني - لقد ظل هذا الاعتقاد سائدا الى حين اكتشاف نص التاسيس الذي اوضح طبيعة البناء كزاوية ونسبه في صراحة الى ابي سعيد عثمان المريني والد ابي الحسن ، والى ان كشفت الحفائر التى قمت بها شخصيا منذ عام 1957 على أن المسجد الذي نسبوه الى ابي الحسن كان مسجدا عتيقا ارخت له بينما ما اسموه مسجدا عتيقا لم يكن سوى زاوية أبي سعيد عثمان المريني (3) .

ومن جهة أخرى فان التحديد الصريح بوظيفة البناء كمدرسة يدخل في محور السياسة العامة والرئيسية التى تدور حولها وعليها حكم الدولة المرينية، لقد أوضح الاستاذ محمد الفاسي (4) بان الدولة المرينية اتخذت

---

(3) كتابنا حفائر شالة الاسلاميه ، دراسة زاوية ابي سعيد عثمان .
(4) الدولة المرينية ومميزات العصر المريني ، سلسلة محاضرات بكلية الآداب الرباط 1961 ، وانظر كتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 273 / 281 للوقوف على شرح فكرة الاستاذ الفاسي .

من نشر العلم أساسا لها ترتكز عليه نظرا لعدم وجود نسب شريف تقوم عليه ايديولوجيتهـا .

3 ـ (المسمـــاة بالمتـوكليـــة) :

ونبدا الان بمناقشة قول أدلى به أخـونا الاستاذ الدكتور عبد الهادي التازي في موسوعته القيمة حـول جامع القرويين حيث يقول في الجزء الثاني (ان السلطان العظيم أبا عنان رأى ضرورة انشاء مدرسة باسمه في سوق القصر الذي يحمل اليوم لسم الطالعة الكبرى) (5) . اننا عندما نكون اكثر دقة نقول ان المدرسة نسبت الى لقب الامير المريني وليس اسمه ، ذلك أن لكل من امراء بني مرين اسمـه ثم كنيتـه فلقبـه مما هو وارد بكل تفصيل بروضة النسرين . وهكـذا فان اسم الاميـر المؤسس هو (فارس) وكنيته (أبو عنان) أما (لقبه) فهو (المتوكـل) واذن فالمدرسة نسبت الى لقبه (المتوكل) وعرفت برخامة التاسيس الاصلية (بالمتوكلية)

وها هو الفرد بل (BEL .) الذي قام بدراسة مستفيضة لنقوش مدينة فاس العربية وكتاباتها التاريخية (6) يقول بان هذا السلطان يعني أبا عنان كان كسلفه وتابعيه (تبعا للنقوش الكتابية وغيرها من الوثائق) يستعملون الكنية بدل الاسم فقد استمر هذا التقليد لدى كبار الشخصيات وخاصة بالنسبة لملوك المرينيـيـن و أبناء عمومتهم بني عبد الواد ملوك تلمسان . ويضيف الفرد بل باننا لا نعرف لذلك تفسيرا الا ان المسلميـن يعتبرون الاشارة بالكنية اكثر احتراما .

ومن جهة اخرى ، فان الدكتور عبد الهادي التازي عندما تعرض لهذه المدرسة في بحثه الممتاز عن مدارس فاس حول جامع القرويين قال (وهي المدرسة الوحيدة التي بناها السلطان ابو عنان وقد تسمى بالمتوكلية (7)

ولعلنا نؤثر هنا أن نقف ونستوقف ، فاذا كان الدكتور التازي يقصد انها كانت المدرسة الوحيدة التي بناهـا ابو عنان بفاس فلا بأس في ذلك غير انه لم يفصح عن ذلك . لقد اتم ابو عنان مدرسة والده ابي الحسن التي كان قد بدأ تشييدها بمكناس نسبت المدرسة المكناسية الى الابن الذي لم يقتصر فقط على نسبة بناء بداه أبوه اليه ، لقد قفز على الملك ذاته وعزل والده واستاثر دونه بحكم المغرب . وازاء عدم تحديد الدكتور التازي للعبارة فالاغلب انه يعني أن مدرسة فاس موضوع البحث الان كانت المدرسة الوحيدة التي بناها ابو عنان بالمغـرب . نني لا أعرف سببا واضحا لتجاهل الكثيرين لمدرسة خرى بناها ابو عنان بمدينة سلا قرب الرباط ، ان غالب لمؤرخين والذين يهمهم الموضوع يقولون بان بمدينة سلا مدرسة بناها ابو الحسن المريني ، ان المرشدين السياحيين نفسهم لا يقودون السائحين الى غير مدرسة واحدة وهي مدرسة ابي الحســن بسـلا . ونظرا لاحساسي بذلك الغموض فقد سبق ان اوضحت بكتابي تاريخ شـالة الاسلامية أن هناك مدرسة مرينية اخرى بمدينة سـلا وهي المدرسة المسماة بالمدرسة (العجيبة) التي شيدها أبو عنان المريني بن ابي الحسـن وقد اشرت الى تطور اسماء تلك المدرسة وعمارتها (8) وقد اشار اليها السلاوي في الاستقصا بقوله (ومن مدارسه ـ يقصد ابا عنان ـ المدرسة العجيبة بحومة باب حسين من سلا وقد صارت اليوم فندقا يعرف بفندق اسـكـور ...) (9)

4 ـ (اميـر المؤمنيـــن) :

يعتبر لقب الامارة الى حد كبير من بين القرائـن الدالة على قوة السلطان واتساع الملك ، وان ثبوت لقب أمير المؤمنين هنا في نقش التاسيس والتحبيس على المدرسة ، ليعتبر دليلا على تمسك ابن عنان باللقب

---

(5) جامع القـرويين 2/360

(6) Inscriptions Arabes de Fès Journal Asiatique

(7) جامع القرويين ج 2 ص 363 ـ 364 تعليق رقم 27 .

(8) كتابنا تاريخ شالة الاسلامية ، ص 298

(9) الاستقصـا 3/206

واستئناره به حيث نقرأ (اميـر المؤمنيــن ... ابـن مولانا الامام العادل الفاضل ... امير المسلميـن ابـي الحسن ...) فقد كان ابو عنان كما اوضحت في ابحاثي عن الالقاب (10) الوحيد بين ملوك بني مرين الذي اقترن اسمه بلقب امير المؤمنين وذلك على الرغم من تجـاوز بعض المؤرخين وعدم تحريهم الدقة او مجاملتهم مما نراه كثيرا في روضة النسريـن على سبيل المثال . ان ادراك تلك الحقيقة يساعد المؤرخ المعاصـر علـى حـل بعض المشاكل اذ انني استعانة بتلك القاعدة استطعت الوصول الى ان نقش التأسيس الذي تم العثور عليه داخل اسو . شالـة المرينية ورمم وركب بموضعه الحالي من زاوية ابي سعيد عثمان والد ابي الحسن كان نقشا مزيف الترميم بسبب اشتماله على لقب امير المؤمنيـن . لقد تابعت تفاصيل المشكلة الى ان وصلـت الى الرجـل المعاصـر لعملية الترميم المرحوم المعلم مصطفى فيلال امين الصنعة بدار المخزن الذي اثبت لي بالادلة خطا ترميم النقـش ووافق ذلك عثوري اثناء الحفر على بقايا النقش الاصلية ابتداء من عـام 1957 .

5 ـ (المجـاهــد في سبيــل رب العالمــين) :

انه لقب تاريخي ينطبق على الواقع المعاش علـى الحقيقة خلال عصور المغرب الاسلامية وليس من قبيـل القول المعـاد . ان الجهاد في سبيل الله لم يكن شعارا مغربيا دون كيان فعلي . ان الجهاد ببذل النفس والمال وحتى الارض وحرية اهلها حدث عندما هب المغاربـة مجاهدين في سبيـل الله ونجدة جيرانهـم المسلميـن وتحريرهم من الاستعمار الفرنسي الاخير رغم يقينهم بعدم الصمود امام امكانيات عدو الله المستعمر الاجنبي . انه بدا بوصول سبط رسول الله المولى ادريس الاكبر الى تراب المغـرب بدا سيل الجهاد في سبيل اللـه الذي قاده اهل البيت واسسوا به اول دولة اسلامية بهذا الركن من الشمال الافريقي ثم هؤلاء هم المرابطون الذين هبو لنصرة الاسلام الذي تخاذل اهله بالاندلس . ان جهاد المغرب المرابطي في سبيل الله بالقارة الاوربية كان وراء امتداد ظل الاسلام وازدهار حضارته اربعة قرون اخرى . وكان دور الموحدين اجل من ان يخلو منه كتاب في التاريخ يتعلق بامجاد الاسلام الذي سرى شمالا وانطلق شرقا الى ان وصل حدود مصر الغربية واشترك اسطوله الذي سيطر على بحر الحضارات في التصدي لخطر الزحف الصليبي الى مشـرق العـالم الاسلامي . أما دولة بني مرين التي تناولتها مـرارا أبحـاث الاستاذ محمـد المنـاسي فـقـد وهبـت نفسها للجهاد في سبيل الله منذ جاز مؤسسها الحقيقي يعقوب بن عبد الحق اربعة مرات الى الاندلس وترك خلفه تفاصيل رائعة زخر بها روض القرطاس وغيره حيث ظل مسلمو الاندلس تحت وصاية المغرب وحمايته أغلب أيام دولة المرينيين .

وعندما يعود الاشراف لدائرة المسؤولية والحكم مرة اخرى ، تسمع عن دفع الاشراف السعديين بالاسـلام الى قلب افريقيا الغـربية ومالي ومـا وراء ذلك . ان الجهاد في سبيل الله لم ينقطع من مسيرة مغـرب السعديين الذي اوقف الرجل المريض على حدوده واضطر قوى البغي الاستعمـاري الصليبـي الى التراجـع عـن حدوده وثغوره ... الـم تكـن موقعة وادي المخـا موقعة مغربيـة اسلاميـه ... ! وها نحن نـرى ان جذوة جهاد في سبيل الله لم تخب أبدا طـوال فتـرة حكم الاشـراف العلوييـن بل ان ذلك كـان بمثابـة الايديولوجية الـوحيدة التي من اجلها قبل الاشـراف العلويون مسؤولية الحكم التي كانوا زاهدين فيه منذ قرون مضت . وما حروب الصحراء المعاصرة التي نراها اليوم الا اتصالا لجهادهم المتواصل في سبيل الله . وللبحث بقيه بالعـدد القادم بحول الله تعالى .

الرباط ـ الدكتور : عثمان عثمان اسماعيل

---

(10) كتابنا دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغـرب الاقصى .
(1) نفـس المصـدر والفـصل .



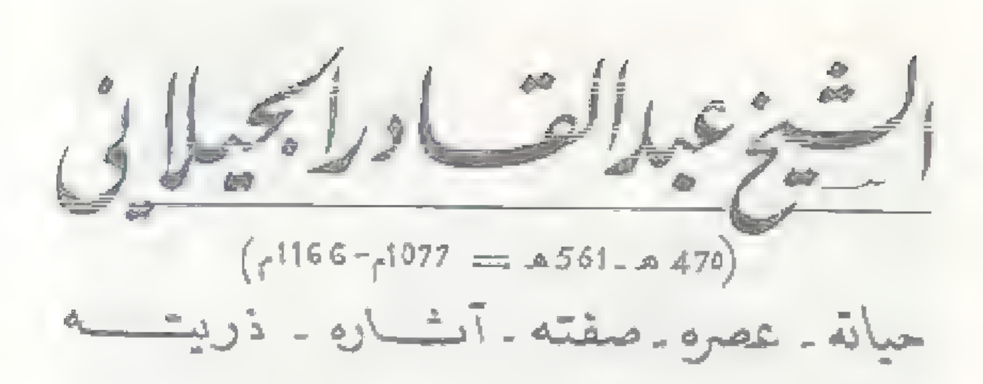
صحن زاوية أبي سعيد عثمان بشالة



[illegible]



[illegible]



للاستاذ عبد القادر القادري

طلب منى الدكتور جمال الدين الشيال المستشار الثقافى السابق لسفارة جمهورية مصر العربيــــة بالرباط الكتابة عن الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وها انا اليوم البى الطلب خدمة للتاريخ .

● نسبــه الشريــف :

الذين تحدثوا فى كتب التراجم بالعربية والفارسية والتركية والفرنسية والانجليزية والالمانية عن الشيخ عبد القادر الجيلانى ، ذكروا انه : شيخ الاسلام تاج العارفين وسلطان الصالحين محيى الدين ابو محمد عبد القادر الجيلانى ابن ابى صالح موسى جنكـى دوست (ومعنى جنكى دوست بالفارسية عظيم القدر) ابن عبد الله الجيلى بن يحيى الزاهد بن محمد بــن داود بن موسى ابن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الامام الحسن بن الامام على بن ابى طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اتفق المؤرخون من عرب وفرس وتـرك وهنود وكرد وفرنسيس وروس وانجليز والمان وغيرهم لهذا النسب انه كما ذكـر .

● أمــه :

هى السيدة فاطمة بنت عبد الله الصومعـى وتكنى بأم الخيـر .

● ولادتــه ومسقــط راســه :

ولد المترجم يوم الخميس فاتح رمضان المعظم عام 470 هـ — 1077 م بمدينة رشـت RASHT عاصمة اقليم جيلان الواقعة على ساحل بحر قزوين.

وجيلان الذي ينتسب اليه الشيخ عبد القــادر الجيلانى اقليم فارسى (ايرانى) يقع فى الجنــوب الغربى لبحر قزوين ويرويه نهر يعرف بهذا الاسم وتتع بالقرب من مصبه مدينتا رشت وبهلوي ، اشتق اسم جيلان من الجيالى بمعنى الوحل لكثرة المستنقعـات التى تغمر الاقليم ، تردد اسمها فى الاشارة الى كثير من الاحداث التاريخية التى جرت فى هذا الاقليم وقــد

احتلته روسيا القيصرية اثناء الحرب العالمية الاولى ثم خرجت منه ثم خرج الروس منه عند نشوب ثورة اكتوبر 1917 ثم احتلوه مرة ثانية اثناء الحرب العالميه الثانية ، وفى عام 1945 انسحب الجيش الروسي منه تدخله على راس الجيش الايرانى محمد رضا بهلوي شاه ايران السابق .

● لقبــه :

كان المترجم يلقب بالباز الاشهب وكان هــو ايضا يقول :

انا بلبل الافراح املأ دوحهـا
طربا وفى العلياء بـاز اشهـب
أنـا الباز اشهب كـل شيـخ
ومن ذا فى الرجال اعطى مثالى

● نشـاتـه وتربيتـه :

نشأ الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه يتيما لا أب له فكفله شقيقه الشيخ احمد الذي كان اكبر منه سنا وحضنته امه السيدة فاطمة ام الخير وكان لها حظ وافر فى الخير والصلاح ولقد نقل عنها انها قالت : كان ولدي عبد القادر لا يرضع ثديـا فى نهار رمضـان ، وكان بعد خروجه من طور صباه مثال الاخلاق الحميدة الى ان بلغ اجل سفره لبغداد للتزود بالمعرفة وهو ابن ثمانى عشرة سنة فضيقت عليـه الارض بما رحبت واصبح يحس بغربته بين اهلـه ووحشته فى حال انسه بعد ذلك اخذ يلح بالذهـاب ويستأذن أمه الحادبة عليه فى الاغتراب . وقد حكى انه سمع بذلك صوتا يامره بالرحيل . ومن اجل ذلك فارق مسقط راسه مدينة رشت الايرانية باقليم جيلان وكان قبل فراق وطنه قرا القرآن العظيم حتى اتقنه وحفـظ الاحاديث والمتون .

● دراسته وشيوخـه ونبـوغـه :

دخل بغداد سنة 488 هـ ـــ 1095 م وله ثمانى عشرة سنة وهى السنة التى خرج فيها ابو حامـد الغزالى من بغداد فشمر الشيخ عبد القادر الجيلانى عن ساعد الجد والاجتهاد لاغتنام ما تغرب لاجلـه وفارق اهله وبلاده رغبة فى تحصيله فقام فى اخـذ العلوم الشرعية وغيرها على جماعة من فحول علماء ذلك العصر الذهبى المجيد منهم : ابو الوفا بن عقيل وابو الخطاب محفوظ بن احمد الكلوداني ، وابـو الحسن محمد بن القاضى ابن يعلى بن الحسين بـن محمد الفراء وابو سعد المبارك بن على المخزومى وابو غالب محمد بن الحسن بن احمد بن الحسـن البقلانى وابو سعد محمد بن عبد الكريم بن خشيش ، وابو الغنائم محمد بن على بن ميمون المرنسـى ، وابو بكر أحمد بن المظفر برسوس التمار ، وابـو محمد جعفر بن ملة الاصبهانى ، وابو نصر محمد ، وابو غالباحمد وابو عبد الله يحيى وابو الحسـن المبارك بن عبد الجبار بن احمد بن القاسم الصيرفى المعروف بابن الطيوري وابو البركات طلحة بن احمد العقلولى ، وابو محمد جعفر بن احمد بن الحسـين القاري السراج ، والشيخ على التبريزي وغيرهم ، ثم عنى بعد ما اتم دراسته العلمية والروحية بالاصلاح وارشاد الخلق الى الحق وجمع بين الرئاسة الدينية والرئاسة العلمية وكان ابو سعيد قد بنى مدرسـة لطيفة بباب الازج ففوضت اليه وتكلم مع النـاس بلسان الوعظ وظهر له صيت فضاقت مدرسته بالناس فى ازدحامهم على مجلسه فجلس للناس عند السور اياما ثم وسعت بما اضيف اليها من المنازل والامكنة التى حولها وبذل الاغنياء فى عمارتها اموالهم وعمل الفقراء فيها بانفسهم واكتملت المدرسة فى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وصارت منسوبة اليه وتصدر بها التدريس والفتوى والوعظ مع الاجتهاد فى العلـم

والعمل وجمع الله قلوب عباده على حبه والهم المستهم بالثناء عليه وانتهت اليه رئاسة العلم والتربية والاصلاح والارشاد والدعوة الى الله بالعراق وقصده الناس من الآفاق ورزقه الله الوجاهة والقبول وهابه الخلفاء والملوك والوزراء . قال الشيخ موفق ابن قدامة صاحب المغنى : لم ار احدا يعظم من اجل الدين اكثر منه ، وكان يحضر مجالسه فى بعض الاحيان الخليفة والوزراء والعلماء والفقهاء وقد عد فى بعض مجالسه اربعمائة محبرة .

● عصـــره :

قضى الشيخ عبد القادر الجيلانى ثلاثا وسبعين سنة فى بغداد ، وعاصر خمسة من الخلفاء العباسيين دخل بغداد والخليفة المستظهر بامر الله ابو العباس (512 هـ) وجاء بعده المسترشد والراشد والمقتفى لامر الله والمستنجد بالله ، وكان هذا العصر الذى عاش فيه الشيخ عبد القادر الجيلانى مليئا بالحوادث الجسام وكانت بغداد مركزها وكان الصراع قائما بين الخلفاء والسلاطين من آل سلجوق الذين كانوا حريصين على بسط نفوذهم وسيطرتهم على الدولة العباسية ونيابة الخليفة برضى من الخليفة وموافقة منه مرة وبإباء وكراهية منه اخرى وقد تقع معركة بين جيش الخليفة وجيش السلطان ويتقاتل المسلمون شاهد الشيخ عبد القادر الجيلانى هذه الحوادث الاليمة ورأى ما اصيب به المسلمون من تشتت وافتراق وتناحر وما استولى عليهم من حب الدنيا والتقاتل على الملك والجاه والسلطان وانصراف الناس الى المادة والمناصب والولايات ، وكان للمسلمين انتفاخ قوي الى الجاهلية ولقد كانت هذه الاوضاع خطرا كبيرا على الاسلام وعلى المزاج الاسلامى ، فكان المجتمع الاسلامى المحاط بهذه الاخطار فى حاجة شديدة واكيدة الى مصلح دينى ومجدد اسلامى ممن الطبقة الاولى يحارب الجاهلية التى تسربت الى الاسلام فى عاصمتها وفى اوجها وينفخ روحا ايمانية جديدة فى هذا العالم المنهار .

لقد وجد هذا المصلح — يقول الاستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوي فى كتابه رجال الفكر والدعوة فى الاسلام طبع جامعة دمشق — فى شخص الشيخ عبد القادر الجيلانى الذي ظهر فى بغداد فى اخر القرن الخامس الهجري وتسلم الزعامة الدينية وعاش نحو قرن فردا فريدا فى الدعوة الى الله والتف حوله العالم الاسلامى واثر فيه تأثيرا لم يؤثر مثله عالم او مصلح من مدة طويلة ، وقد كانت مواعظه وخطبه مطابقة لعصره واهل عصره تتناول شؤونهم وما هم فيه من علل واسقام تطب قلوبهم وتداوي امراضهم وترد على ضلالتهم وكانت تضرب دائما على الوتر الحساس وتمس قلوبهم وتجمع هذه المواعظ بين صولة الملوك ورقة الدعاة وبين زجر الاباء ورفق الاطباء .

ولم يمنعه اشتغاله بالوعظ والارشاد وتربية النفوس من الاشتغال بالتدريس ونشر العلم ونصر السنة والعقيدة الصحيحة ومحاربة البدع ، وقد كان فى العقيدة والفروع متبعا للامام احمد والمحدثين والسلف ، وقد كان قوي الاشتغال بالتدريس عالما متفننا ، قالوا : كان يتكلم فى ثلاثة عشر علما وكان يفتى على مذهب الامام الشافعى والامام احمد بن حنبل رضى الله عنهما وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم اشد الاعجاب .

وانتهى اليه جمع عظيم من العلماء والمشايخ والصلحاء وتتلمذ له خلق كثير . وقد بلغ عدد مجالسه اثنى وستين مجلسا .

وكان لمجالسه تأثير عظيم ونفع كثير قال الشيخ عمر الكسانى :

لم تكن مجالس سيدنا الشيخ عبد القادر رضى الله عنه تخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى ولا

ممن يتوب من قطاع الطريق وقاتلى النفس وغير ذلك من الفساد ولا ممن يرجع عن معتقد سيء .

● شعره :

كان المترجم ينظم الشعر بالعربية والفارسية والتركية كما يقول المستشرق الانجليزى مرجيوليت .

ومن شعره وهو من بحر الكامل :

ما فى المناهل منهل مستعذب
الا ولى فيه الالذ الاطيب

او فى المعالى مكانة مخصوصة
الا ومنزلى اعز واقرب

ومنه قوله من بحر الطويل :

اذا ضاق حالى اشتكيت لخالقى
قدير على تيسير كل عسير

فما بين اطباق الجفون وحلها
انجبار كسير وانفكاك اسير

ومن شعره فى قصيدته الغوثية :

سقانى الحب كاسات الوصال
فقلت لخمرتي نحوي تعالي

سعت ومشت نحوي فى كؤوس
فهمت بسكرتى بين الموالى

اظما وانت العذب فى كل منهل
واظلم فى الدنيا وانت نصيري

ومن شعره كذلك القصيدة التى ينشدها الجوق الوطنى المغربى والتى مطلعها :

يا رسول الله خذ بيدي

ومن شعره ايضا :

انا قادري الوقت عبد القادر
اكنى بمحيى الدين والاصل كيلانى

● كراماته :

اتفق المؤرخون على كثرة كرامات الشيخ عبد القادر الجيلانى ، قال الشيخ موفق الدين صاحب المغنى : « لم اسمع عن احد يحكى عنه من الكرامات اكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر » وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام : « انه لم تتواتر كرامات احد من المشايخ الا الشيخ عبد القادر فان كراماته نقلت بالتواتر » وكذلك قال شيخ الاسلام ابن تيمية . ولكن من اجل كراماته يقول الاستاذ ابو الحسن علي الحسنى الندوي فى كتابه رجال الفكر والدعوة فى الاسلام احياء موات النفوس والقلوب وزرع الايمان وخشية الله وحبها فيها واشعال مجامر القلوب التي انطفأت من جديد فقد اعاد الله به الى قلوب لايحصيها الا الله حياة وايمانا وهبت بمواعظه وتربيته ريح من الايمان عشبت بها قلوب ميتة وتشعشعت بها نفوس خامدة وانطلقت فى العالم الاسلامى موجة من الايمان الجديد والروحانية القوية والاخلاق الفاضلة والتقوى وقد هيا الله له الزعامة الدينية والروحية فى العالم الاسلامى فاختار له بغداد — عاصمة المملكة العباسية وقلب العالم الاسلامى — وجاءته بغداد — وهى اكبر مدن العالم — تسعى وازدحم الناس عليه ازدحاما كبيرا .

يقول الدكتور على زعيور فى كتابه : « الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم » : ولد البطل الصوفى عبد القادر الجيلانى فى هلة رمضان (يوم مقدس) ولم يكن يرضع ثدي امه ابان الصيام (سلوك مقدس) واذا لم يعرفوا بداية ذلك الشهر المعظم فقد جاؤوا امه وسالوها . اجابت : لم يقضم له اليوم ثديا فانفضح لهم ان ذلك كان اول شهر رمضان ، هنا اذن تنشا المولود وارشد قومه وتلقى علمه لدنيا دون تجربة ولا اكتساب او تذكر انه منقذ جماعته من حيرتهم والبطل الاول المعروف قبل ولادته وذو الطفولة المتميزة .

ويذكر المستشرق الانجليزي مرجوليث فى كتابه عن الشيخ عبد القادر الجيلانى بعض كراماته التى حيرت الاذهان .

ومن المدهش حقا ان كرامات الشيخ عبد القادر الجيلانى ظهرت حتى فى العصور الحديثة اي فى سنوات 1732 م ، 1917 م ، 1945 م ، 1963 م ، ذلك ان روسيا القيصرية احتلت اقاليم فارسية فى عهد بطرس الاكبر وفى سنة 1732 م وافقت القيصرة آن على ان تخلى لنادر شاه عن الولايات الفارسية وتعيدها الى ايران وتم الاتفاق فى معاهدة رشت 1732 م التى هى مسقط راس الشيخ عبد القادر الجيلانى — على استرداد فارس لكل من مازندران واستراباد وجيلان التى ينسب اليها الشيخ عبد القادر الجيلانى . وفى سنة 1917 م نشبت الثورة البلشفية فى روسيا فخرجت الجيوش الروسية التى كانت تحتل اقليم جيلان من هذا الاقليم . وفى سنة 1945م انسحب الجيش الروسى الذي كان يحتل شمال ايران طيلة الحرب العالمية الثانية من اقليم جيلان حيث دخل شاه ايران السابق محمد رضا بهلوي الى هذا الاقليم على راس الجيش الايرانى . وفى عام 1946 م طلب الانجليز من الملك عبد العزيز آل سعود ان يسلمهم الزعيم العراقى الشهير رشيد عالى الكيلانى الذي كانت محاكم بغداد حكمت عليه بالاعدام شنقا غيابيا فى يناير 1942 فلبث فى اوربا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية واستطاع ان يفلت من حصار الحلفاء ورقابتهم ويستجير بالعاهل السعودي فأجاره واكرم وفادته ولكن هذا العاهل ابى ان يسلمه الى الانجليز لينفذوا فيه حكم الاعدام الصادر ضده وصرح لهم انه مستعد لتسليم ولدين من اولاده ليعدما بدلا من رشيد عالى الكيلانى حفيد الشيخ عبد القادر الجيلانى وبعد مضى عام على قيام ثورة يوليوز 1958 م بالعراق بقيادة عبد الكريم قاسم اتهم هذا نائبه فى الوزارة العراقية السيد عبد السلام عارف والسيد رشيد عالى الكيلانى بتدبير مؤامرة لاغتياله فحكم عليهما بالاعدام وسجنهما غير انه لم ينفذ فيهما الاعدام بسبب نجاح الانقلاب الذي قاده عبد السلام عارف فى 8 فبراير 1963 م (14 رمضان 1373) فقدم عبد الكريم قاسم لمحاكمة سريعة وحكم عليه بالاعدام بدلا منهما فى 11 فبراير 1963 وعلى هذا فتصديق الكرامة يتطلب قوة فى الايمان تصنع العجائب وتزيل حجب المادة عن القلوب وغشاوتها عن الابصار .

● صفته ولباسه واخلاقه :

كان نحيف البدن ربع القامة عريض الصدر عريض اللحية طويلها اسمر مقرون الحاجبين ادعج العينين ذا صوت جهوري يلبس لباس العلماء ويتطيلس ، وكان من اخلاقه ان يقف مع جلالة قدره مع الصغير والجارية ويجالس الفقراء وكان لا يقوم قط لاحد من العظماء واعيان الدولة ، قال الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن يوسف البرزالى الاشبيلى : كان الشيخ عبد القادر الجيلانى مجاب الدعوة سريع الدمعة دائم الذكر كثير الفكر رقيق القلب دائم البشر كريم النفس سخى اليد غزير العلم شريف الاخلاق طيب الاعراق مع قدم راسخ فى العبادة والاجتهاد .

● ثورة الشيخ عبد القادر الجيلانى :

فى القرن الخامس الهجري وهو القرن الذي جاء فيه الشيخ عبد القادر الجيلانى عمت الفوضى المجتمع البغدادى ، يقول هاشم الاعظمى خطيب جامع الشيخ عبد القادر الجيلانى : تماجت الارض وبلبلت بعض الافكار وتسلط الظلم وانحرفت بعض النفوس عن جادة الحق وظهرت الفتن واتجه التصوف اتجاها يكاد يكون استقلاليا له فلسفة خاصة لا يتصل بالشريعة الا اتصالا جانبيا وبرزت شطحات من

بعض الصوفية ، ووحدة الوجود شاع أمرهـــا فى الاوساط العلمية والناس بين منكر لها ومؤيد لمعناها فكان لابد من شيخ مصلح ومرشد ناصح وزعيم ديني يستطيع ان يوقف تيار الظلم ويغير مجرى الاتجـاه الصوفى المنحرف عن الحقيقة ، فكان هذا المصلـح والمرشد هو الشيخ عبد القادر الجيلانى الذي يعلن ثورة على تلك الاوضاع حتى استطاع ان يرجــع التصوف الى مكانته الحقيقيه ومورده الكتاب والسنه ويخمد جذوة دعوة وحدة الوجود ويقطع الســـاس مردديها بالبراهين الشرعية والادلة العقلية والحقيقة الصوفية .

● طريقتـــه :

عندما لمع الشيخ عبد القادر الجيلانى رضـى الله عنه فى سماء العلم والتصوف والحقيقة وطـــار صيته الى كل مكان يقول الشيخ هاشم الاعظمـى — خطيب وامام جامع الشيخ عبد القادر الجيلانـى ببغداد — تشوقت النفوس الى غذاء طريقته وهبت الارواح للتعطر بمسك هديه واستجابت القلوب لندائه وارشاداته وقد كان العراق ذا حظ يغبط عليه حيث حل فى ربوعه الشيخ الجيلانى فاشرقت القلـــوب بشمس طريقته وأسست التكايا فى انحاء متعددة من البلد وامتد نورها حتى وصل المغرب بواسطة ابنه الشيخ ابراهيم المتوفى سنة 592 هـ ، فاضاء الشيخ قلوبا فى غرناطة ثم الى فاس حيث انشئت فيها خلوة باسم الشيخ عبد القادر كما انتشرت فى آسيا الوسطى والشرق الاوسط والشرق الادنى وافريقيا حتى كثر فيها المشايخ والمريدون والمرجون ولها تكايا متعددة.

وقد ذكر لى شخصيا — يزيد قائلا الشيخ هاشم الاعظمى — المرحوم احمد ابلو الزعيم الروحى لنيجيريا ورئيس وزرائها الذى قتلته الصهيونية العالمية وذلك حين زار ضريح الشيخ عبد القادر الجيلانى ببغداد ، قال لى ان جدي حمل الراية القادرية متكلا على الله ثم اعلن الثورة على الانجليز وكانت نتيجة الثورة ان انتصر على الانجليز وطردهم فكانت الطريقه القادريه مشعل الثورة المنتصرة كما اخذ ستارا قادريا للتبرك بـــه » .

وقد نبغ من اتباع الطريقة القادرية عظماء فى السياسة والحرب نذكر منهم على سبيل المثـــال لا الحصر : الامير عبد القادر الجزائري الذي قاوم الغزو الفرنسى للجزائر فى القرن الماضى زهاء 15 سنـــة من سنة 1832 الى سنة 1847 والامام محمد أحمد المهدي بطل ثورة الدراويش بالســـودان ضـــــد الانجليز وثوره جد احمد ابلو بنيجيريا فى القرن الماضى ضد الانجليز والامبراطور سانوري ثوري جد احمد سكوتوري الرئيس الحالى لغينيا وبطل ثورة السودان الفرنسى (1846 — 1905) ، وراغب باشا الصدر الاعظم فى عهد السلطان مصطفى الثالث عامل تركيـــا والشيخ ماء العينين وابناه الهيبة ومربيه ربـــــه فى الصحراء المغربية وشنقيط وموريتانيا فى اواخـــر القرن الماضى واوائل القرن العشرين والى سنة 1935 ، وابن ناصرين شهرة فى الجزائر من سنـــة 1850 الى سنة 1871 حيث شارك فى ثورة 1871 التى اشتهرت بثورة المقرانى احد زعمائها ، واحمد ابن ادريس الفاسى مؤســس الطريقة الاحمديــــة فى السودان ومحمد بن على السنوسى بليبيا الذى كان قادريا ثم اسس سنة 1837 طريقته التى تنتسب اليه.

ن الطريقة القادرية — يقول الاستاذ ابراهيم الدروبى مؤلف كتاب البار الاشهب فى حياة الشيخ عبد القادر الجيلانى طبع بغداد سنة 1955 م — التى اسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى تستند علـــى الكتاب والسنة وعلى هذا الاساس اكتسبت ثوبـــا قويا جعلت النـــاس ان يصفونها بانها زبدة الديـــن الاسلامى الحنيف وخلاصه وقد نالت هذه الطريقة رغبة لما عرفت بالصلاح والزهد ولم يدخلها القلـــو

مـــؤلفاتـــه :

الف صاحب الترجمة كتبا كثيرة بالعربيــــة والفارسية والتركية ، وها هي اسماؤها حسب ما جاء في كتاب : الشيخ عبد القادر الجيلاني أكبر ولــي في الاسلام تاليف محمد على عيني الاستاذ بجامعــــة اسطنبول وصيمور منير طبع باريس باللغة الفرنسية سنة 1967 بمطبعة المكتبة الشرقية لصاحبها بــول جوتنيــــر :

الفتية ــ الفتح الرباني ــ فتوح الغيــب ــ المواهب الرحمانية ــ جلاء الخاطر ــ يواقيت الحكمة

اوامر عبد القادر : توجد بمكتبة فوز الله الشيخ مراد بتركيا تحت رقم 251 .

دلائل عبد القادر : ترجمها الى التركية سليمان حسي افندي طبع اسطنبول ــ رسائل الشيخ عبد القادر بالفارسية : ترجمها الى العربية حسام الدين المتقى رفعت وترجمها الى التركية رفعت سليمــــان باشا عامل مدينة بروصة بتركيا ــ طبع اسطنبــول عام 1860 مما يدل على ان الشيخ عبد القادر الجيلاني كان يراسل مريديه بايران باللغة الفارسية .

سر الاسرار : يوجد بمكتبة جامعة اسطنبول بتركيا تحت رقم 3616 ، قصيدة الغوثية ترجمها الى التركية السيد تشابان او غلو عارف بك طبع اسطنبول.

صلوات عبد القادر الجيلاني : علق عليها السيد النابلسي وتوجد بمكتبة سليم اغا بمدينة سكوتــاري بتركيا تحت رقم 283 .

ديوان عبد القادر الجيلاني بالفارسية ، ويوجد بجامعة اسطنبول تحت رقم 1865 ــ مكتوبات : وهي مخطوط بمكتبة الشيخ كرامة في طرابلس الشام

وصيتــــه:

اوصى المترجم ولده عبد الرزاق فقال لــه : اعلم يا ولدي وفقك الله تعالى واياك والمسلمــين اوصيك بتقوى الله العظيم وطاعته ولزوم الشــرع وحفظ حدوده واعلم يا ولدي وفقنا الله تعالى واياك والمسلمين ان طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدر وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفاء وحمل الاذاء والصفح عن عثرات الاخوان والنصيحة للاصاغر والاكابر وترك الخصومة الا في امور الدين واعلم يا ولدي وفقنا الله تعالى واياك والمسلمين ان حقيقة الفقر ان لا تفتقر الى من هو مثلك وحقيقــة الغنى ان تستغني عمن هو مثلك وان التصوف حال لا لمن ياخذ بالقيل والقال الخ ...

وفاتــه وتاريخهـــا :

توفي المترجم ببغداد ليلة السبت الثامن من شهر ربيع الثاني عام 561 هـ ودفن بمدرسته ببــاب الازج وعمره احدى وتسعين سنة قال بعضهـــم مشيرا الى تاريخ ولادته ووفاته وعمره بحســـاب الجمل .

ان بــاز الله سلطـــان الرجـــال
جـــاء في عـــشق ومات في كمـــال

وقال آخر :

لقد كان مـــن عـــشق وعمر به نمـــا
ولقياه للمولى تمـــام سيـــادة

قال العلامة يوسف سبط ابن الجوزي : دفن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ليلا لكثرة الزحام فانه لم يبق ببغداد احد الا جاء وامتلات الحلبة والشوارع والاسواق والدور فلم يتمكن من دفنه نهارا .

وما زال ضريحه الى يومنا قبلة مريديه في المشرق والمغرب وذكر اوليا جلبى ان السلطان سليمان القانونى عاهل تركيا خصص مائة الف دينار لقبة الشيخ عبد القادر الجيلاني حينما فتح بغداد سنة 941 هـ كما ان السلطان مراد الثالث عاهل تركيا عمر جامع الشيخ عبد القادر الجيلاني سنة 984 هـ ثم جدده ثانية السلطان احمد خان التركى سنة 1123 هـ .

● عقيدته :

اولها : الحمد لله الذى كيف الكيف وتنزه عن الكيفية واين الاين وعز عن الاينية ووجد في كل شيء وتقدس عن الظرفية وحضر عند كل شيء وتعالى من العندية فهو اول كل شيء وليس له آخرية سبحانه وتعالى لا يسبق بقبلية ولا يلحق ببعدية ولا يقاس بمثله ولا يقرن بشكلية ولا يعاب بزوجية ولا يعرض بجسمية الخ .

● الكتب المؤلفة فيه بالمشرق العربي والاسلامي:

* بهجة الاسرار للشطنوفى طبع مصر سنة 1807م.
* قلائد الجواهر لمحمد بن يحيى التدبفى طبع مصر سنة 1303 هـ .
* الفتح المبين لعبد الرحمن النقيب الكيلاني القادري باسم ظهير الدين القادري طبع مصر سنة 1306 هـ
* تفريح الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر الاربلي .
* مناقب الشيخ عبد القادر لقطب الدين موسى ابن محمد اليونيني المتوفى سنة 726 هـ .
* درر الجواهر من كلام الشيخ عبد القادر لابى فرج بن الجوزي .
* أسنى المفاخر للشيخ اليافعى المتوفى سنة 768 هـ .
* رياض البساتين في ترجمة الشيخ عبد القادر لمحيى الدين الكيلاني طبع تونس .
* السفينة القادرية للشيخ عبد القادر القادري طبع بغداد .
* الروض الزاهر لاحمد القسطلاني المتوفى عام 923 .
* مختصر الروض الزاهر لابراهيم الدبري الشافعي
* روض الناظر لفيروز ابادي صاحب القاموس
* روض الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر لمحمد سعيد السنجادي القادري
* مناقب الشيخ عبد القادر لعبد الرحمن الطالباني المتوفى سنة 1275 هـ .
* الدر الفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر — مخطوط —
* تحفة الابرار ولوامع الانوار لعلى بن يحيى الكيلاني — مخطوط بالمكتبة القادرية بضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد .
* رسالة في مناقب الشيخ عبد القادر لعبد الرحمن السهروردى
* نزهة الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر لعلى القارى طبع اسطنبول .
* المنتظم لابن الجوزي طبع حيدر اباد دكن بالهند سنة 1159 هـ
* تاريخ ابن النجار — مخطوط —
* غبطة الناظر لابن حجر العسقلاني طبعه المستشرق روص عام 1903 بكلكوتا بالهند .

* انوار الناظر لابى بكر عبد الله بن ناصر البكري البغدادي .
* خلاصة المفاخر فى مناقب الشيخ عبد القادر للامام عفيف اليافعى المتوفى سنة 767 هـ .
* الباز الاشهب فى حياة الشيخ عبد القادر لابراهيم الدروبى طبع ببغداد سنة 1955 .
* الشيخ عبد القادر الكيلاني لابراهيم السامرائى طبع بغداد سنة 1970 .
* درر الجواهر لابن الملاقان سراج الدين مربى على
* زبدة الاسرار فى مناقب غوث الابرار لعبد الحق الدهلوي المتوفى سنة 1051 هـ طبع مدراس بالهند .
* نزهة النظر لعلى محمد عبد اللطيف البغدادي
* الشرف الباهر للامام قطب الدين موسى
* نصر الجواهر لقاضى الاسلام محمد صبغة الله طبع مدراس بالهند .
* توفيق الملك القادر بسلوك طريق الغوث عبد القادر للحريري زاد كمال الدين المتوفى باسطنبول عام 1302 هـ
* السيف الربانىللشيخ محمد المكىعزوز مفتىتونس طبع تونس سنة 1310 هـ ثم فى بومباي بالهند سنة 1313 هـ بامر من الشيخ عبد الرحمن النقيب رئيس نقابة الاشراف القادريين ببغداد الذي أوعز الى مفتى تونس المذكور الى تاليف هذا الكتاب للرد على أبى الهدى الصيادي الوزير الاول للسلطان عبد الحميد الثانى خليفة المسلمين وكان هذا الوزير من اتباع الطريقة الرفاعية فالف كتابا يحمل فيه على الطريقة القادرية تحت عنوان « رسالة الحق الظاهر فى شرع عبد القادر » ، ولما قرأ كتاب السيف الربانى لمفتى تونس ندم على ما فرط منه فى حق الشيخ عبد القادر الجيلانى فالف كتابا تحت عنوان : « الكوكب الزاهر » يمدح فيه الشيخ عبد القادر الجيلانى نثرا وشعرا ، ثم زار ضريح الشيخ عبد القادر الجيلانى ببغداد وقرا بعض اشعاره فى الحضرة الكيلانية .

● **الكتب المؤلفة فيه بالمغرب العربى :**

* السفينة القادرية للشيخ المنلا التونسى .
* السيف الربانى لمحمد المكى عزوز مفتى الديار التونسية طبع تونس سنة 1310 هـ .
* رياض البساتين لمحمد امين الكيلانى طبع تونس .
* ترجمة الشيخ عبد القادر للشيخ السنوسى — ليبيا
* الفيوضات الربانية فى المآثر والاوراد القادرية لاسماعيل بن محمد سعيد القادري (الجزائر) طبع القاهرة
* السر الظاهر لسليمان العلمىالشهير بالحوات المتوفى بفاس عام 1231 هـ — المغرب .
* بستان الاصاغر والاكابر فى ترجمة الشيخ عبد القادر لعبد الحى القادري رئيس الطريقة القادرية بتطوان — طبع تطوان عام 1940 م
* عقد جواهر المعانى فى مناقب عبد القادر الجيلانى لاحمد بنخذة الراشدي وقد شرحه ابوعلى ليوسى

● **الكتب المؤلفة فيه باللغة الاردية (اردو)**

* كولد يستر كرامات
* زين المجالس — شعرا .
* اعجاز الغوثية

● الكتب المؤلفة فيه باللغة التركية :

* تنشيط الخاطر لضياء الدين ترك زاد طبع اسطنبول سنة 1924

* ابقى غوث انام لاحمد حلمى شاه بندزار طبع اسطنبول سنة 1853 م .

* تفريج الخاطر فى مناقب عبد القادر للامام عبد القادر كمال الدين المتوفى سنة 1924 بمدينة اورفا (اوديسة) بجزير القرم بالاتحاد السوفياتى .

* ترجمة الشيخ عبد القادر لمحمد نوري القادري طبع اسطنبول سنة 1925

* مناقب عبد القادر — مخطوط — يوجد بمكتبة عصمانى تحت رقم 2608 .

* القادرية : مخطوط بمكتبة بايزيد باسطنبول تحت رقم 3378 .

* زمرد شرع كلام عبد القادر للال زاري طاهر محمد .

* نفحات الجامى للاستاذ لامع بمكتبة نور عصمنى تحت رقم 2310

* نشر المحاسن الغالى بمكتبة ايا صوفيا باسطنبول تحت رقم 2133 .

* كوكب المبانى فى موكب المعانى فى شرع صلاة عبد القادر الجيلانى بمكتبة سليمانية تحت رقم 1833 باسطنبول .

* الدرر السنية فى مفاوز الجيلانية طبع بمطبعة مهران باسطنبول لصاحبه محمد صفى الدين الكيلانى .

* رسالى سلوك القادرية — بمكتبة حسن باشا ايوب باسطنبول تحت رقم 677 .

* نفحات الرياض العلية فى بيان الطريقة القادرية لمحمد رفعت يوجد بمكتبة ميلليت باسطنبول تحت رقم 888 .

● الكتب المؤلفة فيه باللغة الفارسية :

* رسائل عبد القادر الجيلانى .

* تحفة القادريه لمحمد ابو على المملى

* مناقب الغوثية

* زبدة الاسرار فى اخبار غوث الاخيار لعبد الحق الدهلوي .

● الكتب المؤلفة فيه باللغة الفرنسية :

* عبد القادر الجيلانى اكبر ولى فى الاسلام لمحمد على عينى الاستاذ بجامعة اسطنبول طبع المكتبة الشرقية بباريس وذكرته الموسوعة الفرنسية كما ذكرته كتب لا تحصى بالفرنسية .

● الكتب المؤلفة فيه باللغة الانجليزية :

* كرامات الشيخ عبد القادر الجيلانى للمستشرق الانجليزي مرجيوليت

وذكرته الموسوعة الانجليزية كما ذكرته كتب لا تحصى بالانجليزية .

● الذين ذكروه بالالمانية :

ذكرته الموسوعة الالمانية وذكره المستشرق الالمانى بروكلمان كما ذكرته كتب لا تحصى بالالمانية .

● الذين ذكروه بالروسية :

ذكرته الموسوعة الروسية وذكره المستشرقون الروسيون كما ذكرته كتب لا تحصى بالروسية .

● الذين ذكروه من الامريكان :

ذكرته الموسوعة الميسرة الامريكية كما ذكرته كتب لا تحصى بالامريكية .

● الذين ذكروه بالعربيـة :

ذكره ابن تغرى بردى في النجـوم الزاهـرة وذكره ابن الجوزي في المنتظم وذكره الحافظ الذهبي، وذكره السمعاني في الانساب وذكره محب الديـن النجار في تاريخ بغداد ، وذكره الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي في طبقاته وذكره ابن كثير في تاريخه ، وذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، وذكـره التادفي في القلائد والجواهر وذكره الشعرانـي في طبقاته الكبرى وذكره الشيخ ياسين الخطيب العمري في تاريخ بغداد وذكره فريد وجدي في دائرة معارفـه وذكره احمد عطية في القاموس الاسلامي وذكـره الزركلي في اعلامه وذكره قاموس المنجد .

● الذين ذكروه بالتركية والفارسية والاردية :

ذكره عدد لا يحصى من الاتراك والايرانيـين والهنود والباكستانيين والافغانيين والاندنيسـيين في كتبهم .

● ذكـر من مدحه الشعراء بالعربية :

قال الشيخ صدقة الله بن سليمان القاهري في قصيدته مادحا الشيخ عبد القادر الجيلاني :

كـل الطوائف بالاجماع متفقـة
على كمالك في عليـاك متسقـة
حتى الخوارج اهل الزيغ والزندقة
انت المـدار لكـل محيى الديـن

وقال القاضي ابن عبد الفتاح المصري :

بحر العلوم الحبر والقطب الـذي
ورث الولاية كابرا عن كابـر
شيخ الشيوخ وصدرهم وامامهـم
لب بلا قشـر كثيـر مئاثـر

وقال محمد حبيب الله الشنقيطي مؤلف كتاب الفتح الباطني والظاهري :

رحمـه الله وأبقـى ذكره
في الصالحين وادام سـره
ثم الصلاة والسلام ابـدا
على اجل المرسلين احمـدا
وآله وصحبه ومن سلـف
كالقادري من اجلة السلف

● ذكر من مدحه من الشعراء بالتركية والفارسية والارديـة .

قال مؤلف كتاب عبد القادر الجيلاني اكبر ولي في الاسلام الاستاذ محمد علي عيني بجامعة اسطنبول في كتابه هذا باللغة الفرنسية انه سواء باللغة العربية او اللغة التركية او اللغة الفارسية او لغة اردو فقد الفت دواوين تعد بالالاف في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني ونذكر منهم على سبيل المثل لا الحصر من الشعراء الاتراك : عبد الغني من نابولس وامـين الجندي ونبي وراغب باشا الصدر الاعظم في عهـد السلطان التركي مصطفى الثالث والتجلي واشـرف اغلو والشيخ رضا ويونس أمرى ونبى وكل هـؤلاء الشعراء كانوا من اتباع الطريقة القادرية بتركيا .

● تاثيـره في المجتمع الاسلامـي :

اثر الشيخ عبد القادر الجيلاني في المجتمـع الاسلامي تاثيرا عظيما لا سبيل الى انكاره فتأثيره في المجتمع الاسلامي بالمشرق معروف غير ان تاثيره في المغرب قلما يعرفه المشارقة .

● افتاؤه ومجالسه ومقالاته :

كان صاحب الترجمة يفتي على مذهبي الامامين الشافعي واحمد بن حنبل وكان شيخ جماعة الشافعية والحنابلة بالعراق وكانت تاتيه الفتاوي المبيضة من البلاد النائية فيجيب عليها بسرعة .

اما مجالسه فعددها اثنان وستون مجلسا وهي مجموعة في كتابه : « الفتح الرباني و الفيض الرحماني» وعدد مقالاته تسع وسبعون مقالة مجموعة في كتابه فتوح الغيب .. ومن كلامه رضي الله عنه في مجلسه الاول : الاعتراض على الحق عز وجل عند نزول الاقدار موت الدين موت التوحيد موت التوكل والاخلاص ..

ومما قاله في الصديقة عائشة رضي الله عنها :

حركت الارادة الازلية العزيمة المحمدية في بعض اسفارها فاستصحب الدرة اليتيمة معه من قرارها ووكل بخدمتها ورفع قبتها حين امسى واصبح عبده مسطح نزل القوم لاصلاح عيشهم وسكن السموم حركات بطشهم واستولت على العبد في المسرى سنة الكرى فاثارت المشيئة الاحدية حركات عائشة الصفية للخروج من مطارها الى بعض اوطارها وتزلت من قبتها لقضاء حاجتنا فحلت يد القدر عقد عقدها وانتشرت قلادتها من جيدها واشتغلت بنظم نثرها الى صدرها الخ ...

● زواجه وعدد ازواجه :

قال في قلائد الجواهر : قال شيخ الصوفية شهاب الدين عمر السهروردي في كتابه « عوارف المعارف » ان الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال له بعض الصالحين : لم تزوجت قال : ما تزوجت حتى قيل لي تزوج ، وقال وقد نقل عنه انه قال : كنت اريد الزوجة مدة من الزمان ولا اجرؤ على التزوج خوفا من تكدير الوقت فلما صبرت الى ان بلغ الكتاب اجله ساق الله لي اربع زوجات ما منهن الا من تنفق على رغبة .

● اولاده وعددهم :

قال في قلائد الجواهر : قال ابن النجار في تاريخه سمعت عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه يقول : ولد لوالدي تسع واربعون ولدا سبعة وعشرون ذكرا والباقي اناثا غير ان الذين اشتهروا منهم بالعلم وتفقهوا على والدهم وسمعوا منه عشرة وهم :

عيسى ، وعبد الله ، وابراهيم ، وعبد الوهاب ويحيى ، ومحمد ، وعبد الرزاق ، وعبد العزيز ، وعبد الجبار ، وموسى .

وقد جمعهم في ابيات من بحر الرجز المسطور الفقيه العلامة مولاي سليمان العلمي الشهير بالحوات في كتابه « السر الظاهر » .

ابناء محيى الدين عبد القادر
من اخذوا عنه علوم الظاهر
عيسى وعبد الله ابراهيم
تلبى غدا بحبهم بهيم
وعابد الوهاب نال فضلا
حيث على ابيه كان صلى
يحيى محمد وعبد الرزاق
نور علومهم سرى في الافاق
عبد العزيز ثم عبد الجبار
موسى وكلهم كرام ابرار
فهؤلاء العلماء العشرة
وغيرهم عدته منتشرة

واما التي اشتهرت من بناته فهي السيدة فاطمة سمعت عن والدها ومن غيره وتفقهت عليه وكانت عالمة جليلة كما في بهجة الاسرار .

● **ذكر من اشتهر من احفاده في المشرق :**

* الشيخ داود بن سليمان الف التفسير للقرآن في مجلدات وله كتاب فقه الامام أحمد بن حنبل — توفي في عام 648 .
* الشيخ نصر الدين بن عبد الرزاق تفقه عن والده وولي قضاء القضاة ببغداد .
* الشيخ محمد شر شيق بن عبد العزيز ذكره الصفدي في نكت الهيمان .
* عبد الكريم الجيلي صاحب التآليف العديدة منها الانسان الكامل في معرفة الاواخر والاوائل والناموس الاعظم والقاموس الاقدم وهو على اربعين جزءا ومن شعره :

تجلى حبيبي في مرائي جماله
ففي كل مرآى للحبيب طلائع
فلما تبدى حسنه متنوعا
تسمى باسماء فهن مطالع
حقائق ذات في مراتب حقه
تسمى باسم الخلق والخلق واسع

وله من الرسائل « حقيقة اليقين » « ومراتب الوجود » توفي عام 832 .هـ وللمستشرق النمسوي بنارت دراسة عنه وآرائه الصوفية .

* عبد الرحمن القادري كان لهذا القادري اسطول بحري اقلق راحة الاسبان والبرتغاليين والهولانديين في القرن السابع عشر بالمحيط الهادي وبنى مدينة بونتياك بجزيرة بورنيو .
وبقول المرحوم الامير شكيب ارسلان في كتابه حاضر العالم الاسلامي انه كانت للقادريين باندونيسيا مملكة قاومت الغزو الهولاندي لجاوة وبقيت تقاوم الى ان قضى عليها الهولانديون.
* صديق رسول القادري ، وفي مذكرات القادري في بيان الثورة الروسية العظمى واسرارها وايضاح غوامضها لصديق رسول القادري هذا الثائر الكردي الذي حارب الروس لانشاء دولة الكردستان بالاتحاد السوفياتي بيانات مفصلة عن ثورته سنوات 1920 — 1921 — 1922 وتوجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3990 .
* نوري افندي الكيلاني قدم بيروت سنة 1870 له شعر لطيف تقول مجلة الفكر الاسلامي البيروتية وجمع وتصنيف وكتاب ظريف في مناقب اهل البيت الشريف .
* مولاي شاه محمد الحسن القادري من مواليد الهند وهو الذي ادخل الاسلام الى جزيرة ترينداد .
* حسن القادري (1824 — 1910) من مواليد داغستان احدى الجمهوريات الاسلامية بالاتحاد السوفيتي له كتاب آثار داغستان الذي تبه المستشرق الانجليزي بارتولد تنبيها رفيعا للعناية .
* عبد الرحمن النقيب الكيلاني تقلد عام 1922 منصب الوزير الاول للحكومة العراقية في عهد الملك فيصل الاول .
* رشيد عالي الكيلاني الزعيم العراقي الشهير ، عين في عام 1924 وزيرا للعدل ، وفي عام 1923 شكل وزارته الاولى وفي عام 1932 شكل وزارته الثانية في عهد الملك غازي الاول وفي عام 1940 شكل وزارته الائتلافية الثالثة التي اصطدمت مع الانجليز لرفضها قطع العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا ، وتولى الرئاسة لآخر مرة عقب انقلاب ابريل 1941 حيث وقف ضد الانجليز وقفته المشهورة باعلانه الحرب عليهم .
* ناظم القادري وزير العمل والشؤون الاجتماعية في لبنان سابقا ، ويوسف الكيلاني

وسالم الكيلاني متوليا الاوقاف القادرية ببغداد وهما ابنا عم رشيد عالي الكيلاني الزعيـــم العراقي الشهير .

● في المغـــرب :

* عبد السلام بن الطيب القادري صاحب التآليف الكثيرة قال الشاعر :

لموت الرضى عبد لسلام بن طيب
وقد كان قاموسا طما أظلم الدهر
فكم زف للانكار بكـــار حكمـــة
عرائس ما عير الجنان لها مهـــر
عليه من الرحمن صوب غمامـــة
يفيض على مغناه من سيله نهـــر

الف عنه كثيرون منهم الفقيه العلامة محمد بن احمد بن عبد القادر الفاسي في كتابه المورد الهني باخبار المولى عبد السلام القادري توفي بفاس عام 1010 هـ .

* محمد بن الطيب القادري ولد بفاس عام 1124هـ وتوفي بها عام 1187 هـ له كتاب نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني وغيره من الكتب وقد نشر له أخيرا حوليات نشر المثانـي حسب مخطوطة فريدة بمكتبة البودلمان بجامعة اكسفورد حققتها الدكتور نورمان سيكار وقدم لها الدكتور عبد الهادي التازي .

* محمد بن عبد القادر ـ ادعى هذا القـــادري المهدوية بالجزائر عام 1838 م وتبعه خلـــق كثيـــر .

* المختار القادري كان نقيبا على الزوايا القادرية بشرق المغرب فكان في عهد حروب الامير عبد القادر الجزائري يقسم اتباع الطريقة القادرية الى قسمين قسم للدعوة وقسم للجهـــاد في صفوف الأمير عبد القادر الجزائري حسب ما ذكره الاستاذ عبد القادر الورطاسي في نـــدوة سمر في رمضان عام 1398 بالتلفزة المغربية.

* الحسن القادري ، من مواليد تلمسان كان شاعرا فحلا وصاحبالثورة الريفية باناشيده الحماسية ونظم نشيد الثورة وقت دخول محمد بن عبد الكريم الخطابي الى شفشـــاون في 14 دجنبر 1924 ومطلعه :

في ثنايا العجـــاج والتحام السيـــوف
بينما الجو داج والمنايا تطـــوف
يتهادى نسيم فيه ازكى ســـلام
نحو عبد الكريم الامير الهمـــام
ربنا كالعرين نحن فيه الاسود
ربنا نحميه الخ ..

ولما انتهت الحرب الريفية عاد الى وطنـــه الجزائر .

وبعد فقد كان بودنا في ختام هذا البحـــث ان نثبت جميع المراجع العربية والفرنسية التي اعتمدنا عليها في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني وعددهـــا خمسون كتابا ومائة مجلة شرقية وغربية غير انـــه ظهر لنا أن حيز المجلة لا يسمح لنا بذلك فعدلنا عن الاثبات ، رحم الله هذا الصوفي الكبير ورضي عنه لما اسداه هو وطريقته للدعوة للاسلام في مشـــارق الارض ومغاربها ونفعنا ببركاته ، آمـــين .

الرباط ـ عبد القادر القادري

ملامح من حياة الفقيه المؤرخ

محمد بن أحمد العبدي الكانوني

3

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

من المؤسف كثيرا أن بعض الاخبار التاريخية تضيع بسبب عدم تدوينها او بسبب عدم تقديمها لمن يحفظها بعد التدوين ولهذا كانت الضرورة التاريخية تلزم الذين يملكون اي وثيقة من الوثائق الصالحة أن يذيعوها وان يقدموها للمختصين ليربطوا بينها وبين ما يتلاءم معها وليكونوا من خلال ذلك صورة تاريخية تعين على فهم المقصود سواء كان يتعلق بشؤون ادبية او سياسية او اقتصادية او اجتماعية .

وهذا هو الدافع الذي جعلني اقدم للقراء بعض الوثائق المتعلقة بحياة الفقيه الكانوني فقد توصلت بها عن طريق الاذاعة المحلية بفاس في فترات متتابعة اثناء تقديمي لبعض الدراسات حول هذا الكتاب القدير.

من هذه الوثائق رسالة كتبها الى السيد عبد الرحمن ابن الشيخ (الحفيد) بتاريخ 20 مارس 1978 قال فيها :

« بسم الله ، ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير .

سيدي ، تحية وسلاما من انسان يقدر فيكم الاخلاص في البحث عن التراث الذي خلفه رجالات انذاك يكاد يطمس عليهم ابناء جيلهم ما خلفوه من معالم وآثار تضيء لنا الطريق وتصل بنا الى واحة من تاريخنا الحافل الزاخر بكل ما نحن في كثير من الحاجة اليه خصوصا عندما يتنكر العدو والصديق ويقلب لنا الاخ ظهر المجن .

اني والله ايها الاخ الكريم لاقدر فيكم هذه الالتفاتة الى فقيه ومؤرخ ومحدث عاش للعلم وللعلم وحده ومات بعيدا عن مسقط راسه وترك اسرة امرها في يد الله تطوح بها الاقدار حيث شاءت وشاءت لها عناية الله .

ومن اجل هذا سيدي الاستاذ اباركك وابارك الارض التي انبتتك وسقت منك هذا الغصن اللدن المثمر الذي اعطى ما تعطيه الارض الخصبة المعطاء .

بوركت سيدي وبوركت فاس هذه الارض الطيبة الكريمة .

سيدي الاستاذ اليكم ما سجلته الذاكرة ، والذاكرة فقط ذلك لان طلبكم عن مخلفات الفقيه العبدي الكانوني ستلبى فيما بعد ان شاء الله ، ونرى ان نبدأ بما هو مسجل في الذاكرة كما اسلفنا لان فيه

ما يظهر عظمة الفقيه العبدي الكانوني رحمه الله ويظهر ما كانت تنطوي عليه نفسه التواقة الى سد يشنبع نهمه من الاطلاع وابحث عما هي مكتنز من ذخائر ومخلفات تركها ابناء هذه الامة بين طيات الكتب التى هي بمكتبات اناس لا هم يعطونها ما تستحق من عناية وبحث وتنقيب ولا هم يطلقون سراحها فتتلقفها أيدي بررة كرام يضيئون بها الطريق الموصلة الى الافادة والاستفادة .

عرفت الفقيه الكانوني كما تسميه نحن الاسفيين بحومتنا التى هى حومة الشيخ ابى محمد صالح . عرفته وانا صبى العب بالدرب ذلك ان الفقيه رحمه الله قد سكن بالدار الملاصقة لدارنا وكنت أصادفه كثيرا ذاهبا او آئبا ومع صغر سني وحداثتي كان رحمه الله يخاطبني كلما وقع الاتصال به بالسلام عليكم . وحتى كتابة هذه السطور ما زالت الاذن منى تحتفظ برنات صوته رحمه الله حتى لكانه يخاطبني الان .

والشيء الذي كان يلفت مني النظر اليه كثيرا هو الهندام الذي كان يمتاز به اذ انه رحمه الله كان يرتدى احائك يشتمل به ويضع طرفا منه على رأسه. وهذا الزي يعرفه علماء فاس ويتصفون به كثيرا . ومع كثرة رؤيتي له رحمه الله لم اره يوما خلو اليدين من كتاب او بعض الاوراق . ولم لكن اراه مشتغلا بالتحدث الى الناس اللهم الا اذا كان داخل مسجد الشيخ ابى محمد صالح الذي تولى الخطابة به والذي كان يعقد به حلقات تفسير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذه الحلقات التى جعلت المسجد قبلة الخاص والعام .

هذا والذي يعرف مدينة آسفى تانه يعرف انها تتكون من عدوتين : عدوة تسمى بالمدينة وعدوة تسمى برباط الشيخ ابى محمد صالح رضى الله عنه وكما هى العادة فان عدوة المدينة تمتاز عن عدوة الرباط فى كثير من التقاليد والعوائد . يعرف هذا فى فن الطبخ وفى الحفلات والافراح وغير هذا كما ان كلا من العدوتين كانت تدعى ان علماءها هم العلماء .

وعند ما اصبح الفقيه رحمه الله خطيبا بمسجد الشيخ بالرباط ويعقد به حلقات تفسير لحديث تحطمت تلك الخرافة واصبح المسجد يعج بالرواد من عدوة المدينة نساء ورجالا . وكثرة الرواد هاته تبعثها كثرة اشاعة اقوال الفقيه . هذه الاقوال التى صادفت عقولا ظامئة الى التطلع لما يخرجها من ربقة التقليد والجمود .

وكما هى العادة بين الجديد المتطلع الى ما هو احسن وبين التقليد المحافظ الذي يرى الخروج عن المعروف المعتاد خروجا عن الجادة وتنطعا وتطاولا على الطريقة المثلى فقد انفتح باب المعركة غير المتكافئة بين الفقيه الكانوني الذي هو مجرد من كل سلاح الا سلاح المعرفة الصحيحة المرتكزة على كتاب الله الناطق بالحق وسنة رسوله الصادق المصدق محمد صلى الله عليه وسلم وبين فقهاء كبار بالنسبة الى المدة التى اكتسبوها وإلى الانصار المحيطين بهم زيادة على تلك النعرة التى لا يفجو منها مجتمع متحضر أعنى تلك النعرة التى ينظر فيها المرء المتحضر الى رجل البادية نظرة لا تخلو من تحفظ .

وبينما المعركة حامية الوطيس بين الفقيه السيد الكانوني وبين فقهاء المدينة هؤلاء الفقهاء الذين كانوا محافظين على مراكزهم التى كان لها نفعها بين الاوساط المقلدة والتى ورثت هذا التقليد عن الاباء والاجداد ، بينما هاته المعركة قائمة عمل المستعمر الفرنسي على تكذيبها وتزويدها بكل ما يدفعها الى الاشتعال ذلك لانه تخوف من الطريقة التى جاء بها الفقيه الكانوني هذه الطريقة التى تخلق فى الناس روح العزة وتدفعهم الى الانعتاق والى الحرية التى عاش فيها سلفهم الصالح .

ودامت هاته الحرب غير المتكافئة بين انسان يدعو الى احياء تراث السلف الصالح وبين جماعة

جامدة يساندها تحت طرف خفى المستعمر الذي كان يعلم قبل غيره ان الطريقة التي يسير عليها هذا الفقيه الذي انحدر الى مدينة آسفى من البادية بعد ما زود نفسه بالدراسات السلفية سيكون لها اثر فى تنوير الراي العام .

وكلما ازدادت ايام المعركة ازداد انصار الفقيه وازداد تخوف المستعمرين من انتصاره وتجليه ولهذا فكروا جديا فى اذايته وعملوا على محنته -

ولم تسالم الايام الفقيه الكانونى حتى فى بيته هذا البيت البسيط الوديع الذي كان يجد فيه راحة البال وهدوء النفس والاستقرار كلما عاد اليه طلبا للراحة بل ان المنية اختطفت منه زوجه ورفيقة الحياة التى هى كل ما ابقت له الايام من اهل وعشيرة واخلاء متقين فكان الايام تحاربه هى الاخرى وكان المتنبى عناه حين قال :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر

نعم والله لقد كان الفقيه رحمه الله صابرا متكلا على الله لا يلتفت للاحداث ولا تزيله النكبات عن الجادة التى اختطها لنفسه ولم يبق الفقيه فى الميدان وحيدا طيلة المعركة بل ان علماء شبابا دفعتهم بهم جامعة القرويين من فاس الى الميدان . ذلك بعد ما زودتهم بكامل المعرفة وبعد ما غرفوا من معينها الثري الفياض ومن هؤلاء الفقيه المصلح سيدي محمد ابن الطيب الوزانى الذي اغترف هو والفقيه المصلح الكبير سيدى محمد بن العربى العلوى رحمهما الله من معين واحد . والفقيه المصلح الذي حمل الراية بعد الفقيه الكانونى والذي ناضل ودافع ودرس تفسير الشيخ محمد عبده رحمه الله بمسجد الشيخ ابى محمد صالح ، هذا المسجد الذي كان يدرس به الكانونى قبل نفيه .

وكان سبب نفى الفقيه السيد الكانونى .. وذلك بعد ما زوجه بعض الفضلاء من بنته واسكنه معه ووفر عليه كل ما يهمه من شؤون الحياة ... ناتجا عن مؤامرات محبوكة من قبل حاسديه ومن قبل المستعمرين الذين كانوا يريدون التخلص من افكاره فقد اذيع ان السيد الكانونى يلحن فى قراءة الحديث الشريف وامضى على هذا الادعاء عدد من الفقهاء المناهضين له واتخذ المستعمر ذلك حجة قوية ادان بها الفقيه البرىء وحكم عليه بالخروج من آسفى وبالتوجه الى مدينة مراكش وفات المستعمر آنذاك ان الكانونى لم يغادر آسفى الا بعد ان اصبحت افكاره ذائعة بين الناس مقبولة لدى الراي العام .

ويوم منفاه بكته مدينته التى فقدت فيه الناشر لدين الله والمدافع الامين الذي عرف كيف يغزو العقول ويتسرب الى القلوب ، وبكاه المجاهد الفقيه محمد بن على الريفى الذي شارك محمد بن عبد الكريم الخطابى فى نضاله ضد الاستعمارين الفرنسى والاسبانى هذا الفقيه المعروف بين علماء فاس بالفقيه بولحية رحمه الله وبكته النساء وبكاه كل ذي عقل راجح .

وبمراكش البلد الطيب الامين تلقفت الفقيه احضان تلامذة الاستاذ محمد المختار السوسى فكانوا اعوانا له على متاعب الحياة وساعدوه على ما هو فى حاجة اليه من مراجع وكتب واطلعوه على عدد من المؤلفات التاريخية التى تصور مآثر هذا الشعب المغربى النبيل .

وهناك بمدينة مراكش تيسر للفقيه الكانونى ان يطلع على ذخائر تاريخية وان يحتك برجال كان لهم اهتمام بالعلم كبير وفى هذه المدينة كنت اتصل به على الدوام والاستمرار وكنت أشاركه العيش فى بعض الاحيان وشاهدته مرارا يعيش على شظف من العيش بل كان يكتفى احيانا فى قوته بقليل من الشعير المقلى (ما يسمى بالقلية) ومع هذا فان وجهه كان يضىء بنور الله . ورغم هذه القناعة فهو فى باب الثقافة كان

لا يقنع باليسير فكان همه الوحيد ان يرى حجرته التي يقطنها مفروشة بالكتب والاوراق .

وبمراكش كون الفقيه عدة تلاميذ وكان يلقي بعض الدروس بجامع المواسين ومكث بهذا البلد الطيب ما طاب له المكوث الى ان تعرف على بعض الفضلاء بالدار البيضاء ايام كان ينتقل من مراكش اليها والى الرباط قصد طبع بعض كتبه وهناك طلب منه هذا الفاضل المجيء الى الدار البيضاء بعد ما تكفل بجميع مهامه .

وفي احضان مدينة الدار البيضاء عمرها الله بكل خير عرف الفقيه رحمه الله رغد العيش وهناء البال والانكباب على التاليف وعلى القاء الدروس بمسجد محمد الخامس بدرب السلطان .

وبهذه المدينة مع كثرة انتقالي اليها حسب ما تفرضه على مهنتي التجارية كنت ازور الفقيه لماما لاطمئن عليه وهو يعيش بين اناس يحبهم ويحبونه وفي مرضه الخفيف الذي لم يمهله الا اياما قليلة كنت بالبيضاء واخبرت ان بالفقيه مرضا خفيفا اقعده عن متابعة الدروس بالجامع فلم ازره لسماعي بان المرض خفيف ولكن بعد عودتي لآسفي بيوم واحد توصلت برقية تخبر بموته وتطلب منا ان نخبر من بمراكش من محبيه ليتوجهوا لتشييع جنازته .

وفي العشي جاء وفد مراكش الى آسفي ومنها ذهبنا ليلا الى الدار البيضاء وشاركنا جميعا في دفن الفقيه بالمقبرة المسماه قبيلة وابنه آنذاك الفقيه المصلح الذي حمل راية النضال بآسفي بعد فراغها من الكانوني السيد ادريس بناصر رحمه الله .

ولا انكر اضطرابي واهتزاز الجسد مني وقد وصلت الى الفصل الذي اذكر فيه موت الفقيه وتسود الصحيفة امام عيني وان التشطيب على بعض الكلمات ليظهر عدم امتلاكي للقلم وعدم التحكم فيه لانني استحضرت تلك الموقف الذي كنا فيه نقف موقف عبد الله بن الزبير يوم نعي له اخوه مصعب ...

وكانت عودتنا من البيضاء الى آسفي بعد دفن الفقيه الكانوني كعودة الجنود المنهزمين من ساحة القتال فالعيون باكية والقلوب في تيه .

ونذكر ونشكر الاخوين بالبيضاء الحمداوي صاحب المدرسة الحرة بدرب السلطان والاخ احمد زياد صاحب تحقيقات جريدة العلم على قيامهما باقامة ذكرى الاربعين يومذاك وقد شاركنا يومه في ذكرى الاربعين مشاركة فعالة يفرضها الواجب وتركنا مكتبة الفقيه الكانوني تلك المكتبة التي كانت بمثابة المرآة الغريبة اذ يرى بواسطتها ما تركه السلف الصالح من ذخائر وأمجاد تركناه واسرة الفقيه تحت تصرف ايد امينة كريمة من سكان البيضاء اقول سكانها ولا اقول ابناءها لان هذه الجماعة التي تكفلت بالمكتبة والاسرة ينتمي بعضها الى آسفي كالاخ التاجر الوجيه الحاج محمد البوعمراني وقد علمنا قبل ان يجرفنا سيل الحركة الوطنية ان المكتبة وكلت الى بعض المؤرخين من سلا .

وهنا اودع هذا العرض المقتضب الذي عاد بالذاكرة الى ايام ويا لها من ايام قضيناها مع الفقيه كان البعض يظنها نقمة ونحن كنا نعدها نعمة انعم الله بها علينا اذ هدانا الى مرافقة الفقيه والارتواء من الحياة الحلوة العذبة التي قيضه الله لحملها ونشر الويتها على ابناء زمنه وعصره .

والى فرصة اخرى سيدي الاستاذ محمد عبد العزيز الدباغ حيث ساقدم لكم نبذة عن قبيلته ونسبه والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته » .

والواقع ان هاته الرسالة لتعد من المسع الرسائل التي تربطنا في العصر الحاضر مذكريات قيمة تسجل مدى التواصل الذي كان بين افراد الحركة الوطنية في المغرب على اختلاف مدنهم واختلاف حيثياتهم .

فهذا الالتحام الذي كان يتجلى في مابين الاستاذ من افراد اشتهروا بوطنيتهم ومن ممثلين لعدد من المدن ليدل على ذلك التواصل الكبير بين المواطنين آنذاك ويدل على ان تلك التواصل أبقى جذوره في تربيتنا الوطنية حتى اننا نجد الان وقد مر على موت الكانوني ما ينيف على اربعين سنة من يجدد الذكرى ويحس بتجدد آلامها في نفسه واحزانها في اعماقه .

ولعل الشعور الذي ابداه السيد عبد الرحمن ابن الشيخ (الحفيد) في رسالته هاته يعتبر شعورا مشتركا يحس به كل الذين عرفوا الفقيه في حياته فقد اخبرني الاستاذ السيد عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة (1) مؤلف كتاب دليل مؤرخ المغرب الاقصى ان السيد الكانوني كان مشهورا بحزمه وجده ومواصلته العمل من أجل احياء الثقافة المغربية واذكاء روح السلفية وانه كان من الرجال الصادقين في أعمالهم واقوالهم وانه كان يخلص النصيحة ويسدى لمن عاشره من الخير ما لا ينسى ويستدل على ذلك بما بذله من جهد في مساعدته اثناء تاليفه للدليل وبما اشار اليه من تبويبه على اقسام تساعد الباحث على المعرفة وتجعل الكتاب يسير على نسق كتب الباحثين من أوربا وذكرني السيد ابن سودة بما كتبه في مقدمة كتابه هذا حينما قال : « كنت اول الامر رتبته على حروف المعجم المتداول المشهور ثم بعد مدة اطلعت عليه الاخ الاستاذ المطلع المشارك أبا عبد الله محمد بن احمد الكانوني رحمه الله فاقترح على ان ارتبه ترتيبا يلائم العصر ويجاريه لتظهر قيمة ما صير المغاربة وما قاموا به من جهود جبارة وعمل دائم في كل نوع من انواع التاريخ المغربي » .

وان هذا الاعتراف من السيد ابن سودة ليدل على اعجابه بالخطة التى اقترحها الفقيه الكانوني ويظهر اثرها واضحا في شكل الكتاب وفي تنسيقه الدقيق الذي يدل على براعة في التاليف وعلى معرفة واسعة بطريقة التنظيم وخطة التبويب وهما من ايحاء الفقيه الكانوني حسب اعتراف السيد ابن سودة في كتابه وحسب ما يذكره في أحاديثه الى الآن .

والسيد ابن سودة بطبيعته يشعر بنوع من الانسجام مع اهل البحث والتنقيب ويصفهم بأوصاف تدل على مكانتهم العلمية وعلى دورهم في الاعمال الفكرية الخالدة ولهذا يمكننا ان نجعل اوصاف الكانوني صورة تكاد تكون هي الحقيقة نفسها فليست النعوت التى وصفه بها حفيده مجاملات وانما هي وليدة ملاحظة ومشاهدة ونتيجة تجارب متواصلة فنحن نرى انه قد منحه في النص السابق ما يدل على موسوعيته واطلاعه ثم اضاف اليه في مناسبات اخرى ما يدل على نبوغه وسعة خاطره في البحث والدراسة فقال اثناء حديثه عن كتاب آسفى وما اليه قديما وحديثا انه من تاليف مدينتنا النابغة البحاثة ابى عبد الله محمد بن احمد الكانوني العبدي اصلا المولود سنة 1311 هـ احدى عشرة وثلاثمائة والف موافق سنة 1893 م والمتوفى بمدينة الدار البيضاء خامس عشر رمضان سنة 1357 سبع وخمسين وثلاثمائة والف موافق 1938 م رحمه الله .

وقال عن هذا الكتاب انه مقدمة للتاليف المسمى بجواهر الكمال في تراجم الرجال والواقع ان جواهر الكمال انما هو قسم ثالث لكتاب آسفى وما اليه حسب التخطيط الاولى للكتاب وان كنا نلاحظ ان المؤلف عند الطبع جعله قسما ثانيا ولعل ذلك بسبب الاخراج الى القراء لتعذر طبع القسم السياسي من تاريخ آسفى وما اليه .

---

1) توفى رحمه الله والمقال قيد الطبع (دعوة الحق) .

وربما سنتقدم للقراء في عدد مقبل ما يتعلــــق بتصميم الكتاب وما يتصل به قبل ان نتطرق الـــى الحديث عن نسب الكانوني وعن دراسته والتعريــف بقبيلته .

وهذا التنويع مقصود عندي في البحث فاني أرى أن الانصهار مع الكانوني ينبغي ان يأخذ مسارا طبيعيا عاديا لا يشعر فيه القارىء بأي انفصال بين حيـــاة الكانوني الفردية وبين اتجاهاته الفكرية وبذلك يستطيع كل منا ان يستشف اعماق هذا الباحث وان يستفيد من مواهبه وان يطلع على منهجه في البحث وعلى خطته الجامعة بين اقرار الحقائق العلمية وبين الدعوة الى الاخلاص والمواجهة والتحرير .

اللجنة الوطنية للأوقاف والشؤون الإسلامية تطالب بدعم مجلتي "دعوة الحق" و"الإرشاد"

اجتمعت بالرباط خلال أيام 10 و 11 و 12 يوليـوز 1980 — ولاول مرة — اللجنة الوطنية للاوقاف والشؤون الاسلامية لدراسة مشروع المخطط الخماسي 1981 — 1985 . وقد ترأس اشغال اللجنة الدكتور احمد رمزي ، وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بحضور الكاتب العام السيد محمد المرابط ورؤساء الاقسام والمصالح بالوزارة ونظار الاوقاف بالمملكة وموظفي الادارة بالاضافة الى مندوبين عن مختلف الوزارات وعدد من المهندسين المعماريين والتقنيين .

وقد تفرعت عن اللجنة الوطنية لجان ثلاث هي : لجنة الشؤون الاسلامية ولجنة الشؤون الاجتماعية ولجنة الاستثمار والتنمية ، انكبت على دراسة المشروع وأصدرت توصيات هامة من بينها الاهتمام بالاحـوال المادية للمقيمين الدينيين بالمساجد ، ومطالبة الدولة بمجهود مالي في هذا المجال ، ودعم مجلتي دعوة الحق والارشاد بالزيادة في الغلاف المالـي ورفع كمية النسخ المطبوعة من 5000 نسخـة الى 30.000 بالنسبـة لدعوة الحق والى 40 000 بالنسبة للارشاد، كما شملت التوصيات عددا آخر من الميادين الخاصة بالاوقاف .

رسالة

مبادئ السالكين إلى مقامات العارفين

للأستاذ عبد القادر العافية

هذه رسالة (1) لطيفة ، في موضوع الرقائق الصوفية والتأملات الذوقية ، والمعاني النفسة المنبثقة عن صفاء الذهن وسمو الروح ...

وهي رسالة ألفها الشيخ ابو الحسن علي بن ميمون (2) الادريسي الغماري البوزرلتي : (854 ـ 917هـ) (1450 ـ 1511م)

ألفها لبعض مريديه ما بين سنتي : (915 ـ 917هـ) عندما كان مقيما بالمدرسة الصالحية بدمشق (3)

وعلي بن ميمون مؤلف هذه الرسالة هو احد علماء المغرب في القرن التاسع الهجري ، درس أولا بمعاهد جبال غمارة ثم بالقرويين بفاس تولى بعد ذلك رئاسة رباط للمجاهدين على البحر بقبيلة (بني زيات) الغمارية وغزا وجاهد وتولى مهام الكتابة ثم منصب القضاء لامير شفشاون علي بن راشد (ت 1511/917) في نهاية القرن التاسع الهجري وعاد للقرويين بفاس ومنها رحل الى المشرق عن طريق الجزائر فتونس فليبيا ... وحج بيت الله الحرام ، ثم جال في بلاد الشام وتركيا ، واخيرا استقر به المقام بصالحية دمشق بسوريا واشتغل بالتدريس فكون اتباعا ومريدين وتلامذة أوفياء ...

وخلف مجموعة من المؤلفات تبلغ نحو العشرين مؤلفا ، جعلها في محاربة البدع ، والرقائق الصوفية ، والدعوة الى التثبت بالكتاب والسنة .

ومن بين مؤلفاته : (رسالة مبادئ السالكين الى مقامات العارفين) وهي رسالة قصيرة تشتمل على خمسة عشر فصلا خصص المؤلف كل فصل للكلام عن جارحة من الجوارح السبعة ـ كما يسميها ـ وهي : السمع والبصر واللسان، واليد، والرجل، والبطن والفرج .

وهذه الجوارح ، اكد على وجوب حفظها من الشهوات ومن مهاوي الضلال ذاكرا الآفاق التي تعترض كل جارحة منها.

ولطال الكلام عن جارحة اللسان وحذر من المزالق التي تتعرض لها هذه الجارحة ...

وهو أثناء معالجته لما تتعرض له الجوارح يأتي بآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وحكم وعظات مبينا ما يعرض لكل جارحة وحاثا على وجوب حفظها وصيانتها حتى لاتكون وسيلة من وسائل ارتكاب الآثام وبذلك تفتح على صاحبها بابا من ابواب جهنم .

وبعد ما تحدث عن وجوب حفظ كل جارحة على حدة ، عقد فصلا لما يجب أن تستعمل فيه هذه الجوارح السبعة وفي ذلك يقول : «واذا من الله عليك بحفظ جوارحك من محارم الله كما تقدم ذكره ، فيجب عليك استعمالها في طاعته تعالى ، لانها من اعظم نعمة عليك ، والنعم يجب الشكر عليها ، قال تعالى : « فاذكروني أذكركم ، واشكروا لي ولا تكفرون » وقال : « سيجزي الله الشاكرين » (4)

وبعدما اتى بجملة آيات وأحاديث في هذا الموضوع قال : « ان هذه الجوارح تكون شاهدة عليك يوم القيامة ، قال تعالى : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » (5) وقال جل من قائل : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم ، وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » (6) وقال جل ثناؤه : « وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء ، وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون » » (7)

والملاحظ من خلال قراءة كتب الشيخ علي بن ميمون ، ان الرجل له براعة عجيبة في الاستدلال بالايات القرآنية ، ويطاوعه الاستشهاد بها ، بحيث يستقصي الآيات الواردة في الموضوع الذي تناوله استقصاء عجيبا وذلك يدل دلالة واضحة على وعي الرجل بالقرآن الكريم وعيا يجعل سوره وآياته نصب عينيه ، لانه في ذلك الوقت لم يكن هناك معجم مفهرس لالفاظ القرآن الكريم ولذلك فالاستدلال بالآيات القرآنية واستقصاؤه في الموضوع الواحد كان يعتمد على وعي القرآن وعلى الذاكرة وحدها .

والحقيقة ان الشيخ علي بن ميمون له مجال واسع في ميدان الدراسات القرآنية ، لانه وعى القرآن وهو دون البلوغ ، ثم أخذ يرتقي في دراسته ودراسة علومه ، ورواياته وما الى ذلك مما يتعلق بضبطه ورسمه .. وقد بدا تلك الدراسات بجبال غمارة التي كانت من اهم المراكز في ذلك ، وتمكن من التضلع فيها بفاس خاصة وانه درس علوم القرآن على اساتذة مختصين مثل الشيخ ابن عبد الله محمد النيجي الصغير (ت : 987 هـ) والشيخ ابو عبد الله محمد ابن غازي (ت : 919 هـ) والاستاذ محمد الهبطي الصماتي (ت : 930 هـ) صاحب وقف القرآن وغيرهم .

ومن هنا لا نستغرب من استحضار الرجل للآيات القرآنية أثناء كتاباته واستدلالاته واستشهاداته ..

وهو بعدما أكد على حفظ الجوارح السبعة اخذ يذكر كل جارحة وكيف يجب استعمالها .

وهنا أنقل للقارئ الكريم ما قاله عن احدى هذه الجوارح وذلك لنتذوق مع علي ابن ميمون جمال طاعة الخالق ، ونتبين اسلوب الرجل في معالجته لمثل هذه المواضيع فعن جارحة (الفرج) مثلا يقول

« فصل وأما الفرج فينبغي لك ان تقصد بوطئك زوجتك اتباع سنة نبيك ، قال عليه الصلاة والسلام : « من سنتنا النكاح فمن رغب عن سنتنا فليس منا » وقال عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة .. وما ذلك الا لما فيه من جزيل ثواب الآخرة ، واياك ان تقتصر على مجرد الشهوة للالتذاذ بالوطء ومقدماته ، وغير ذلك ، لان الانشغال بالنعمة عن المنعم هو وصف البهائم ، وقد تقدم على ذلك ، بل تعرف ان خالقك تعالى يتعرف لك ويتحبب اليك بنعمه لتعرفه ، فاذا عرفته عبدته ففي المنكوحة زوجة كانت ، او جارية ، نعم لا يستطيع احد من الخلق احصاءها ، فكل عضو منها نعمة بل نعم ،

فيحصل لك من الالتذاذ بذلك ما لا يعلمه الا الله المنعم به عليك ، وانت غافل عنه ، فاول ذلك وقوع بصرك على جملتها ، ثم يتنوع الالتذاذ بتنوع محاسن اعضائها ، كالعين ، والحاجب ، والجبهة ، والخد ، والفم ، واللسان ، والاسنان ، والشفتين ، والانف ، وجملة الوجه ، والشعر والاذنان ، والعنق ، والصدر ، والمعصم ، والاصبع ، والظفر ، والثدي ، والسرة ، والبطن ، والفرج ، والفخذ ، والرجل ، والساق ، والقدم ، واصبع القدم ، وظفره ، وغير ذلك مما لا يحصى ، مثل ثيابها ، وحليها وحلتها ، واقبالها ، وادبارها ، وكلامها ، ونفسها وحركاتها ، وسكناتها .. الى ما لا نهاية له من المحاسن التي اودع الله لك فيها ، ثم ودها لك ، لمحبتها ، وتشريفها وتعظيمها ، وبرورها ، والقيام بحقك في جميع شانك من اكل وشرب ، ونوم ويقظة ، وفرش ، وعطاء ، وجماع ، وغير ذلك ، والسر الاكبر ، في اللذة الكبرى ، وكل هذا من نعم الله التي انعم بها عليك ، ويتعرف بها لك ، وانت غافل عنها ، فلا تشتغل بها عنه فتكون من المحرومين ، بل عليك ان تكون شاكرا له ذاكرا له كلما استمتعت بشيء من ذلك ، بنظر او او قبلة ، او لمس ، او مباشرة خد ، او وطء ، وانزال .. لتكون من عباده الذاكرين الشاكرين قال سبحانه وتعالى : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا ، وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك . » (8)

فتفكر في نعمه عليك ، وهذا القدر في وصف نعمة الزوجة .. باختصار ، وكذلك الحكم في سائر الجوارح .. لكن اذا فهمت هذا وصلت الى غيره مما هو ادق واخفى منه بتوفيق من الله سبحانه وتعالى ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت ، واليه انيب .» (9)

فالمؤلف هنا ينظر الى نعم الله التي انعم بها على الانسان نظرة عميقة ، ويرى في كل نعمة منها هبات ربانية ، لاتحصى ولا تقدر ... ولذلك فهو ينبه المريد الغافل عن هذه الهبات الالاهية ، ويحذر من استخدام منح الله وهباته فيما حرمه عليه ، او نهاه عنه .

فعلى ابن ميمون بالرغم من كونه ينحو النحو الصوفي في اسلوبه وبيانه .. فهو ليس من غلاة الصوفية القائلين بان متاعب الحياة الزوجية ، ومسؤولياتها تبعد المتعبد عن حب الله ، وعن الفناء فيه ... بل هو على العكس من ذلك يرى ان التفكر في نعم الله باب من الابواب الموصلة الى معرفته ، ومعرفته تعالى وسيلة لعبادته والتقرب اليه .

فابن ميمون ليس من الذين يؤولون التشريعات الالاهية او يفسرونها تفسيرا خاصا ... ولكنه من الذين يبحثون عن اسرارها وفي الفصل المقابل للفصل السالف قال :

« فصل واما وجوب حفظ الفرج » ، فقال تعالى : قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن . » (10) وقال تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ، فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » (11) والذي وراء ذلك هو الزنى ، وهو حرام ، قال تعالى : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا (12) وقال تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » (13) وقال الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين » (14) فقرن الزنا بالشرك لعظيم اثمه ، والزنا لم يحل في ملة من الملل المتقدمة و ما ذلك الا لكونه عند الله عظيم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن » فنفى عليه السلام الايمان عنه في وقت زناه »

وبعد هذه المقدمة التي اتى فيها بادلة قاطعة على تحريم الزنى ، وعدد الآيات القرآنية على عادته في ذلك قال :

«ومما يقع به حفظ الفرج « الزواج » و« الصوم » و « التسري » اما الزواج فقال عليه السلام : من تزوج فقد أكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر ، وهو اللسان » فالدين بهذا الاعتبار يتمثل في حفظ الفرج واللسان فمن حفظهما حفظ دينه ، وذلك لعظيم فسادهما .

واما حفظ الفرج بالصوم فقال عليه السلام « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء .. » (15)

وهكذا يمضي الشيخ علي بن ميمون في الاستدلال بالآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة وهو في كل ذلك يسعى الى تهذيب نفس المريد ، والى تربيتها تربية اسلامية متينة ، تغترف من منابع الكتاب والسنة .

وبهذا يتجلى ان تصوف علي بن ميمون كان يهدف الى تثبيت الاخلاق الاسلامية ، والمبادىء القرآنية .

فابن ميمون ليس من الذين يؤولون التشريعات الالاهية او يفسرونها تفسيرا خاصا بهم .. لكنه من الذين يبحثون عن اسرارها وعن الحكمة منها ، ومن كتبنا . [illegible] مشروعيتها .. لان الرجل متشبع بالمذهب السني ، وبالدراسات الاسلامية [illegible] .. وكيف لا وهو [illegible] من منابع المعرفة بجامعة القرويين التي ظل علماؤها عبر الاجيال والاحقاب يحافظون على المذهب السني القويم ، ويغترفون من منابع الشريعة السمحاء ، لا يعرفون [illegible] ، ولا يخرجون عن الجادة والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها الا هالك .

فصاحبنا ظل وفيا لشيوخه ، ولاستقامة مبادئهم وكان يرى فيهم النموذج الامثل للمسلم الحقيقي المتشبث بتعاليم دينه الحنيف .

ظل مخلصا لهم بالرغم من بعده عنهم ، وبالرغم من وجوده في بيئة تختلف عن بيئتهم .. فهو بالرغم من وجوده في المشرق الذي كان ملتقى افكار شتى ، ومعترك مذاهب متعددة ، ونحل متباينة .. لم يتزحزح عن مذهبه السني ، المالكي ، بل نصب نفسه داعيا الى الله ، ومحاربا للبدع ، والافكار الضالة ..

والذي يقرا كتب علي ابن ميمون يرى ان الرجل مغتنما كل فرصة للتنويه بهم فقد بقي وفيا لشيوخه بالقرويين ، ومعجبا بهم ، وتعداد مزاياهم ، والاشادة بتحصيلهم ، ومداركهم ، وبطريقة تدريسهم ، وبمنهجيتهم .. ويتجلى هذا بوضوح في الكتب الآتية :

1) (الرسالة المجازة في معرفة الاجازة) (16)
2) (رسالة الاخوان من اهل الفقه وحملة القرآن) (17)
3) (بيان غربة الاسلام بواسطة صنفي المتفقهة والمتفقرة من اهل مصر والشام وما يليهما من بلاد العجم) (18)

فهو في الكتابين الاولين ذكر مجموعة من شيوخه بالقرويين باسمائهم ، واوصافهم ذاكرا المواد التي درسها عليهم ، وطريقة تدريسهم ومنهجيتهم في التدريس ..

وفي الكتاب الثالث فاخر بهم اهل المشرق حيث قارن بين طرق التدريس في المشرق والمغرب ، واعطى فكرة عنها ، ثم اشاد بطرق التدريس المتبعة بالمعاهد المغربية في ذلك العهد .

وهو في جميع كتاباته التي كتبها بالمشرق ملتزم لمذهبه ، وقضايا وطنه .

ـ التعاليق

(1) توجد هذه الرسالة ضمن مجموع بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم : 2478 : ك

(2) ترجم لعلي ابن ميمون ، الشيخ نجم الدين الغزي في كتابه « الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة) ج : 1 : حرف العين ص : 271 ، ط : بيروت بتحقيق الدكتور جبران سليمان سنة 1945 .
وابن عسكر في الدوحة ص : 21 : ط. ح. ف.
وخصه بعض تلامذته بمؤلف خاص ، وهو : علي بن علوان الحموي الشافعي (ت : 936 هـ)
وسمى كتابه عنه : مجلس الحزن عن المحزون في مناقب الشيخ علي بن ميمون)
و تحدث علي بن ميمون عن نفسه في كتابه : (رسالة الاخوان من أهل الفقه وحملة القرآن)
و (الرسالة المجازة في معرفة الاجازة)
وترجم له خير الدين الزركلي في الاعلام ، حرف العين ج : 5 : 180 .
وترجم له الشيخ يوسف النبهاني في كتابه (جامع كرامة الاولياء) حرف العين .
والدكتور عبد الهادي التازي في كتابه (جامع القرويين) ج : 2 : 509 .
والدكتور محمد حجي في كتابه (الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين)ج : 2 422 .
والاستاذ عبد العزيز بن عبد الله في (الموسوعة المغربية ..) ج : 2 (ابن ميمون) . 129
وترجم له غير هؤلاء .

(3) مدرسة لتدريس علوم القرآن والحديث نسبة الى (صلاح الدين الايوبي)

(4) سورة آل عمران : الآية : 144

(5) سورة النور الآية : 24

(6) سورة (ص) الآية : 65

(7) .. فصلت الآية : 21

(8) .. آل عمران الآية 191

(9) .. (هود) الآية : 88

(10) .. النور الآية : 30 و 31

(11) .. (المؤمنون) الآية : 7

(12) .. الاسراء الآية : 32

(13) .. (النور) الآية : 2

(14) .. (النور) الآية : 3

(15) رسالة مبادئ السالكين

(16) (مخطوطة) بمكتبة جامع القرويين ، ولها مكروفيلم بالمكتبة العامة بالرباط تحت رقم : 1343

(17) المكتبة العامة بالرباط رقم : 1780 د والمكتبة الملكية بالرباط رقم : 5014

(18) المكتبة العامة بالرباط رقم : 2123 ك .

المظاهر العلمية في الحضارة الاسلامية

١. الجغرافية والرحلات

للدكتور محمد كمال شبانة

عندما بلغت الدولة العربية اوج قوتها تطلع الناس الى الهجرة من بلادهم ، للتعرف على الاقطار الاخرى ، يحدوهم الى هذا هدفان رئيسيان ، هما التجارة ، والعلم ، وأخذ علماء الرحلات يصنعون المؤلفات لهذه الرحلات ، كما اهتمت الحكومات بتأسيس رباطات يحط بها المسافرون ، ويتبلغون منها زادهم ، فكانت تلك المؤلفات بمثابة كتب الدليل ذات الخرائط المنتشرة اليوم ، توضح المسافات بين بلد وآخر ، وتتحدث عن أخلاق الامم وتقاليدها ومعتقداتها ، كما تعنى بذكر انواع السلع والصناعات المشهورة لديها ، بالاضافة الى الحاصلات الزراعيه ، ونوع المكاييل والمقاييس والاوزان المستعملة بهذا القطر او ذاك ، وهذا كله بخلاف الاهتمام في ضمن الكتب بذكر أسماء المشهورين من الناس في كل بلد وقطر ، فهي مرشد شامل لكافة ما ينشده المسافر او المهاجر .

ولقد عرف عن العرب منذ القدم مرونتهم في مسايرة الحضارات المختلفة ، وانهم ذوو خيال خصب وحيوية وفطنة ، ومن هذا المنطلق استطاعوا ان يربطوا علاقات اقتصادية في أقاصي الاقطار ، في الصين وبعض البقاع من روسيا ومن مجاهل أفريقيا وغيرها ، بحيث لم تقف بعد الشقة او قلة الامكانيات حائلا دون ممارسة العرب لفن الرحلات الى شتى الانحاء من العالم .

كانت طبقة الرواد الاوائل في الرحلات العربية تتألف من التجار ، وبالرغم مما كان يعوز هؤلاء من الثقافة الواسعة في العلم والمعرفة الا أن تنقلاتهم التجارية كانت تتخللها طرائف مفيدة أحيانا حسبما جاء في المؤرخات الخاصة بهذا اللون الثقافي

وهكذا سرعان ما نشأ بين العرب بعد ذلك اولو المعرفة الذي كان لرحلاتهم أثر واضح في تنقل الثقافة واستيعاب ما لدى الاخرين ، واول ما عرفناه من الرحلات العربية رحلة التاجر سليمان لبلاد الصين في القرن التاسع الميلادي ، فقد أبحر هذا التاجر من بلدة سيراف الواقعة على الخليج العربي الذي كانت تتردد عليه المراكب الصينية ، وجاوز المحيط الهندي حتى بلغ شواطىء بلاد الصين ، ثم سجل رحلته عام 851 م ، وجاء احد ابناء بلده فاكمل هذه الرحلة عام 880 م ، حيث أضاف اليها بعض المعلومات التي استقاها من بعض العرب الذين سبقوا لزيارة بلاد الصين .

وتجدر الاشارة هنا الى ان كتاب سليمان هذا كان اول مؤلف نشر في بلاد الغرب عن البلاد الصينية ، وقد ترجم الى الفرنسية أوائل القرن التاسع عشر ، كما ان رحلة سليمان هذه قد وقعت قبل قيام « ماركو بولو » الشهير برحلاته المعروفة بما يقرب من اربعة قرون ، ولو ان الابحاث التي اشتملت عليها تلك الرحلة السليمانية كانت ذات مجال ثقافي محدود .

اما الرحالة العربي « المسعودي » المولود في بغداد أواخر القرن التاسع الميلادي فقد امضى خمسا وعشرين سنة من عمره وهو يطوف الممالك الاسلامية والممالك المجاورة لها ، مسجلا مشاهداته في تآليفه ، واصفا احوال الامم التي زارها شرقا وغربا ، وذكر عقائدهم وعوائدهم ، كما احاط وصفا بالبلدان والجبال والبحار والانهار ، ومن

اهم تلك التآليف التي صنفها المسعودي في هذا المجال كتابه « مروج الذهب » ·

كذلك يذكر في ذلك العصر الرحالة « المقدسي » الذي يتحدث عن نفسه بانه لم يبق شيئا مما يلحق المسافرين الا وقد اخذ منه نصيبا ، وانه انفق في اسفاره ما يربو على عشرة آلاف درهم · ومثله « ابن حوقل » الذي يقول : انه شاهد كل ما كتب عنه وعاينه الا الصحراء الغربية فيعرف بانه لم يشاهدها جميعها ، وقد اقتصر كلا من هذين الرحالتين على وصف للممالك الاسلامية ، ويعترف المقدسي بانه لم يتعرض لوصف ممالك الكفار لانه لم تتيض له مشاهدتها ، وكان ذلك سببا لعدم ذكرها ضمن مشاهداته ، حيث كانت المشاهدة والمعاينة لديه أساسا ودعامة للوصف ، وكانت التآليف التي سبقت هذين الرحالتين مصدرا اضافيا للكتابة عن هذه الممالك التي الفا في شانها ·

اما الرحالة « البيروني » وهو من الشهرة بمكان فقد رافق السلطان محمود الغزنوي في حملته على الهند ، فكتب عما شاهده في بلاد السند وشمال الهند ، محاولا تصحيح بعض الافكار المتعلقة بتلك البلاد ، معتمدا على حسابه الفلكي ، وسمى كتابه عن الهند « تحقيق ما للهند من مقولة في العقل او مرذولة » ويأتي الرحالة « المهلبي » الذي كتب للخليفة الفاطمي العزيز بالله – اواخر القرن العاشر الميلادي – كتابا عن الطرق والمسالك ، بحيث كان اول مؤلف يتناول بلاد السودان بالوصف الدقيق في الوقت الذي كان علماء الجغرافيا لا يلمون الا بالقليل من المعلومات عن القطر السوداني ·

ثم يجيء دور الاندلسيين في هذا الصدد ، وما اكثر علماءهم في الجغرافيا والرحلات ، ولعل « الشريف الادريسي » اشهرهم ، بل ربما كان اكبر جغرافيي المسلمين ، وللاوربيين مجال واسع في دراسته ، والسر في هذا يعود الى ان هذا الرحالة كان قد اتصل في عهده بملك صقلية روجرز الثاني بعد الرحلات التي قام بها في عدة مناطق من العالم ، فكان هذا الملك يشجعه على التاليف في الجغرافيا ، وفعلا اخرج كتابه الشهير « نزهة المشتاق » ، وزود مؤلفه هذا بالخرائط الكثيرة التي تجاوزت الاربعين ، بحيث كان اعظم كتاب جغرافي في عصره ، فترجم الى اللاتينية ، ثم ترجم بعد ذلك الى الفرنسية وطبع عام 1840 م ·

ويطالعنا التاريخ الاندلسي بواحد من اشهر رحالة الاندلس وهو « ابن جبير » المولود سنة 540 هـ ، حيث اضطلع بعدة رحلات ، منها رحلته الى الاقطار الحجازية ، والتي استهلها من غرناطة الى « سبتة » بعد ان عبر البحر عن طريق « طريف » ، ثم ابحر الى الاسكندرية ، وفيها نزل متجها نحو « القاهرة » ، ومنها جنوبا حتى مدينة « قوص » ، ثم « عيذاب » قرب البحر الاحمر ، ومنها الى « جدة » · وعاد عن طريق شمال الجزيرة العربية ، حيث دخل العراق فزار بغداد والموصل والكوفة ، ثم ذهب الى الشام فزار حلب ودمشق ، وابحر من « عكا » حتى وصل صقلية ، ومنها ركب الى غرناطة · كما قام برحلتين اخريين الى المشرق ، اولاهما عام 585 هـ ، والتالية عام 614 هـ ·

لقد اشتملت رحلات ابن جبير على فوائد جمة ، فهو يتحدث خلالها عن لقاءاته التي تمت بينه وبين علماء تلك البلاد التي حط بها ، ورؤيته للمكسين بالاسواق واسلوب تقاضيهم للضرائب ، عدا اوصافه الدقيقة لكل قطر من نواحي شتى ، حتى يعطي القارىء صورة جغرافية واجتماعية واقتصادية للبلاد التي دخلها، ولذلك عنى الاوربيون برحلاته هذه لاسيما منها القسم الذي تناول فيه وصف جزيرة صقلية يومئذ ، الامر الذي حدا بهؤلاء الباحثين الى ان يقوموا بترجمة ذلك ، وتناوله بالشرح والتعليق ·

أما التاريخ المغربي فيبرز لنا الرحالة الشهير «ابن بطوطة» استهل سياحته عام 1325م متجولا بادىء ذي بدء بالشمال الافريقي ، فمصر ، ثم فلسطين ، فالعراق ، وبلاد الشام ، فالحجاز ، ثم القسطنطينية ، فروسيا الجنوبية ، ثم توجه الى «دلهي» – التي كانت وقتئذ ضمن البلاد الاسلامية – حيث اوفده سلطانها الى عاهل الصين ، فقصد الى الصين بحرا ، وحيث عرج في طريقه على سيلان وجاوه وسومطرة ، ثم زار «بكين» ، ومنها عاد الى وطنه عن طريق البحر ، ودون رحلته هذه كلها في كتابه « تحفة النظار ، في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار» المعروف برحلة ابن بطوطة ، والذي تمت ترجمته الى الفرنسية ، وطبعت في باريز عام 1853 م ·

هؤلاء هم اشهر من الف في «الرحلات والجغرافيا» من العلماء العرب ، والذين اتخذوا من المشاهدة اساسا للكتابة والتدوين ، وذلك ينم عن المنهجية العلمية ، واقصى ما يتطلع اليه البحث العلمي السليم ··

هذا ، وانه ليعزى تقدم علم الجغرافيا الى رحلات العرب ومعلوماتهم الفلكية، بعد ان تتلمذوا في البداية على علماء اليونان لاسيما بطليموس ، ولكن العرب فاقوا هؤلاء في النهاية ، ويقال في هذا الشان ان اماكن المدن التي عينها بطليموس كانت غير مطابقة للواقع في كثير من الاحيان ، فصحح الرحالة العرب كل هذا في مؤلفاتهم ، ونذكر على سبيل المثال دليلا على التفوق العربي في هذا المضمار خريطة «الادريسي» التي اشتملت على منابع النيل والبحيرات الاستوائية التي لم يكتشفها

الاوربيون الا في العصر الحديث ، مما يدل على قصب السبق للرحالة العربي في جغرافية افريقيا .

وانه ليُنسب الفضل الى العرب في القول بفكرة دوران الارض واستدارتها ، وكان معروفا لدى المسيحيين في الاديرة ان خارطة العالم عبارة عن قطعة من الارض تحيط بها المياه ، وفي وسطها تقع الجنة !! فكانت الكنيسة بهذا التصور تنكر استدارة الارض ودورانها على ما هو معروف علميا .

يقول ابن خرداذبة (885م) : ان الارض مدورة تدوير الكرة ، وموضوعة في جوف الفلك » .

ويقول ابن رستة المتوفي عام 903م : «ان الله وضع الفلك مستديرا كاستدارة الكرة ، والارض مستديرة ايضا كالكرة ، والدليل على ذلك ان الشمس والقمر وسائر الكواكب لايوجد طلوعها ولاغروبها على جميع من في نواحي الارض في وقت واحد » . ويذكر ان الكاردينال بطرس الايلي قد اعتمد على المصادر العربيه عندما رسم خريطته المعروفة ، والتي سماها «صورة الدنيا» حيث تخيل الارض مثل الكمثري المستطيلة ، وقد نشر هذه الخريطه أوائل القرن الخمس عشر قبل رحله كولومبس بنحو ثمانين عاما ، وهو سبق اصلا يذكر للعرب عند الحديث عن كشف العالم الجديد بالدراسة والتقصي العلمي ، حيث ان شيوع فكرة استدارة الارض استقاء من المراجع العربية يعد الخطوة الاساسية التي سبقت محاولة كولومبس واكتشافه، اذ لولا هذه الخطوة العربيه لكان اهل اوربا الشمالية أولى بكشف الدنيا الجديدة ، لانهم أقرب اليها ، ولهم خبراتهم الملاحية التي تؤهلهم لهذا الاكتشاف تماما كدراية ابناء الشواطيء الجنوبية .

حقا ، لقد اهتم العرب الاوائل بالجغرافيا الفلكية اهتماما عظيما ، وتقدموا بها خطوات فاقت كل ما عرفه العالم القديم ، ويذكر في هذا المجال أن العرب قاسوا محيط الكرة الارضية ، وقاموا بتصحيح خطوط الطول والعرض ، كما توصل «ابن سينا» الى نتائج بالغة الاهمية تتصل بنشأة الجبال وطبقات الصخور ، وله كتاب عن المعادن يعد مرجعا اساسيا وهاما في دراسة علم طبقات الارض ، وقد اعتمد عليه العلماء من بعد وحتى القرن الثامن عشر ..

وعلى هذا يمكن القول في ضوء هذه الحقائق ـ ان للعرب فضلا كبيرا في التوصل الى بعض الحقائق العلمية الهامة التي صححوا بها ما وقع فيه بطليموس من اخطاء ، نتيجة البحث والدرس المدعمين بالتجربة والملاحظة التي اتسمت بها ابحاثهم في سائر الشئون العلمية ، كما انه كانت لنظرياتهم في الجغرافيا الفلكية الفضل فيما توصل اليه من بعد كبار الرحالة الاوربيين ، بفضل شيوع الافكار ، وانتشار المؤلفات والرحلات العربية في اقطار شتى من العالم .

(الرياضيات والفلك)

لقد اسهم العرب بنصيب وافر في مجالات الرياضيات والفلك ، وكان العرب قبيل البعثة النبوية وفي صدر الاسلام يستنكفون من تعلم الحساب ، فلما تحضروا وراوا افتقارهم للحساب مالوا اليه ، ثم مالبثوا أن استغرقوا في طلب العلم كله على اختلاف انواعه ونقلوه الى لسانهم، فكان الحساب في جملة تلك العلوم ..

ومن اكبر مآثر التمدن الاسلامي في الرياضيات نقلهم الحساب الهندي والارقام الهندية من الهند الى سائر اقطار العالم ، فالعرب يسمونها ارقاما هندية لانهم نقلوها عن الهند ، والافرنج يسمونها عربية لانهم اخذوها عن العرب ، واول من نقل هذه الارقام عن الهند هو ابو جعفر محمد بن موسى .

ومن اعظم ما اسداه العرب للعالم في الرياضيات اختراع علامة الصفر، فهم أول من استعملوه كما نستعمله اليوم ، وهذا الاختراع جعل في الامكان حل المعادلات الطويلة ، والعرب هم واضعو الكسر العشري . وبصفة عامة فان الحساب اصبح بفضل العرب علما راسخا ، اذ صاغوه في الصورة التي نألفها اليوم والتي اخذها عنهم الاوربيون .

واما الجبر فللعرب فضل كبير في وضعه او تاليفه ، ففي حركة الترجمة عن اليونانية نقل كتابان في الجبر، وقد اصبح معروفا ان هذين الكتابين ليسا من الجبر في شيء ، أو انهما قدما اصولا ضعيفة لايعتد بها ، والاعتقاد السائد في أوربا ان الجبر من وضع العرب .

والحقيقة أن العرب ـ بعد أن اطلعوا على حساب الهنود ، واضافوا الى ما نقلوه عن اليونان ـ بنوا على ذلك علم الجبر وقد بلغ علم الجبر من الانتشار بين العرب الى الحد الذي ألف معه بن موسى كتابا موطئا له بامر المامون ، ومن هذا الكتاب اقتبس الاوربيون ـ بعد زمن طويل ـ معارفهم الاولى لعلم الجبر .

ومن اشهر المؤلفات العربية في الجبر كتاب «الجبر والمقابلة» الذي وضعه محمد بن موسى الخوارزمي من علماء القرن الثالث الهجري ، والظاهر ان الخوارزمي جمع بين ما عثر عليه من الاصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس ، واستخرج من كل ذلك الجبر العربي .
لقد عنى العلماء العرب بشرح كتاب الخوارزمي مرارا ، فقد شرحه كل من سنان بن الفتح ، وعبد الله

بن الحسن المدائني ، وأبي الوفا التجاني ، والبيروني ، كما ترجم كتاب الخوارزمي الى اللغة اللاتينية ، وبهذا انتقلت معارف علم الجبر العربي الى أوربا ، ولاصالة العرب في هذا العلم فانه يعرف باسمه العربي في جميع اللغات الاوربية .

وقد الف في الجبر ايضا ابو كامل شجاع بن اسلم ، وابو حنيفة الدينوري المتوفي سنة 221هـ ، وابو العباس السرخسي المتوفي عام 286هـ . وعن هؤلاء العلماء العرب وغيرهم أخذ الاوربيون اصول نهضتهم الحديثة .

ومما احدثه العلماء العرب في الهندسة انهم طبقوها على المنطق ، وقد فعل ذلك ابن الهيثم اوائل القرن الخامس الهجري ، حيث الف كتابا جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من «اقليدس» وغيره ، ونوع فيها الاصول وقسمها ، وبرهن عليها ، وأدخل التحليل الهندسي والتقدير العددي ، وعدل فيه عن اوضاع الجبريين والفاظهم .

والحسن بن موسى بن شاكر اشتغل ايضا في هذا المضمار حينما استخرج مسائل هندسية لم يستخرجها احد من الاولين ، كقسمه الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية ، وغير ذلك ..

والى جانب ابن الهيثم والحسن بن موسى نجد علماء اخرين اشتهروا بابحاثهم في الرياضيات ، مثل محمد بن محمد البوزجاني من علماء القرن الرابع الهجري ، وقد اشتغل هذا العالم بعلمي الفلك والرياضيات ، ويقول عنه علماء اوربا : «ان له في الهندسة استخراجات غريبة لم يسبق اليها ، وله كذلك مبتكرات في الاوتار» ، وقد كتب هذا العالم في الجبر ، وكتب في العلاقة بين الجبر والهندسة ، وله بحوث قيمة في المثلثات ، وادخل تجديدات على القطاع ، وعلى يده تقدمت نظريات المثلثات .

وفي اوائل القرن الرابع الهجري اشتهر محمد بن الحسن الخازن ، ويقال عنه انه اول من حول المعادلات التكعيبية بواسطة قطوع المخروط ، وله بحوث كثيرة في المثلثات .

وفي نفس هذا العصر اشتهر ايضا ابو عبد الله البتاني في الفلك والرياضيات ، وكان لهذا العالم باع طويل في الهندسة وحساب النجوم ، وقد ترجمت بعض مؤلفاته الى اللاتينية ، وطبعت بروما سنة 1799م .

ويحتل بعض علماء الرياضة الذروة في نظر الاوربيين ، فمما هو مشهور عن الاستاذ «درل ساخاو» الذي كان استاذا للغات اسامية في جامعة فينا قوله عن البيروني : انه اعظم العقول التي ظهرت في العالم ، كما يعتبر البتاني في نظر احد اساتذة فرنسا الكبار - واحدا من عشرين رياضيا ظهروا في العالم القديم والحديث .

هذا ، وتحسن الاشارة الى اهم ما يمكن ان ينسب الى العرب من التجديدات في الرياضيات ، فلقد ادخلوا «الخط المماس» الى حساب المثلثات ، وحلوا «المعادلات المكعبة» ، وتوسعوا في مباحث «المخروطات» ، واحلوا «الجيوب» محل «الاوتار» ، وانشأوا النظريات الاساسية لحل مثلثات الاضلاع ، كما انهم توصلوا الى نتائج باهرة في تلك المجالات التي كانت ثورة علمية بعيدة الآثار بالنسبة للحضارة الأوربية الحديثة .

اما دراسة «الفلك» فقد كان للعرب فيها فضل كبير ، ويكفي انهم جمعوا فيه بين مذاهب اليونان والهند والفرس والكلدان ، ففي اوائل عهد النهضة العربية نقل محمد الفزاري أحد المؤلفات الهندية الى اللغة العربية ، وقد ظل هذا المؤلف قاعدة علم الفلك عند العرب حتى عصر المأمون . بعد ذلك نبغ محمد بن موسى الخوارزمي ، وقد اصطنع هذا العالم زيجا (1) جمع فيه بين مذاهب الهند والفرس والروم ، وقد اخترع الخوارزمي في مؤلفه ابوابا حسنة ، فاستحسنه اهل عصره وطاروا به في الآفاق .

وقد اشتهر في علم الفلك ايضا بنو شاكر الثلاثة ، ومن اعمالهم المشهورة انهم قاسوا للمأمون درجة خط نصف النهار ، واستعملوا فيها محيط الارض . وقد الف بنو شاكر كتبا جليلة في الفلك وفيها حددوا درجة نصف النهار هذه . ونبغ في هذا العصر ابو معشر البلخي المتوفي عام272هـ ، وقد الف ابو معشر في علم الفلككثيرا ، واشتغل بالفلك كذلك كل من البوزجاني والبيروني . وفي القرن السابع الهجري نبغ في علم الفلك نصير الدين الطوسي .

وقد ادت مباحث العلماء العرب في علم الفلك الى نتائج هامة ، ومن اهم ما يشار اليه في هذا الصدد ما قالوه بابطال صناعة التنجيم المبنية على الوهم ، ولكنهم اول من فعل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا ابطالها ، بيد انهم مالوا بعلم الفلك نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كما فعلوا بعلم الكيمياء .

وقد ادى الفلكيون العرب خدمات جليلة للانسانية

---

1 - الزيج : كتاب فيه جداول حركات الكواكب يؤخذ منها التقويم .

بما توصلوا اليه من نتائج ثمرة تجاربهم وابحاثهم ، فان تقديرهم لانحراف سمت الشمس هو ما يعدل التقدير الذي انتهى اليه علماء الوقت الحاضر . وقد نشأ عن تحقيق العرب للاعتدال الشمسي تعيينهم مدة السنة بالضبط ، وقد اقدموا على قياس خط نصف النهار الذي لم يوفق اليه علماء أوروبا الا بعد مرور عشرة قرون

وغني عن البيان القول بأن المراصد التي انتشرت في حواضر العالم الاسلامي حتى القرن الثامن الهجري، كانت مراكز أبحاث هامة في علم الفلك ، وقد زودت هذه المراكز بالكثير من الاجهزة والآلات التي استخدمها فلكيو العرب في تجاربهم ودراساتهم . والى هذه المراصد يعود الفضل فيما استطاع العرب أن يتوصلوا اليه من الحقائق (2) .

ولقد انتقلت المعارف التي توصل اليها العلماء العرب في علم الفلك الى أوروبا ، واستنادا اليها نشأ علم الفلك الحديث .

---

(2) ـ كان العرب أول من قسموا الزمن : سنوات وفصولا وشهورا واياما ، كما قسموا الليل والنهار الى 24 ساعة . ثم عرفوا كيف يحسبون الساعات وتوقيتها ، سواء في شمس النهار أو في عتمة الليل ، ففي المساء كانوا يتطلعون اما الى التحرك البطيء لمظهر القمر هلالا أو بدرا ، أو الى حركة تبدو لبعض النجوم المتحركة في السماء . أما في داخل البيوت فانهم يتطلعون الى داخل الساعة المائية ، منحوتة من حجر على هيئة آنية الواسع المفوهة المقسم من الداخل الى مستويات مختلفة ، وعلى كل مستوى توقيته وساعته ، حيث تنفذ المياه وتتسرب من ثقوب معدودة محسوبة بمنتهى الدقة . وبالطبع كان هناك توقيت للصيف حيث يطول النهار ، وآخر عندما يطول الليل في الشتاء .

انظر : صحيفة الاهرام المصرية ، السنة 97 العدد 30820 الصادرة بتاريخ 1971/4/29م .

مدى تأثير موقعة وادي المخازن في نفوس البرتغاليين

للأستاذ محمد قشتيليو

رغم تقادم العصور ومرور اربعة قرون على مخذول ويتساوى فى هذا الشعور العالم والجاهل ، موقعة وادي المخازن فان الشعب البرتغالى ما زال فربما تجد من يجهل تاريخ بلاده وما يحوم حوله فيها ولكنه يعلم حق العلم ما حل بها فى معركة القصر الكبير كما يسمونها ، انه لمن المستغرب ان ترى شعبا كالشعب البرتغالى الذي كون امبراطورية شاسعة الاطراف فوق هذا الكوكب الارضى وخاض فيها حروبا بعد موقعة وادي المخازن ولكن لم تفت فى عضده ولم تنل من معنوياته ما نالت منه هذه الموقعة، فكلما ذكرت لهم اسم القصر الكبير الا ونظروا اليك نظرة المشدوه كأن المعركة قد انتهت بالامس ، فهذه الموقعة قد تسببت للبرتغال فى هزيمتين الاولى هزيمة الجيش والكيفية التى انتهت بها المعركة والعار الذي لحق الجيش البرتغالى ، والثانية ضياع الدولة باندماجها فى اسبانيا .

اما هزيمة الجيش فجل مؤرخيهم لم يذكروا شيئا عن هذه المعركة ولم يضفوا عليها اية صبغة من صفة الشجاعة او شيء من هذا القبيل بل الكل يشير اليها بامتعاض وانتقاد اللهم الا بعض البلهاء الذين ارادوا ان يضفوا على القضية نوعا من القداسة فاخترعوا كذبة قصد تضليل الشعب بها الذي كان يعتقد فى الخرافات ويتشبث بالاوهام فاشاعوا بين العامة بأن ضون سيبسطيان لم يمت وانه اختفى وسيأتى فيما بعد ليقيم العدل وينتزع الحق من المغتصبين فجعلوه كالمهدي المنتظر عند بعض المسلمين ، وهذا حسبما يبدو راجع الى الكنيسة التى باركت حملة ضون سيبسطيان هى التى اختلقت هذه الاسطورة لتبرير هزيمة الجيش الصليبى الذى باركته .

كيف خرجت الى الوجود كذبة عودة ضون سيبسطيان ؟ يقول اعبر ماركس فى كتابه « تاريخ البرتغال » الجزء الاول : ان المدرسة السيبسطانية برزت بعد الهزيمة بفكرة عودة ضون سيبسطيان لانتزاع ملكه من مغتصبيه ــ يقصد الاسبان ــ وانه لم يمت فى القصر الكبير ، ثم يقول المؤلف : قليل من الناس من شاهدوا الجثة الملكية وكان من المستحيل التعرف عليها بالتدقيق لفظاعة المشهد وكيفية الهزيمة التى لحقت بالجيش ، وفى هذه الاثناء راجت شائعة

بان ضون سيبسطيان حى ثم يقول الفيرماركيس : ان هذه الشائعة وجدت من يؤمن بها وخاصة فى الاوساط الشعبية وعند ضعفاء العقول ، ولكن لما تاخر ظهوره تعددت الروايات واصبح من يقول : ان الملك اسير بالمغرب ، ومنهم من يقول : انه اسير فى اسبانيا ، ومنهم من يقول ان الملك خجل من الهزيمة وهو مختبىء فى مكان مجهول ، ثم يضيف الفير : ان ضون سيبسطيان قد سبق له ان زار المغرب لاول مرة فى سنة 1574 واقام به ثلاثة اشهر ولم يتمكن من خوض اية معركة ثم عاد الى البرتغال ليهيىء للغزو محاولا الحصول على المساعدة من خاله ملك اسبانيا فيليب الثانى مدعيا بذلك انه يريد مساعدة ملك المغرب على اخيه الذي اراد ان ينترع منه الملك ، وبعد مجهود استطاع ان يهيىء جيشا لغزو المغرب فى صيف سنة 1578 ثم يذكر لنا ماركيس حالة هذا الجيش فيقول : لقد كان هذا الجيش ضعيفا وفى حالة مزرية وكان مكونا من مرتزقة المان واسبان وطليان، ثم يضيف ماركيس : « نزل هذا الجيش من البحر فى مدينة اصيلا وتابع سيره نحو الجنوب تحت القيادة الشخصية للملك ، وفى الحقيقة — يقول مؤلف الكتاب المذكور — لقد كان هذا الجيش بدون قيادة ، وكان قرب مدينة القصر الكبير يتكون من خمسة عشر الفا وخمسمائة راجل ، والف وخمسمائة من الفرسان بالاضافة الى بعض مئات من المشرفين على التموين والفيلم بالاستعدادات اللازمة ثم الخدم والنساء والرقيق الى غير ذلك ، ويقول ماركيس : « انها كانت اشنع معركة فى التاريخ البرتغالى وقد مات سبسطيان ومعه النخبة المختارة من الوسط الاستقراطى والجيش البرتغالى ، فنحو سبعة آلاف من بقية الجيش وقعت فى الاسر واقل من مائة شخص استطاعوا الهروب ، ويقول الفير : تقدر تكاليف هذه المغامرة للدولة بنحو مليون من الكروسضوس (عملة العصر) تقريبا نحو نصف ميزانية الدولة عن سنة واحدة » ، وبموت سيبسطيان فتح الباب على مصراعيه للوحدة الايبرية ، وقد ارادت عدة شخصيات ان تلعب دورا بقصد الصعود على عرش البرتغال فلم تفلح ، فكان العرش من نصيب فيليب الثانى ملك اسبانيا وقد دامت وحدة القطرين الايبريين نحو ستين سنة التى يعتبرها البرتغاليون استعمارا ، وينظرون الى ضون سيبسطيان المسؤول لوحده عن هذه المأساة . فقد نشرت فى هذا المضمار مجلة « الجيش » الشهرية التى تصدر بلشبونة مقالا فى عدد شهر يناير 1975 عن ضون سيبسطيان (وفى كل عدد تخصص المجلة بعض صفحاتها للكلام عن شخصية من الشخصيات البرتغالية والعدد المذكور كان عن ضون سيبسطيان) قالت المجلة : « ان هذا الملك المغرور بشبابه اراد ان يكون للبرتغال امبراطورية فضيع بذلك حياته واستقلال بلاده » .

وماذا نتج عن هذا فى البرتغال بعد النكبة ؟ لقد كان الشعب البرتغالى يؤمن بالخرافات ويعتقد فى كرامات القديسين دليل على ذلك ان ضون سيبسطيان لم يقدم على هذه المغامرة الا بعد اخذ راى البابا ودفع الشعب اليها بوازع دينى ، لذا فقد كان — والحالة هذه — ان يلجأ اتباع الملك بعد مصرعه الى ابتكار اسطورة الخلاص التى استولت على الباب مدعين انه اختفى الى حين ، وسيعود من بعد لاقامة مملكته من جديد ، يقول مانويل ماشا صوبريس فى كتابه « ضون سيبسطيان المختفى » : ان السيبسطيانية نشأت بعد الاشاعات القائلة ان الملك الهالك سيعود من جديد وانه مختفى — وهذه الاشاعات خلقت مدرسة كان لها اثرها البالغ فى الادب البرتغالى وغذته بروح جديدة فقد كتب الشىء الكثير من شعر وقصة ومسرحيات وحكايات ذات الصبغة الخيالية واضفت على الادب البرتغالى لونا جديدا وخاصة منه

ادب القصة فقد اصبح ضون سبيسطيان بطلا من ابطال القصة بدلا من ابطال المعارك الحربية ، بل اثر هذا ليس فقط — يقول مانويل ماشضو — في الثقافة البرتغالية فحسب بل في الثقافة الايبرية على العموم ، فقد خلق لشعراء الاسبان ايضا تصلد في المضرع امثال ثوريا وغيره ، كما شمل ايضا تأثير هذه المدرسة في لغة البرتغال ما وراء البحار فقد انجبت ايضا البرازيل شعراء وكتاب من هذا النوع الذي تراهم يتغنون في اشعارهم بهذه الموقعة ويذكرون فيها اسماء للمدن المغربية كالقصر الكبير واصيلا وغيرهما وهم بعيدون عن البرتغال الام ، ويقول اخيتو ذي اندرادي في كتابه « شعر وبعض نثر » للويس ذي كاموييس الذي يعد بحق عند البرتغاليين في درجة سرفانطيس عند الاسبان ، يروي اخيتو هذا بعض كلام للويس ذي كاموييس ... » وقته كانت فيه البرتغال كمنزل بدون نور ولا مواد للبناء كانت — أي البرتغال — تستعد لترك كل قيثارتها في ميدان القصر الكبير » ثم يقول المؤلف:

ان هذا الشاعر اعاد للبرتغال من جديد روحا ملؤها الحب والعطف كتلك الروح التي تتجلى في القديسين امثال سدن اغوسطين وغيره » .

يوميات الملك ضون سيبسطيان

ربما يوجد ما كتب عن ضون سيبسطيان في هذا الباب اكثر مما كتب عنه في الناحيه العسكرية او غيرها فقد كانت ايام ملكه قصيرة واهم مرجع عن حياته هو كتاب يتكون من جزاين اسمه « يوميات الملك ضون سيبسطيان » بقلم الاكاديمي خواكين بريسموسيرا قامت بطبعه اكاديمية التاريخ البرتغالية ويتضمن الكتاب كل المراسلات والاعمال التي كان يقوم بها يوميا سيبسطيان ، ومن خلال هذه المراسلات يمكن للقارىء ان يستنتج كل الخطوات وكل الاراء التي كان ينوي القيام بها ضون سيبسطيان لغزو المغرب.

ولا يمكن ذكر كل ما في هذا الكتاب سنكتفي بآخر رسالة كنموذج منه وجهها من مدينة اصيلا الى ملك اسبانيا قبل المرتفعه بيوم واحد يقول فيها : « غدا نخرج بدون شك وسنعسكر في مكانين ، فالمكان الرئيسي من هذين بدون ماء ، وسنصل الى قنطرة القصر الكبير فاذا تركنا الاعداء نستريح فاننا سننازلهم في معركة ، واذا يسر الله سيحرز الملك على انتصار عظيم » . وكانت هذه آخر وثيقة للملك ، واخبروا رسالة لضون خوان ذي سيلفا سفيره الى خاله ملك اسبانيا يقول فيها :

القصر الكبير : لقد عاقب الله هذا الملك الصغير المعجب بنفسه ، ثم يضيف : ليس عندي ما اقول ولو اردت ذلك فان فكري لا يطاوعني » .

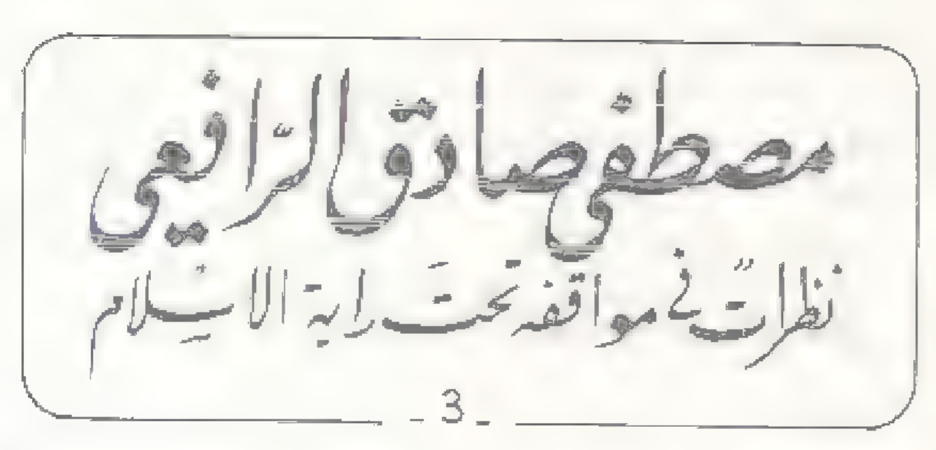
هذا الحدث التاريخي ترك اثره البالغ في نفس الشعب البرتغالي ، واتذكر يوما كنت بمعية محامي برتغالي في اشبونة عندما كنت اعمل بسفارتنا هناك فتجاذبنا الحديث — والحديث ذو شجون — فسألني عن مسقط راسي ، فقلت له من القصر الكبير فحملق في وجهي مشدوها وقال : من القصر الكبير ! قلت : نعم ، لماذا ؟ قال « ان لنا فيه ذكرى واية ذكرى لن ننساها ابدا رغم مرور القرون » .

ان تاريخ المغرب مع البرتغال غير محصور في زمن ضون سيبسطيان وفي موقعة وادي المخازن ، فعلاقة المغرب بالبرتغال كانت قبل ضون سبسطيان فقد طال استعمارهم لبعض اجزاء المغرب سنوات ؛ فمكتبات البرتغال غنية بالوثائق التي تتعلق بعلاقات المغرب مع البرتغال منها ما هو باللغة العربية ومنها ما هو باللغة البرتغالية تحتوي على تبادل المراسلات بين ملوك الدولتين او معاهدات او غيرها بل توجد حتى رسائل تبودلت بين قواد حامية البرتغاليين بالمراكز العسكرية ليم بالشاطىء المغربي وبين قواد وعمال لسلاطين المغرب بالمقاطعات التي تحد بالنقط المحتلة من المغرب كاصيلا والصويرة وسبتة والجديدة

وغيرها ، وكان من قواد وأعيان القبائل المغربيـــة جواسيس وعملاء للبرتغاليين يكاتبونهم ويطلعونهـم على عورات البلاد قبل موقعة وادي المخازن وكانوا يكاتبونهم باللغة العربية ويضعون في مطلع الرسالة شارة الصليب حسب الطريقة المتبعة عند البرتغاليين وتزخر على الخصوص مكتبة « ما وراء البحـار » « ومكتبة القصر الجمهوري » بلشبونة بوثائق هامة في الموضوع وهي مجبرة ورمزية ومكتوب عليهــا « ماروكوس » أي المغرب ، وقد قال لي مدير مكتبة ما وراء البحار : انها حقبة طويلة من تاريخنا المشترك فلم نعرها - ويا للاسف - حقها من الاهتمام ، ونحن مستعدون للتعاون في هذا المجال .

الرباط — محمد قشطيلو





للأستاذ عبد الرحمن الزبياني

القرآن الكريم : اعجازه واثره فى توحيد العرب ، وجعلهم خير امة اخرجت للناس :

لقد جاء الاسلام ، وبعث النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والامة العربية مفككة الاوصال ، مشتتة الكلمة ، مفصومة الاواصر ، موزعة الراي ، ضالة عن الطريق السوي ، تضرب الجهالة اطنابها بين ربوع جزيرتها ، ويخيم الجهل على كل افرادها ، وينتشر الظلم والفوضى فى كل انحائها ، وتهيمن القبلية والفردية على مجتمعها ، وتسيطر العصبية على رؤسائها واولى الراي فيها . . . فاذا بها بين عشية وضحاها تتحول ، تحولا جذريا ، فتنتقل من الفرقة الى الوحدة ، ومن الظلم الى العدل ، ومن القبلية والعصبية الى التآخى والمساواة ، ومن الضلال الى الهدى ، ومن الجهل الى المعرفة .. لتصبح تلك الامة الراقية المتمدنة التى تضرب الامثال بمتانة وحدتها، وعظمة خلقها ، ودقة نظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، مما سهل انتشار الاسلام ، وجعل تعاليمه تتغلغل فى ربوع المعمور ، فى فترة زمنية قصيرة ، كل ذلك بفضل تعاليم الاسلام التى خلقتهم خلقا جديدا ، وبفضل اثر القرآن الكريم الذي اعجز فصحاءهم وبلغاءهم — وهم اللسن الفصحاء — عن المعارضة ، واستولى على البابهم ، وملأ عليهم نفوسهم من جميع اقطارها بما طفحت به آيه وسوره من بيان مشرق ، واداء معجز ، الى ما ساوق ذلك من الدعوة الى التمسك بالفضائل والمكارم ، والتمسك بالمثل السامية ، والقيم العالية التى تخرج الانسانية من بهيميتها ، وتضعها فى الموضع الذى تسمو به على الحيوانات ، وترتفع به الى المكانة التى ارادها لها خالقها منزل القرآن « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ». — الاسراء — 70 —

وقد تناول استاذنا الرافعى فى كتابه القيم : « اعجاز القرآن .. » — وهو الجزء الثانى من تاريخ آداب العرب — الاعجاز القرآنى من كل نواحيه ، وافاض فى بيان ذلك بما يزيد فى يقين المومنين ، ويقوم دليلا على انه — بحق — الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونحن نجتزىء من كل ذلك بوقفات قصيرة مع بعض هذه المعانى التى تناولها واهتدى اليها بفضل مراسه بلغة القرآن

وتمرسه بأساليبه ، فمما جاء عن تأثير القرآن فى اللغة العربية قوله :

« نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا ، فكان اشبه شىء بالنور فى جملة نسقه ، اذ النور جملة واحدة ، وانما يتجزأ باعتبار لا يخرجه عن طبيعته ، وهو فى كل جزء من اجزائه ، وفى اجزائه جملة ، لا يعارض بشىء الا اذا خلقت سماء غير السماء ، وبدلت الارض غير الارض وانما كان ذلك لانه صفى اللغة من اكدارها ، واجراها فى ظاهره على بواطن اسرارها ، فجاء بها فى ماء الجمال املأ من السحاب ، وفى طراءة الخلق اجمل من الشباب ، ثم هو بما تناول بها من المعانى الدقيقة ابرزها فى جلال الاعجاز ، وصورها بالحقيقة وانطقها بالمجاز ، وما ركبها به من المطاوعة فى تقلب الاساليب ، وتحول التراكيب الى التراكيب ، قد اظهرها مظهرا لا يقضى العجب منه ، لانه جلاها على التاريخ كله ، لا على جيل العرب بخاصته ، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا اكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل ام صوت الخلود ، لانها هى لغتهم التى يعرفونها ، ولكن فى جزالة لم يمضغ لها شيح ولا قيصوم ، ورقة غير ما انتهى اليهم من امر الحاضر ، وهذا معنى ليس اظهر منه فى اعجاز القرآن

فإن اللغة لا تشب عن اطوار اهلها متى كانت من غرائزهم ، وانما تكون على مقدارهم ضعفا وقوة ، لانها صورتهم المتكلمة ، وهم صورتها المفكرة ، فهى الفاظ معانيهم ، وهم فى الحقيقة معانى الفاظها ، ولذلك لا تزيد عليهم ولا ينقصون عنها ، ما دام رسمهم لم يتغير ، وما دامت عاداتهم لم تنتقل ، فان سنح لامرىء من اهل النظر ان يستدل فى لغة من اللغات على آثار امتها بنوع من القيافة المعنوية ، كما يستدل صاحب القيافة النظرية من الاثر فى الطريق على مذهب صاحبه لا يخطئه ، وعلى بعض صفته لا يتعداها ، فذلك ممكن لا تهن فيه القوة ولا يبلغ به الاعياء ، متى هو تقدم فيه بالذهن الثاقب ، وتعاطاه بالقريحة النافذة ، لانه يستظهر من اللغة بالصفات على الموصوف ، ويجعل المعروف قياسا لغير المعروف »

اعجاز القرآن 60 .

ثم يزيد الرافعى هذا المعنى وضوحا ، حيث تناوله من زاوية اخرى فى كتابه تحت راية القرآن ، وذلك حيث يقول :

« ان هذه العربية لغة دين قائم على اصل خالد هو القرآن الكريم ، وقد اجمع الاولون والآخرون على اعجازه بفصاحته ، الا من لا حفل له من زنديق يتجاهل ، او جاهل يتزندق » . — المعركة تحت راية القرآن — 16 —

« .... وان فى العربية سرا خالدا هو هذا الكتاب المبين — القرآن — الذي يجب ان يؤدى على وجهه العربى الصريح .. » .

« .... والقرآن الكريم ليس كتابا يجمع بين دفتيه ما يجمعه كتاب او كتب ، اذ لو كان هذا اكبر امره لحالت عقده ، ولان كثفت وثيقه ، ولأتى عليه الزمان ، او بالحرى لنفس من امره شىء كثير من الامم ، ولاستبان فيه مساغ للتحريف والتبديل) .

(انما القرآن جنسية لغوية يجمع اطراف النسبة الى العربية ، فلا يزال اهله متميزين بهذه الجنسية حقيقة او حكما ، حتى يتأذن الله بانقراض الخلق فوق هذا البسيط ، ولولا هذه العربية التى حفظها القرآن على الناس وردهم اليها ، لما اطرد التاريخ الاسلامى ، ولا تراحمت به الايام الى ما شاء الله) — المعركة تحت راية القرآن 47 و 48 .

« وانك لتجد المسلمين يختلفون فى كل شىء حتى فى الدين نفسه ، ولا تجدهم الا شعورا واحدا بالروح الدينية العربية ، التى مساكها الكتاب والسنة فى عربيتهما الفصيحة » — المعركة .. 62 —

« .... ولذلك فانك لن تجد ذا نحلة خبيثة لهذا الدين الا وجدت له مثلها فى اللغة .. » — المعركة: 63

وعن اثر القرآن الكريم في توحيد كلمة العرب وتهذيب طباعهم يتحفنا الرافعي في «اعجاز القرآن» بهذه القبسات الملهمة :

« .... لولا القرآن واسراره البيانية ما اجتمع العرب على لغته ، ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقع ولم يكن منه بد ، حتى تنتقض الفطرة وتختبل الطباع ، ثم يكون مصير هذه اللغات الى الفناء لا محالة ، اذ لا يخلفهم عليها الا من هو اشد منهم اختلاطا واكثر فسادا ، وهكذا يتسلسل الامر حتى ينسيهم العربية فلا تبين ، وهي افصح اللغات ، الا بضرب من اشارة الاثار ، وتنزل منزلة هذا (الهيروغليف) الذي قبره المصريون في الاحجار واجنبته هذه الاحجار » . — اعجاز القرآن — 67 —

« ولقد كان من اعجاز القرآن ان يجمع هؤلاء الذين قطعوا الدهر بالتقاطع على صفة من الجنسية لا عصبية فيها الا عصبية الروح ، اذ اخذهم بالفطرة حتى الف بين قلوبهم، وساوى بين نفوسهم، واجراهم على المعدلة في امورهم ، فجعل منهم امة تسع الامم بوجهها كيف اقبلت ، لانها لا توجه الا لله ، فكان بينها وبين الله كل ما تحت السماء ، ومن هذا المعنى نشأت الجنسية العربية ، فان القرآن بدا — كما علمت — بالتأليف بين مذاهب الفطرة اللغوية في الالسنة ، ثم الف بين القلوب على مذهب واحد ، وفرغ من امر العرب فجعلهم سبيلا الى التأليف بين السنة الامم ومذاهب قلوبها ، على تلك الطريقة التي لا ياتي علم التربية في الامم بأبدع منها » .
اعجاز القرآن — 75 —

« فبقاء القرآن على وجهه العربي ، مما يجعل المسلمين جميعا على اختلاف الوانهم ، من الاسود ، الى الاحمر ، كانهم في الاعتبار الاجتماعي — وفي اعتبار أنفسهم — جسم واحد ينطق في لغة التاريخ بلسان واحد ، فمن ثم يكون كل مذهب من مذاهب الجنسية الوطنية التي نقدر بها مروض الاجتماع وتوافله ، انما هي في الحقيقة لون القلب لا سحنة الوجه » . — اعجاز القرآن — 76 —

« .... وان من اعجب ما يروعنا من أمر الجنسية العربية في القرآن ، انها تأبى الا ان تحتفظ على اهلها تلك الصفات العربية ، من الانفة والعزة والصوت [1] والغلب ، وما يكون من هذا الباب الاجتماعي الذي لا يزال يفتح للشعوب عن مقاصير الارض » — اعجاز القرآن — 77 —

● آداب القــرآن :

تحت هذا العنوان كتب الرافعي فصلا تحليليا رائعا ، نقتطف منه النتف التالية :

« .... آداب القرآن ترمي في جملتها الى تاسيس الخلق الانساني المحض الذي لا يضعف معه الضعيف دون ما يجب له ، ولا يقوى معه القوي فوق ما يجب له ، والذي يجعل الادب عقيدة لا فكرا ، اذ تبعث عليه البواعث من جانب الروح ، ويجعل وازع كل امر في داخله ، فيكون هو الحاكم والمحكوم ، ويرى عين الله لا تنفك ناظرة اليه من ضمير » — اعجاز القرآن — 85 — و 86 —

« .... ان الفلسفة كلها ، والتجارب جميعها، والعلوم قاطبة ، لم تنشيء جيلا من الناس ولا جماعة من الجيل ، ولا فئة من الجماعة كالذي اخرجته آداب القرآن واخلاقه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : في علو النفس ، وصفاء الطبع ، ورقة الجانب ، وبسط الجناح ورجاحة اليقين ، وتمكن الايمان ، الى سلامة القلب ، وانفساح الصدر،

---

[1] يراد بلفظ « الصوت » الامر والنهي على المجاز ، لان ذلك لا يكون الا به . (من تعليق للرافعي) .

ونقاء الدخلة ، وانطواء الضمير على اطهر ما عسى ان يكون فى الانسان من طهارة الخلق ، ثم العفة فى مذاهب الفضيلة ، من حسن العصمة ، وشدة الامانة ، واقامة العدل ، والذلة للحق .. الخ » — اعجاز القرآن — 87 —

« .... استطاع القرآن أن يؤلف من العرب ، نشزا لا نظام لهم — اكبر جماعة نفسيا عرفها تاريخ الارض ، وكان عملها فى الارض وفى تاريخها على حساب ذلك فى روعته وغرابته وقوته وفائدته ، اذ وجدت من آداب القرآن قلبا اجتماعيا عاما استولى على ما فيها من التصور والفكر والادراك والاعتقاد ،واحالها كلهافكرا واحدا يستمد قوته من الخلق الذي قام بــه، لامن العقل الذي ينشأ عنه، وليس يخفى ان العقل هو مظهر تاريخ الامة ، ولكن الخلق دائما لا يكون الا مصدر هذا التاريخ ، فلا جرم لم يثبت تاريخ امة من الامم اذا لم يكن قائما على هذا الاصل المستحكم ، وكانت الامة غير ذات اخلاق » — اعجاز القرآن — 90 — .

« ولا يشتد القرآن الكريم فى شيء فيجيء به على العزيمة القاطعة التى لا مساغ للعذر فيها ، ولا وجه للتعلل عندها ، كما تعرف ذلك منه فى الاخذ بالاخلاق الاجتماعية ، فانه لم يجعل فى امرها على الناس هويداء ولا رويداء ، بل امضاها واملسها ، ورفع من شأنها ، وجعلها من عزائمه ، حتى لا يشك فيها من عسى ان يشك فى غيرها ، ولا يرتاب فيها من ربما كانت الريب من امره ، حتى انه لما وصف صلى الله عليه وسلم بأبلغ الصفات واشرفها واسناها ، لم يزد على قوله : « وانك لعلى خلق عظيم » — اعجاز القرآن — 90 — 91 —

« فكان الاصل فيه لهذه الاخلاق هو التقوى ، وهى فضيلة اراد بها القرآن احكام ما بين الانسان والخلق ، واحكام ما بين الانسان وخالقه ، ولذلك تدور هذه الكلمة ومشتقاتها فى اكثر آياته الاخلاقية والاجتماعية ، والمراد بها ان يتقى الانسان كل ما فيه ضرر لنفسه أو ضرار لغيره ، لتكون حدود المساواة قائمة فى الاجتماع ، لا تصاب فيها ثلمة ، ولا يعتريها وهن ، وكل ما اصاب الاجتماع من ذلك فانما يصيب الدين بديئا ، لان هذه التقوى هى مصدر النية فى المومنين بالله .... »

— اعجاز القرآن — 91 —

« ولا يمكن ان تقصر التقوى على التحديد والتعيين ، فى كلمة تستوعب كل معانيها وما يتصل بها ، الا كلمة واحدة هى : « الخلق الثابت » . ومهما ادرتها على غير هذه الكلمة من اسماء الفضائل كلها، فانك لا تجد اسما واحدا يبسها ، لا فاضلة عنه ولا مقصرا عنها » .

اعجاز القرآن — 92 و 93 —

« لا جرم ان هذا الاصل الاجتماعى الذي انشعب من المساواة كما رايت فى نظم الآية (1) هو الاصل الذي انشعبت منه كل فضائل المساواة والحرية ، وانه لذلك مقدم على الايمان ، اذ لا ايمان لمن لا تقوى له ، وانه يقضى بكل انواع الحرية التى تفيد الاجتماع ، وكلها مقرر باصوله فى القرآن الكريم، غير ان الذي ننبه عليه من فضيلة التقوى او الخلق الثابت فى القرآن ، انه جعل ابعد الاشياء عن موافقة الطباع الموروثة ، وما لابد للنفس الانسانية فى التخلق به من الكد والمعالجة ومن شدة الاعتصام فى مدافعة اخلاقها وعاداتها الحيوانية التى هى اصل الفطرة

---

1) يشير الرافعى الى الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات ، وهى قول الله تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وغريزة الجبلة — أن جعل هذا كله في وصف الفضيلة وجماع الامر لا يزيد عن كونه (اقرب للتقوى) وذلك في قوله تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى » . والشنآن العداوة والبغضاء وما في حكمهما ، وهذا على انهما من (قوم) لا من فرد ، كما ترى في الآية الكريمة ، فينطوي في هذه الاضافة الحرب والاستعمار وغيرهما نتأمله » .

اعجاز القرآن — 93 —

ولذلك فقد «اعتبر القرآن خير الامم على الاطلاق انما هي الامة التي تتبسط في مناحي الاجتماع على هذا (الخلق الثابت) ، فان مرجع التقوى في مظاهرها الاجتماعية الى شيئين : الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وهما المبدأ والغاية لكل قوانين الآداب والاجتماع ، ثم مرجعها في حقيقة نفسها الى شيء واحد ، وهو الايمان بالله ، فالامة التي تكون لافرادها فضيلة التقوى ، تكون لها من هذه الفضيلة صفات اجتماعية مختلفة يؤدي مجموعها الى صفة تاريخية واحدة ، وهي انها خير امة ، على هذا جاء قوله تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . فتأمل كيف قدم وأخر ، فانك لا تجد هذا النسق الا ترتيبا لمنازل الفضيلة الاجتماعية الكبرى ، التي تجعل الامة في نفسها خير امة ، وبالحري لا تجد هذا الترتيب الا نسقا في وصف الآداب الاسلامية التي جعلت اهلها الاولين حين اتبعوها واخذوا بها ، خير امة في التاريخ ، بشهادة التاريخ نفسه .

« وانما اركان الفضيلة الاجتماعية الكبرى في ثلاث ، كلها حرية واستقلال :

1) استقلال الارادة وقوتها ، وهذا هو الذي يكون منه « الامر بالمعروف » أ لا يكون بدونه البتة ؟
2) استقلال الراي وحريته ، ويكون منه « النهي عن المنكر » ، ولا يمكن أن يكون بغيره .
3) استقلال النفس من أسر العادات والاوهام ، بالنظر والفكر في مصنوعات الله ، ولا يكون الايمان ايمانا على الحقيقة بدونه ، ثم هذا الايمان هو الذي يسند الركنين المذكورين آنفا، ويشدهما ويقيم وزنهما الاجتماعي ، فتبعث على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بقية الهيبة لا يعترضها شيء من عوارض الاجتماع التي تعتري الناس من ضعف الطباع الانسانية : كالجبن ، والنفاق ، والخلابة والموازنة ، وايثار المحاسنة ، ونحوها مما ينقم الناس بعضهم من بعض ، واذا اعترضها شيء من ذلك لا يقوم لها ، ولا يصدها عما هي بسبيله ، فان هذه الصفات كلها ليست من الايمان بالله ، ولا تتفق مع صحة الايمان ، بل هي انواع من العبادة للقوي والعزيز والمستبد ، وللشهوات والنزعات وما الى ذلك ومتى كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر غير راجعين الى الايمان بالله ، دخلا في الاهواء الانسانية فتجيء بهما علة وتذهب علة، فيعود امر الانسانية الى التآكل والمهارشة والنزاع الحيواني ، فان الحيوان في كل ما يسطو به انما يأمر بمعروف هو معروفه وحده ، وينهى عن منكر هو منكره وحده .. !

فانظر ، هل جاءت علوم الفلسفة والاجتماع بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن بما ينقض هذه الحقيقة ؟ (1) وهل قررت الا تفسيرها بوجوه ضعيفة مضطربة لا تبلغ في الكمال مبلغها ، ولا تقارب هذا المبلغ ؟ » .

اعجاز القرآن — 93 — 95 —

---

1) لا ننسى أن الرافعي كتب هذا في العقد الثاني من قرننا العشرين .

واذا كانت اللغة احدى المقومات الاساسية لكيان الامة ، فان التفريط فيها والتهاون بشانها يتنافى والوطنية الصادقة ، فاذا اضيف الى ذلك التعلق بلغة الاجنبى ، والعمل على نشرها واذاعتها على حساب اللغة القومية ، كانت الخيانة أعظم ، والرزية أفدح ، فان اللغة هى الوشيجة الرابطة بين افراد الامة ، والآصرة الجامعة بين ابنائها ، بالمحافظة عليها يعزون ، وبالتفريط فيها يذلون وينحطون وتذهب ريحهم ، واذا كان الرافعى قد لاحظ منذ اكثر من نصف قرن من الزمان هذه الظاهرة المرذولة ، ووقف يكبح تيارها في غير استكانة ولا هوادة .. فانه — للاسف — ما يزال بين قومنا ، لحد الساعة ، من يستهينون بهذه الرابطه ويعتبرون التمسك بها ضربا من العصبية الخرقاء ، وشكلا من اشكال العنصرية الهوجاء .. ! التى لا تدل — فى نظرهم — على شيء اكثر من دلالتها على « الرجعية » فى الفكر ، « والتشبث » باذيال الماضى ، و « الجمود » على القديم الذي بلى ورمت عظامه ، و « العداء » المتحكم لكل « جديد » .

على انه اذا صح هذا بالنسبة للغة من اللغات، فانه لا يصح البتة بالنسبة للغه العربية لارتباطها بالقرآن الكريم ، الذي هو الدستور الالهى الخالد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . « وما فرط المسلمون فى آداب هذا القرآن الكريم الا منذ فرطوا فى لغته ، فاصبحوا لا يفقهون كلمه ، ولا يدركون حكمه ، ولا ينتزعون اخلاقه وشيمه ، وصاروا الى ما هم عليه من عربية كانت شرا من العجمة الخالصة واللكنة الممزوجة ، فلا يقرؤون هذا الكتاب الا احرفا ولا ينطقون الا اصواتا ، وبراعم يرعونه آذانهم ، وهم — بعد — لا يتناولون معانى كلام الله الا من كلام الناس . وفى هؤلاء الجاهل والفاسق والوضاع والقصاص وذو الغفلة ، والمتهم فى فهمه ودينه .. »

اعجاز القرآن — 96 —

وقد عرف الرافعى بهيامه باللغة العربية والذود عن حرمتها وحماها ، حتى كان يخيل اليه — كما سبق — انه رسول لغوي ، بعث للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه ، ولذلك فقد طفحت مقالاته وابحاثه بالدعوة الى المحافظة على لغة القرآن الكريم ، واحلالها المحل اللائق بها ، كما عرف بالوقوف فى وجه المناوئين لها يندد بشعوبيتهم ، ويعرض بتبعيتهم لاستاذتهم الغربيين ، الذين لم يكن وكدهم واكبر همهم الا صرف الشباب المثقف الواعى عن لغة القرآن ، وسلخه بذلك عن قوميته ووطنيته ، واجتزيء هنا بانتقاء نتف من الاراء الحكيمة التى تضمنها مقاله ، او فصله ، القيم عن : اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال .

فعن ارتباط اللغة بوجود الامة نقرا له قوله :

« اما اللغة فهى صورة وجود الامة بافكارها ومعانيها وحقائق نفوسها ، وجودا متميزا قائما بخصائصه ، فهى قومية الفكر ، تتحد بها الامة فى صور التفكير واساليب اخذ المعنى من المادة ، والدقة فى تركيب اللغة دليل على دقة الملكات فى أهلها ، وعمقها هو عمق الروح ودليل الحس على ميل الامة الى التفكير والبحث فى الاسباب والعلل ، وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطماحها ، فان روح الاستعباد ضيق لا يتسع ، ودابه لزوم الكلمة والكلمات القليلة .

واذا كانت اللغة بهذه المنزلة ، وكانت امها حريصة عليها ، ناهضة بها ، متسعة فيها ، مكبرة شانها ، فما يأتى ذلك الا من روح التسلط فى شعبها، والمطابقة بين طبيعته وعمل طبيعته ، وكونه سيد امره ، ومحقق وجوده ، ومستعمل قوته ، والآخذ بحقه ، فاما اذا كان منه التراخى والاهمال وترك اللغة الطبيعية للسوقية ، واصغار امرها وتهوين خطرها ، وايثار غيرها بالحب والاكبار ، فهذا شعب خادم لا مخدوم ، تابع لا متبوع ، ضعيف عن تكاليف

السيادة ، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه ، مجترىء ببعض حقه ، مكيف بضرورات العيش ، يوضع لحكمه القانون الذي أكثره للحرمان واقله للفائدة التى هى كالحرمان » .

وحى القلم الجزء الثالث — 36

وعن ارتباط ضياع اللغة والتفريط فيها بضياع شخصية الامة المؤدي الى استعمارها نقرأ له :

« لا جرم اذا كانت لغة الامة هى الهدف الاول للمستعمرين ، فلن يتحول الشعب — اول ما يتحول — الا من لغته . اذ يكون منشأ التحول من افكاره وعواطفه وآماله ، وهو اذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه ، ورجعت قوميته صورة محفوظة فى التاريخ ، لا صورة محققة فى وجوده ، فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر ، حتى ان ابناء الاب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشىء على لغة ، ونشأ الثانى على اخرى ، والثالث على لغة ثالثة ، لكانوا فى العاطفة كابناء ثلاثة آباء .

وما ذلت لغة شعب الا ذل ، ولا انحطت الا كان امره فى ذهاب وادبار ، ومن هذا يفرض الاجنبى لغته فرضا على الامة المستعمرة ويركبهم بها ، ويشعرهم عظمته فيها ، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم احكاما ثلاثة فى عمل واحد : اما الاول فحبس لغتهم فى لغته سجنا مؤبدا ، واما الثانى فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ولسانا ، واما الثالث فتقييد مستقبلهم فى الاغلال التى يصنعها ، فامرهم — من بعدها — لامره تبع .

والذين يتعلقون باللغات الاجنبية ينزعون الى اهلها بطبيعة هذا التعلق ، ان لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية متحكمة ، من قبل الدين أو القومية ، فتراهم اذا وهنت فيهم هذه العصبية يخجلون من قوميتهم ، ويتبرأون من سلفهم ، وينسلخون من تاريخهم ، وتقوم بألسنتهم الكراهية للغتهم وآداب لغتهم ، ولقومهم واشياء قومهم ، فلا يستطيع وطنهم ان يوحى اليهم اسرار روحه ، اذ لا يوافق منهم استجابة فى الطبيعة ، وينقادون بالحب لغيره ، فيتجاوزونه وهم فيه ، ويرثون دماءهم من اهلهم، ثم تكون العاطفة فى هذه الدماء للاجنبى، ومن ثم تصبح عندهم قيمة الاشياء بمصدرها، لا بنفسها، وبالخيال المتوهم فيها ، لا بالحقيقة التى تحملها ، فيكون شىء الاجنبى فى مذهبهم اجمل واثمن ، لان اليه الميل ، وفيه الاكبار والاعظام -- وقد يكون الوطنى مثله او اجمل منه ، بيد انه فقد الميل ، فضعفت صلته بالنفس ، فماتت كل ميزاته فضعفت لا تميزه .

واعجب من هذا فى امرهم ، ان اشياء الاجنبى لا تحمل معانيها الساحرة فى نفوسهم الا اذا بقيت حاملةاسماءها الاجنبية ، فان سمى الاجنبى بلغتهم القومية نقص معناه عندهم وتصاغر وظهرت فيه ذلة -- وما ذاك الا صغر نفوسهم وذلتها ، اذ لا يميلون لقوميتهم ، فلا يلهمهم الحرف من لغتهم ما يلهمهم الحرف الاجنبى .

والشرق مبلى بهذه العلة ، ومنها جاءت مشكلة او اكثرها ، وليس فى العالم امه عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على نفسها ، وبهذا لا يعرفون للاشياء الاجنبية موضعا الا من وراء حدود الاشياء الوطنية ، ولو اخذنا — نحن الشرقيين — بهذا لكان هذا وحده علاجا حاسما لاكثر مشاكلنا .

فاللغات تتنازع القومية ، ولهى — والله — احتلال عقلى فى الشعوب التى ضعفت عصبيتها ، واذا هانت اللغة القومية على اهلها ، اثرت اللغة الاجنبية فى الخلق القومى ما يؤثر الجو الاجنبى فى الجسم الذي انتقل اليه واقام فيه ، اما اذا قويت العصبية . وعزت اللغة ، وثارت لها الحمية ، فلن تكون اللغة الاجنبية الا خادمة يرتفق بها ، ويرجع شبر الاجنبى شبرا لا مترا .. وتكون تلك العصبية للغة القومية مادة وعونا لكل ما هو قومى ، فيصبح كل شىء اجنبى قد خضع لقوة قاهرة غالبة ، هى قوة الايمان بالمجد

هل نحن وحدنا ؟

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

يطرح علماء الفضاء هذا السؤال اليوم اكثر من اي وقت مضى ، وبالحاح شديد ٠

فقد كرس العالم الفلكي المعاصر (كارل ساغان) (1) عدة فصول من كتابه (الصلة الكونية) لهذا الموضوع ٠٠ ورغم انه استبعد ان يتم الاتصال باية حضارة خارج مجموعتنا الشمسية بوسائلنا الحالية ، نظرا لان المسافات تبعد بمئات السنين الضوئية ، فانه لم يستبعد وجود هذه الحضارات ، او على الاقل (الحياة الذكية) على ظهر كوكب توفرت له الشروط المناسبة ، مثل البعد الملائم من شمس تعطيه الدفء والحياة ، أو شروط التطور التي اجتازها الانسان قبل ان يصل الى شكله الحالي ٠ وان كان (ساغان) يغالي في عشوائية الظروف التي صنعت الانسان ، واستحالة تكررها على كوكب آخر بنفس السياق ، حسب وجهة نظرة ٠

ويسير في نفس الاتجاه العالم الفلكي الامريكي ، والكاتب الروائي ، وقاص الخيال العلمي ، (اسحاق اسيموف) ، في كتابه الحديث الصدور (الحضارات السماوية) ٠ ويفتتح الكتاب بنفس التساؤل : « هل نحن وحدنا ؟ وهل الانسان وحده الذي يملك عيونا تشخص الى السماء متسائلة : « هل هناك حياة ذكية على كوكب او نجم آخر ؟ »

وعلى هذا السؤال يجيب (اسموف) بنعم ويقضي بقية الكتاب في طرح الافتراضات العلمية التي حدت به الى ذلك الاعتقاد ٠

أما المحاضر الدولي الالماني (اريك فون دينيكين) فانه يتوصل الى ضرورة وجود حضارات اخرى بطريقة احصائية مدهشة وان كانت لا تقنع الكثير من المختصين في هذا الميدان ٠ ولا سيما (ساغان) الذي يكاد يعده

---

1) كارل ساغان : من اشهر علماء الفضاء الاحياء الذين اشتغلوا ببرنامج الفضاء الاميريكي في (ناسا) ، وهو مصمم الصورة المشهورة التي تعطي فكرة عن الحياة على الارض ، وترسم خريطة كونية لموقعها ٠

من مشعوذي علم الفضاء . وقد أثار كتابه (عربات للآلهة) Chariot of the Gods نقاشا حادا في الاوساط الفلكية بالولايات المتحدة و الغرب عموما .. وتنافست على استدعائه شبكات التلفزيون الكبرى لما كان يجتذبه من جماهير .

ولم يكتف (فون دينيكن) بنظرية الاحتمالات في تدليله على وجود حياة ذكية بل واعلى ذكاء ، واسبق الى الحضارة من حياتنا ، بل راح ياتي بالحجة تلو الحجة على قيام بعض هذه الحضارات بزيارات متعددة للارض ، بعضها في غابر الازمان ، والبعض في عصور أقرب الى بداية الوعي البشري بوجوده وتاريخه .

ويضرب الامثال على ذلك بكثير من الصور الاثرية التي عثر عليها الباحثون في كهوف ما قبل التاريخ ، منها ما يشبه رجل الفضاء بخوذته وخراطيمه وحلته المنتفخة .. كما يستدل ببعض آيات الانجيل ، وكتب الديانات الشرقية التي وصفت عربات سماوية تنفث النار نزلت وخرج منها آلهة يلبسون ملابس غريبة فعلموا الناس كثيرا مما ينفعهم في الارض من زراعة ، وري ، وبناء ، وفلك وغيرها .. وذلك ما اجج خيال الجماهير ، وهيج رغبتهم في الاستزادة من شطحات (دينيكن) الذكية ، ومغامراته الفلسفية .

ويلمس وترا حساسا حين يتساءل : « ماذا كان اسلافنا في القرون الوسطى سيسمون رجل فضاء اليوم ، اذا نزل في حقل بالبادية الاوروبية قبل ثلاثة او أربعة قرون من مركبته الفضية الهابطة من السماء .. ؟ » وقد انتحل الكاتب المصري « أنيس منصور » اغلب اغلب افكار (دينيكن) ، ونسبها لنفسه في كتابه (الهابطون من السماء) . واذا كانت السرقة الادبية نقمة ، فلا بد أن في طيها نعمة كما يقول المثل . ذلك أن كتاب (دينيكن) لم يترجم بعد الى العربية ، وقد أتاح (انيس منصور) للقارئ العربي الاطلاع على أفكاره من هذا الباب المسروق .

وقد خرجت من قراءتي هذه بكثير من التساؤلات وجدت نفسي أصوغها في هذه الابيات التي اقدمها للقارئ اليوم ، لعلها تغريه بلحظة تأمل .

قلبت في القمر
عيني سائلا :
يعيش مثلنا
هل نحن وحدنا
أم فيه غيرنا
وهل درى بنا
ما شكل جسمه ؟
هل متقدم ؟
وعاقل ، ترى ؟
هل يعشق الوغى
هل سيحبنا
أم سيعدنا

و الانجم الاخر
هل فوقها بشر ؟
في البدو والحضر ؟
في الكون ياترى ؟
يرى ولا يرى ؟
ام بعد ما درى ؟
وهل بفكر ؟
أم متأخر ؟
أم متهور ؟
أم ينشد السلام ؟
ويبتغي المقام ؟
كسائر الهوام ؟

أحمد عبد السلام البقالي

أوليات ـ 7 ـ

للأستاذ محمد العرايشي

اوائل عثمان :

عثمان بن عفان بن ابي العاصي الاموي القرشي الخليفة الثالث (1) يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، وجدته من جهة امه ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله (صلعم) • كنيته ابو عبد الله ولقبه ذو النورين وكانت له حظوة عند رسول الله (صلعم) فقد زوجه كريمته : رقية (2) وأم كلثوم (3) عقب وفاة رقية ، وكان ذلك بوحي من الله • اخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

قال لي رسول الله (صلعم) : ان الله اوحى لي ان ازوج كريمتي عثمان بن عفان •

وعن امعياش قالت : سمعت رسول الله (صلعم) يقول : ما زوجت عثمان ام كلثوم الا بوحي من السماء • ولذلك لقب بذي النورين ، لانه لم يثبت أن احدا تزوج بنتي نبي غيره • ونزل في شأنه مع جماعة من الصحابة في رواية للزمخشري قوله تعالى : (من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا) للآية : 23 من الاحزاب • كما بشره (صلعم) بالجنة على بلوى تصيبه فقد روى البخاري في صحيحه (4) عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي (صلعم) دخل حائطا وامرني بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستاذن ، فقال : ايذن له وبشره بالجنة ، فاذا ابو بكر ، ثم جاء آخر يستاذن ، فقال : أيذن له وبشره بالجنة ، فاذا عمر ، ثم جاء آخر يستاذن ، فسكت هنيهة ثم قال : ايذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه ، فاذا عثمان ابن عفان •

هو اول اموي دخل الاسلام

قال ابن اسحاق : هو اول الناس اسلاما بعد ابي بكر وعلي وزيد بن حارثة ، وكان اسلامه بعد البعثه بقليل •

---

(1) ولد بمكة في السنة الخامسة من ميلاده (صلعم) وبويع الخلافة بداره بالمدينة بعد وفاة عمر لليلة بقيت من ذي الحجة سنة 23 هـ/644 م ومات شهيدا في شهر ذي الحجة سنة 35 هـ/656 م وله من العمر 82 سنة ووصلى عليه جبير بن مطعم ودفن بالبقيع • وكانت مدة خلافته اثنتي عشره سنه الا اثني عشر يوما (2) تزوجها قبل النبوة وتوفيت عنده في ليالي غزوة بدر (3) توفيت عنده سنة تسع هـ (4) في باب مناقب عثمان (5) يرجع الى تاريخ الحبشة الى ما قبل ميلاد المسيح بالف سنة ، حكمها حكام انحدروا من ذرية سيدنا سليمان وملكة سبا واستمر ملكهم الى عصرنا الحديث ، وعاصمتها اديس ابابا (دعوة الحق عدد دجنبر 1963) ذكرت فيه معلومات مهمة عن الحبشة بقلم الاستاذ عبد اللطيف الخير •

واول من هاجر في الاسـلام

بعد ان اعلن رضي الله عنه اسلامه صارت قريش تضطهده وتنال منه فهاجر مع زوجته رقية كريمة رسول الله (صلعم) الى الحبشة (5) فارا بدينه ، وهاجر معه احد عشر رجلا من المسلميـن .

منهم ابو حذيفة بن عتبة (6) والزبير بن العوام (7) ومصعب بن عمير (8) ثم لحق بهم جعفـر ابن ابي طالـب (9) وآخرون . وكانت هجرتهم الى الحبشة سنة خمس من النبوة . والحبشة يومئذ هي المركز التجاري لقريش ، ففيها يجدون ارباحهم وسعة رزقهم .

واول مهاجـر باهلـه

اخرج ابو يعلى عن انس قال : اول من هاجر من المسلمين الى الحبشة باهله عثمان بن عفان فقال النبي (صلعم) (صحبهما الله . ان عثمـان لاول من هاجـر الى الله باهله بعد لـوط) اشارة الى قوله تعالى : (فآمن له لوط ، وقال اني مهاجر الى ربي) الآية : 6 من سورة العنكبوت. ذكره السيوطي (10) في تاريـخ الخلفـاء

واول من جمـع المسلمين على مصحف واحـد

سبق الاشارة اول حلقة من هذه السلسلة ، ان عثمان هو اول من جمع المسلمين على مصحف واحد مع بيان السبب الداعي لذلـك .

واول من رتـب القـراءة

كان عثمان هو اول من رتب قراءة القرآن على لغة خاصة قرشيـة ، وكان قصده بذلك هو جمع الناس على ما تواتر من القراآت دون ما نسخ أو شد منها . وقد قال لجماعة من القرشيين : اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهـم .

واول سفيـر في الاسـلام

اثناء تاهبه (صلعم) لدخول مكة عام الحديبيـة لاداء العمـرة (11) دعا عمر بن الخطاب ، وطلب منه أن يتوجه الى مكة فيبلغ اشراف قريش ما جاء به ، فقال عمـر (يا رسول الله ، اني اخاف قريشا على نفسي ، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي اليها وغلظتـي عليها ولكن ادلـك على رجـل اعز بها مني : عثمان بن عفان)

فدعاه (صلعم) وبعثه الى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا للبيت ومعظما لحـرمته .

لكن قريشا تجاهلت مطلب الرسول وقالت لعثمـان : ان شئت أن تطوف بالبيت فطف . ولما اجابها عثمان بقوله : (ما كنت لافعل هذا حتى يطوف رسول الله (صلعم) احتبسته بمكة ثلاثة ايام لتتشاور في شانه ، وشاع في معسكر المسلمين ، ان قريشا غدرت بالسفير فقال (صلعم) : (لا نبرح حتى نناجز القوم) فتمت بيعة الرضوان او بيعة الشجرة من اجل عثمان ، وقال (صلعم) وقد وضع يده اليمنى على يده اليسرى (هذه بيعة عثمان ، اللهم هذه عن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك) ونـزل في ذلك قولـه تعالـى : (لقد رضـي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا) الآية : 18 من سورة الفتح .

لما علم النبي (صلعم) ان الذي بلغه من الغدر بعثمان كذبا اجاب المشركين الى ما طلبوه من الصلح على ان يحج النبي (صلعم) في العام القابـل ويـدخل مكة . ولقد كان عثمان في سفارته هذه رسول سلام ، ومبعوث رحمة بين طرفين كادا يقتتلان .

---

(6) من السابقيـن الاوليـن الى الاسـلام . هاجر الى الحبشة مع زوجته سهلة ، واستشهد يوم اليمامة وهو ابن 56 سنة (7) ابو عبد الله القرشي وامه صفيـة بنت عبد المطلب ، فهو ابن عمته (صلعم) وحواريه . استشهد يوم الجمـل سنه 36 هـ (8) ابو عبد الله العبـدري القرشي . كان في الجاهلية فتى مكة شبابا وجمالا ونعمة ، وكان شجاعا مقداما هاجر الى الحبشة والى المدينة ، فكان اول من جمع الجمعة فيها . استشهد في السنة الثالثة بيوم احد . (9) ابو عبد الله شقيق علي بن ابي طالـب وابن عمه (صلعم) كناه ابـا المساكـين وقال في شانه كما في صحيح البخاري (كان جعفر خير الناس للمساكين) وكان في حرب الرسول سيفا من سيوف الاسلام ، استشهد في سرية موته سنة : 8 هـ (10) جلال الدين عبد الرحمـان بن ابي بكر المتـوفي سنة 911/1505 (11) الحديبية قرية قريبة من مكة ، سميت باسم بيرهناك وتاهبه (صلعم) لدخول مكة كان سنة ست هجريـة .

واول من اقترح ان يكون مبدا التاريخ محرم

بعد أن اتفق الصحابة باشارة عمر رضي الله عنهم ان يكون مبدأ التاريخ هو العام الهجري كانت الهجرة النبوية في شهر ربيع الاول ، اختلفوا في الشهر الذي يجعل مبدا لسنة التاريخ ، فقال قوم نؤرخ بالشهر الذي خرج فيه (صلعم) من مكة وهو ربيع الاول ، وقال آخرون : نجعله رجب ، لان أهل الجاهلية يعظمونه ، ولانه شهر الله الحرام ، وارتأى فريق أن يكون مبدأ التاريخ شهر رمضان تيمنا به لانه الشهر الذي أنزل فيه القرآن واقترح فريق آخر ان يكون شهر ذي الحجة ، لان الناس يحجون فيه . لكن عثمان رضي الله عنه ابدى رايا لم يسبق اليه ، فقال : ارخوا من المحرم اول السنة ، وهو شهر حرام وأول الشهور في العدة ، وهو منصرف الناس من الحج ، فوقع الاتفاق على رايه ، وحسمت مادة خلاف فكان عثمان بسبب ذلك هو اول من اقترح ان يكون مبدأ التاريخ الهجري هو فاتح محرم أول شهور السنة القمرية .

واول من اشار بعملية الاحصاء في السجلات

عندما اتسعت الفتوحات الاسلامية ، اشار عثمان على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما باحصاء الناس في سجلات ودواوين يرجع اليها في ارزاقهم واعطياتهم .

طريقة مبايعته أول مظاهر الشورى المنظمة في الاسلام

بعد الفراغ من دفن عمر بن الخطاب اجتمع اهل الشورى الذين قال فيهم عمر بن الخطاب قبل وفاته : ما اجد أحق بهذا الامر من هؤلاء الرهط الذين توفي رسول الله (صلعم) وهو عنهم راض ، وسمى علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمان بن عوف وقال : (يشهدكم عبد الرحمان بن عمر كهيئة التعزية له ، وليس له من الامر شي ء)

وقد جمعهم المقداد بن الاسود (12) في بيت المسور بن مخرمة (13) للتشاور فيمن يتولى الخلافة وقبل اجتمعوا في بيت ام المؤمنين عائشة . ولم يحضر هذا الاجتماع طلحة ، لانه كان غائبا .

وفي هذا الاجتماع تم اتفاقهم على مبايعة عثمان .

وبذلك يعتبر اجتماع اهل الشورى الذين كانوا بمثابة المجلس الاعلى للدولة أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في الاسلام .

اول من بايعه

اول من بايعه من أهل الشورى الذين اجتمعوا للتشاور في تعيين الخليفة ، هو علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، ولما بايعه خرج وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله .

وقد ذكر الامام البخاري في صحيحه قصة بيعة عثمان بالخلافة على يد مجلس الشورى الذي الفه عمر في حياته حيث قال : (باب قصة البيعة والاتفاق عثمان بن عفان رضي الله عنه) ثم ذكر حديثا طويلا في الموضوع .

وقد ولي الخلافة في حياة امه اروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف اسلمت قديما وهاجرت الهجرتين ، ولذلك كان يقال :

---

(12) من السابقين الى الاسلام : قال ابن مسعود : أول من اظهر اسلامه بمكة سبعة ، منهم المقداد بن الاسود هاجر الى الحبشة وعاد الى مكة . توفي سنة 33 هـ وصلى عليه عثمان بن عفان .

(13) من فقهاء الصحابة . ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين وتوفي سنة 64 هـ وقيل 73 وصلى عليه الزبير .

هو اول خليفة ولي الخلافة وأمه لا زالت على قيد الحياة .

اول خطبة له

نقل ابن جرير الطبري في تاريخه (14) عن عتبة قال خطب عثمان الناس بعدما بويع فقال : (أما بعد ، فاني حملت وقد قبلت ، الا واني متبع ، ولست بمبتدع . الاوان لكم على بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه (صلعم) ثلاثا : اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملا . والكف عنكم الا فيما استوجبتم . الاوان الدنيا خضرة قد شهيت الى الناس ومال اليها كثير منهم ، فلا تركنوا الى الدنيا، ولا تثقوا بها ، فانها ليست بثقة . واعلموا انها غير تاركة الامن تركها) وقد ذكرت بعض المصادر خطابه الاول بصيغ أخرى ، وهي في جملتها لا تختلف في اسلوبها عن هذا الخطاب ، فمدارها كلها على طلب اتباع السنن ، واجتناب البدع ، والتحذير من فتنة الدنيا . كما اتفقت الروايات او كادت على نصوص خطبه الاولى .

واول من ارتج عليه في الخطبة

كان الحياء من اخص اوصافه رضي الله عنه ، ولما ارتج عليه ولم يتذمر ولم يتضجر ، بل قال : (ايها الناس ان اول مركب صعب ، وان بعد اليوم اياما ، وان اعش تأتكم الخطبة على وجهها ، وما كان خطباء ، وسيعلمنا الله) أخرجه ابن سعد .

اول مشكلة عرضت له

لما بويع بالخلافة ، جيء بعبيد الله بن عمر بن الخطاب ليقضي في شأنه بحكم الله ، لانه قتل الهرمزان احد عظماء فارس بتهمة اشتراكه في مؤامرة قتل والده ، فقال لاصحابه من المهاجرين والانصار : (اشيروا علي في هذا الذي فتق في الاسلام ما فتق) فقال له علي بن أبي طالب ـ وكان شديدا في الحق ـ : ارى ان تقتله . وقال بعض المهاجرين : قتل عمر بالامس ، ويقتل ابنه اليوم. فقال عمرو بن العاص : يا امير المؤمنين . ان الله قد اعفاك ان يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان فاما كان هذا الحدث ولا سلطان لك ، فقال عثمان : أنا وليهم وقد جعلتها دية ، واحتملتها في مالي . وكان ذلك منه رضى الله عنه حلا حسنا لاول مشكلة عرضت له في اول خلافته .

اول ما كتبه الى امراء الاجناد

لما ولي سار على نهج عمر في سياسته ، وكان أول ما كتبه الى امراء الاجناد : (قد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا ، بل كان على ملا منا ، ولا يبلغنى عن احد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله ما بكم ، ويستبدل بكم غيركم)

وهو اول من حمى الحمى

الحمى هو الشيء المحمي أي المحظور من اطلاق المصدر على اسم المفعول .

وعثمان رضي الله عنه هو أول من حمى الحمى ، فقد حمى أرضا حول المدينة كانت للناس عامة ، وخصصها برعي ابل الصدقة ، وزاد في مرعاها على حسب زيادتها ولما قيل له في ذلك قال : (قد حمى الائمة قبلي لابل الصدقة ، فلما زادت ابل الصدقة زدت في الحمى) وقد ورد في البخاري ان النبى (صلعم) حمى النقيع (15) وان عمر بن الخطاب حمى السرف (16) والربذة

---

(14) ج . 5 . ص 149 .

(15) موضع يبعد عن المدينة بعشرين فرسخا ، حماه صلى الله عليه وسلم لخيله .

(16) السرف بفتح اوله وكسر ثانيه : موضع يبعد عن مكة بستة اميال .

واول من اقـطع القطائـع

الاقطاعة طائفة من أرض الخـراج ، يقطعها الجنـــد فتجعل لهم غلتها رزقا ،

قال السيوطي في اوائله : ان اول من اقتطع الارضين للمجاهدين عثمان رضـــي الله عنه ثم قال : قال اهل الضبط : لم يقاطع غيره من قبلي ، بل هو اول مـن اقتطع القطائع من المزارع والقـرى .

وأول من امر بكل ارض جلا عنها اهلها ان يستعمرها العرب المسلمون وتكون لهم .

واول من سمـى العطية جائزة

اخرج بن عساكر عن الاصمعي قال : استعمل بن عامر قطن بن عبد عوف الهلالي على كرمان فاقبل جيش من المسلمين : اربعة آلاف وجرى الوادي ، فقطعهـم عن طريقهم ، وخشى قطن الفوت فقال : من جاز الوادي فله ألف درهم ، فحملوا انفسهم على العظيم ، فكان اذا جاز الرجل منهم اعطوه جائزته ، حتى جازوا جميعا فاعطاهم الجوائـز ، فابى ابن عامـر ان يحسبها له . فكتب بذلك الى عثمان بن عفـان ، وكتـب عثمان ان احسبها له ، فانه انما اعان المسلمين على سبيل الله . فمن ذلك اليوم سميت الجوائز ، لاجازة الوادي

وأول من رخص في الغـزو البحـري

كانت أمنية أمير الشام (معاوية بن ابي سفيان) اول كتيبة تشهد الحرب وتتهيا للموت وطائفة من اعيان (18) هي غزو الروم ، وفتح بلادهم عن طريق البحر وكان يلح على عمر بن الخطاب في ذلك ، ولاكن عمـر كان لا يطمئن الى مطلبه ، لانه كان يرى ان الغـزو في البحر تغرير بالمسلمين . وامام رغبة معاوية الملحة ، كتب عمر الى عمرو بن العاص : (صف لي البحر وراكبه فان نفسي تنازعني اليه) فكتب اليه عمرو بن العاص : (اني رايت خلقا كبيرا مركبه خلق صغير ، ان ركـن خرق القلوب ، وان تحرك ازاغ العقول ، يـزداد فيه فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، هم كدود على عـود ، ان مال غرق ، وان نجا برق) فلما قرا عمر كتاب عمـ بن العاص ، كتب الى معاوية : (لا والذي بعث محمدا بالحق لا احمل فيه مسلما ابدا ، وتا الله لمسلم احب الي مما حوت الروم)

فلما تولى عثمان الخلافة ، لم يزل معاوية يرغبه في الغزو البحري حتى اذن له فيه وقال : (لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم ، بل خيرهم ، فمن اختار الغزو طائعـــا فاحمله واعنه) عند ذلك عقد معاوية لواء البحر لعبد الله بن قيس الحارثي (19) فانطلق اول اسطول اسلامي لغزو قبرص سنة 28 ه تحت قيادة امير البحر الاول : عبـد الله بن قيس الحارثي واستولى المسلمون على قبرص صلحا وقد غزا الاسطول الاسلامي تحت قيادته خمسين غزاة، فلم يهزم في واحدة منها ، ولم يغرق من جنده احد ، وكان عثمان بسبب ذلك ، هو أول من اجاز الغـزو البحـرى .

واول من اتخـذ الشـرطة

الشرطة كما في القاموس واحد الشرط ، مصدر ، كصرد :

---

(17) بفتح اوله وثانيه وذال معجمـه مفتوحة : قريـة من قرى المدينة ، تبعد عنها بمسيرة ثلاثة ايـام .

(18) يرجع نسب مؤسس الدولة الاموية : معاوية بن ابي سفيان بن حرب الى امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أسلم يوم فتح مكة وعمره 23 سنة وبويع في ربيع الثاني (سنه 41) وتوفي في رجب (سنة 60 ه) ودفن بدمشق (19) قتله الروم غدر وهو يطوف في احدى المرافئ، متخفيا سنه 53 ه/673 م بعد ان دلتهم عليه امرأة كانت تتسول فاعطاها فعرفته فراسة .

الولاة وفسرها اللغويون ايضا بما كان يتميز به رجالها من شرط ، أي علامات مميزة ، فقد كانوا ينصبون الاشراط (الاعلام على مجالسهم)

ونقل الشيخ التاودي بن سودة (20) في شرحه على لامية الزقاق (21) عن الونشريسي (22) عن ابن امين القرطبي ان صاحب الشرطة وضع لمعونة الحكام ، واصحاب المظالم واقامة الحدود والتعازير .

وذكر ابن خلدون في مقدمته : انها وظيفة دينية شرعية ، كان لصاحبها النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولتين : الاموية والعباسية بالاندلس ، والعبيديين بمصر والمغرب . وكان يسمى صاحبها تارة باسم الوالي واخرى باسم الشرطة .

يتضح من هذا كله اهمية الشرطة التي كان لعثمان فضيلة السبق في انشائها ، والتي اصبحت تلعب دورا هاما في المحافظة على الامن الداخلي لكل دولة .

مكناس ـ احمد العراقي

---

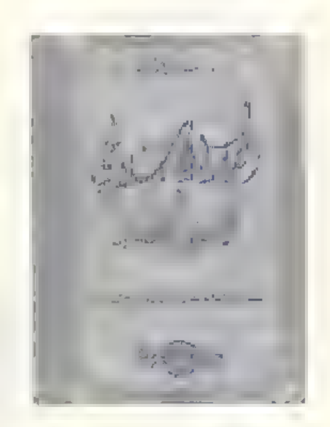
(20) تقدم التعريف به في الحلقة الرابعة من هذه السلسلة .

(21) علي بن قاسم الزقاق أحد اعلام الفقه المالكي بالمغرب توفي سنة 1506/912 . (22) أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني علامة دهره ووحيد عمره . استوطن مدينة فاس (سنة 1469/874) وتوفي بها (سنة 1508/1914) من كتبه : المعيار المعرب عن فتاوي افريقيا والمغرب . طبع في 12 جزءا .

تتمة مقال مصطفى صادق الرافعي

الوطني واستقلال الوطن » ومتى تعين الاول انه الاول نكل قوي الوجود لا تجعل الذي بعده شيئا الا انه الثاني » . وحي القلم ج : 3 — 37 — 38 .

● المغـــرب :



■ أصدر الدكتور عباس الجراري، كتابا جديــدا بعنــوان « الفكــر الاسلامــي والاختيــار الصعب » . وهو مــن منشــورات الجمعيــة المغربيــة للتضامــن الاسلامي يتناول الكتاب المضوعات التالية :

ماهية الفكر وأهميته ، الحرب الفكرية ، واقع الفكر الاسلامي وحل الاستسلام ، الحوار ومــدى امكانه ، حتمية المواجهة ، وعي جديد ، رصيـد مـن الضمانات ، الفكر القادر على المواجهة ، منهــج الاسلام ، الالتزام في نطاق الوحدة والتنظيم ، الرسالة والمسؤولية .

ويمتاز الكتاب بالحيوية والشجاعة في معالجــة قضايا فكرية ذات حساسية بموضوعية علمية وصدق مع النفس .

■ [illegible] الأموال [illegible]
[illegible] الاقتصادي
[illegible] الكتاب [illegible] الاستاذ محمد
العربي الخطابي محافظ الخزانة الملكية

وهو دراسة اقتصادية فقهية من وجهة نظــر معاصرة لا تخل بالاصل الاساسي في نظام الزكاة في الاسلام ولا تتنكر للمنطلقات الفكرية الثابتة التي تشكل الاطار العام للفكر الاقتصادي الاسلامي .

ويشتمل كتاب الاستاذ الخطابي على خمســة ابواب : أربعة منها تتضمن الاحكام المتعلقة بزكــاة الاموال ، أما الباب الخامس فيشتمل على قسمين : يتناول احدهما بالتحليل والمقارنة مسائل الزكــاة والضريبة مبينا اوجه التشابه والاختلاف بينهما ، بينما يبحث القسم الثاني في كيفية تحصيل الزكاة وادارة شؤونها .

والكتاب يطرح في جسارة وثقة ووضوح كامل موضوعا من الاهمية بمكان يفرض نفسه في تحولات الاجتماعي وتطلعنا نحو الرخاء والازدهار في ظــل الشريعة الاسلامية الغراء .

■ حصل الاستاذ حسن الوراكلي على دكتوراه الدولة في الآداب بميزة (امتياز) مع مرتبة الشــرف الاولى ، وذلك من جامعة مدريد المركزية عن اطروحته (المقامات اللزومية لابى الطاهر السرقسطــي : دراسة وتحقيق) . وهذه اول مرة تمنح فيها كليــة الآداب والفلسفة بجامعة مدريد المركزية هذه الميزة لطالب أجنبي . وقد اوصت اللجنة بضرورة الاستعجال بطبع الاطروحة ، ولاسيما القسم المحقق خدمــة للآداب العربية الاندلسية .

وكانت لجنة المناقشة تتكون من الدكاتــرة : فرنتيسكوليث اسطرادا رئيســا ، وفرنانــدو دى لاكرانخا (وهو المشرف على الاطروحة) وخوليو دى سبيــا ، وخوســى ماريــا فرناس ، وخوليو [illegible] سمسوموبا أعضاء .

وكان الاستاذ حسن الوراكلي قد حصل علــى شهادة الماجستير في الآداب منذ سنتين عن موضوع: ديوان بن صارة للشنتريني : دراسة وتحقيق مــن نص الجامعــة

■ [illegible]
[illegible] مؤسسة [illegible]
الخالق الطريس للثقافة والفكر) بتطوان مــن
اعداد الاستاذ محمد بن

عزوز حكيم . ويقع في 335 صفحة . وقد صدر الكتاب بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة الاستاذ عبد الخالق الطريس

■ نوقشت بكلية الآداب والعلوم الانسانيــة بالرباط اطروحة تقدم بها السيد محمد الكتاني لنيل دكتوراه الدولة في الآداب في اللغة العربية وآدابها في موضــوع :

« الصراع بين القدم والجديد في الادب العربي الحديث » .

وكانت لجنة المناقشة تتكون من السادة :

د. محمد بنشريفة رئيسا — د. أمجد الطرابلسي مقررا — د. عباس الجراري عضوا — د. عبد الله الطيب عضوا — د. يونان لبيب عضوا .

■ أعلنت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية أن جائزة المغرب لسنة 1980 ستمنح في نهاية السنة الحالية وستعين الوزارة لجنة التحكيم من بين الاساتذة المتخصصين وذلك بناء على محتويات الكتب المرشحة لنيل الجائزة .

وسيقفل باب الترشيحات في الساعة السادسة من مساء يوم الاربعاء فاتح اكتوبر 1980 .

وتدعو الوزارة من يرغب في الاطلاع على الشروط المطلوبة قانونيا ان يعود الى القرار الوزاري الصادر في الجريدة الرسمية عدد 3230 رقم 15474 بتاريخ 17 شعبان 1394 الموافق 5 سبتمبر 1974 . او ان يتصل بمصلحة المكتبات والنشر والتوزيع التابعة لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية .

■ يجري مكتب تنسيق التعريب في الرباط مسابقة في مجال اللغة العربية و...

وقد خصصت اربعة آلاف دولار للجوائز الاربع التي ستمنح للابحاث الفائزة .

وتتناول هذه المسابقة موضوعات أهمها دراسة بيانية عن الموسيقى في القرآن الكريم ومصادرها واعجازها .

■ صدر للدكتور المهدي بن عبود كتاب جديد يحمل عنوان « المعارف الانسانية بين الضرورة والهدف » . وقد صدر عن دار النجاح الجديدة بالدار البيضاء ؛ والكتاب من منشورات الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي .

■ صدر لمصطفى الشهبري كتاب جديد بعنوان « البيان حول وضعية الكتاب والفنانين والمثقفين » .



■ صدر عن دار الكتاب بالدار البيضاء كتاب بعنوان « دراسة الحركة التعاونية » للاستاذ احمد ...

■ « طارق الذي لم يفتح الاندلس » عنوان لمجموعة القصصية الاولى للسيد مصطفى المسناوي صدرت ببيروت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

■ صدر لعبد الله ... خلال شهر مارس ديوان شعر فرنسي بعنوان « الطلاسيك » عن دار الستوكي للنشر بالرباط .

■ صدر للكاتب عبد الرحيم ... مؤخرا كتاب جديد باللغة العربية يحمل عنوان : « الخفايا السرية في المغرب المستقل »

ويتناول الكتاب المرحلة التاريخية التي مر بها المغرب في هذه الفترة والحوادث التي عرفها خلالها وخاصة ما يتعلق بجيش التحرير بالصحراء المغربية .

■ « الطريقة الجديدة البرمجة التربيعية وتطبيقاتها على مشاكل اختيار الزراعات المعرضة للخطر » موضوع الاطروحة التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه السيد احمد محمد عتاق بالمدرسة التقنية العليا

للمهندسين الزراعيين التابعة لجامعة البوليتيكنيك بمدريد .

وقد نال المرشح شهادة الدكتوراه بميزة ممتاز باجماع اعضاء اللجنة المشرفة على مناقشة الاطروحة .

وقد تعرض السيد عتاق فى اطروحته للوضع الزراعى فى منطقة اشبيلية المشابهة لمنطقة الغرب فى المغرب وذلك خلال المدة المتراوحة ما بين 1965 — 1975 معززا دراسته بالارقام .

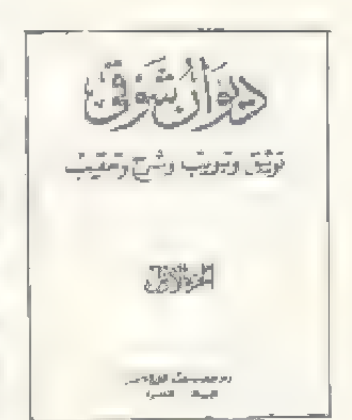
■ نوقشت مؤخرا بكلية الاداب بالرباط رسالة تقدم بها السيد مصطفى اعشى لنيل ديبلوم الدراسات العليا فى التاريخ فى موضوع : « العلاقات العسكرية والسياسية فى موريطانيا الطنجية بين المغاربة والرومان من سنة 140 الى 285 م » . وقد تكونت لجنة المناقشة من الاستاذ محمد التازي سعود رئيسا والاستاذ محمد سليمان ايوب مقررا والاستاذ فوزي مكاوي عضوا .

■ صدرت للكاتب بوشتى حاضى مجموعة قصص قصيرة بعنوان « ثقوب فى السماء » عن مطبعة الرسالة بالرباط ضمن سلسلة كتاب العلم .

■ « رحال ولد المكى » رواية صدرت حديثا لمحمد صوف عن دار النشر المغربية .

■ **مصر :**

■ نوقشت فى كلية الاعلام بجامعة القاهرة رسالة الماجستير المقدمة من مرعى مدكور وموضوعها « فن التحرير الصحفى فى الصفحات الادبية فى الجرائد اليومية » . وقد ناقشها كل من الدكتورة اجلال خليفة « مشرفة » والدكتور مختار التهامى والاستاذ رشدي صالح (عضوين) .



■ صدرت طبعة جديدة من « ديوان شوقى » مع توثيق وتبويب وشرح وتعقيب الدكتور احمد الحوفي عن دار نهضة مصر للطبع والنشر . وقد قدم الدكتور الحوفي للجزء الاول مقدمة طويلة حول حياة شوقي وشعره ومسرحياته وكان ديوان شوقي قد نشر من قبل تحت عنوان « الشوقيات » .

■ « دراسات فى النقد الادبى المعاصر » كتاب جديد للدكتور كامل السوافيرى ويتناول فيه الكاتب الادباء المعاصرين وافكارهم النقدية .

ويتعرض لنظريات النقد عند معظم الكتاب والنقاد فى المرحلة الحاضرة .

■ « فلسفة سارتر » احدث ما صدر للدكتور عبد الفتاح الديدي .

■ « دراسات نقدية فى الادب المعاصر » كتاب جديد للناقد مصطفى عبد اللطيف السحرتى وهو يتناول خمسة مجالات : النقد ، البحث الادبى ، الرواية القصة القصيرة ، المسرحية الشعرية .

■ « الاعلام الاسلامى » كتاب جديد للدكتور حسين فوزي النجار ، وهي مجموعة المحاضرات التى القاها فى جامعة أم درمان الاسلامية بالسودان . وهو يتحدث عن طبيعة الدعوة الاسلامية واسسها والفلسفة الاعلامية التى تقوم عليها من وحى القرآن والسنة وطبيعة الدعوة فى انتشارها وامتدادها .

■ « احبك انت » ديوان جديد للشاعرة كريمة زكى مبارك .

وهى ابنة الكاتب الكبير المرحوم الدكتور زكى مبارك . والديوان يشتمل على 28 قصيدة وجدانية واسلامية .

■ اصدر الكاتب حسنى نصار كتابه رقم 21 تحت عنوان « التيسير فى تفسير الفاظ القرآن الكريم . ويتناول 6 آلاف كلمة اقترن تفسير كل منها بالجملة من الآية التى وردت فيها .

■ اصدرت الدكتورة نعمات احمد فؤاد كتابا عن: « خصائص الشعر الحديث » يقع فى 273 صفحة من القطع الكبير .

والكتاب دراسة معمقة لالوان الشعر العربى على امتداد الساحة العربية من عمودي ، وحر ، ومزاوج ، ومرسل ، ومنثور ، ومهجرى ، ورواد كل لون وآثارهم فيه والاراء المتصارعة حول هذا كله، ووجوه التأثر التأثير من الشرق الغرب فى هذا المجال .

■ « درسات ادبية » احدث كتاب للدكتور احمد هيكل يتضمن مجموعة البحوث التى القاها فى المؤتمرات الدولية والمقالات التى نشرها فى الصحف والمجلات .

● لبنان :



■ صدر عن دار القرآن الكريم ببيروت كتاب «صفوة التفاسير» للشيخ محمد على الصابونى فى ثلاثة مجلدات كبيرة . ويجمع هذا التفسير بين المأثور والمعقول ، وهو مستمد من اوثق كتب التفسير مثل الطبرى ، الكشاف، القرطبى ، الالوسى ، ابن كثير ، البحر المحيط ، وغيرها باسلوب ميسر وتنظيم حديث مع العناية بالوجوه البيانية واللغوية .

■ صدر الجزء الثانى من كتاب « العدوان الاسرائيلى القديم والعدوان الصهيونى الحديث على فلسطين وما جاورها » لمؤلفه المؤرخ والباحث الاسلامى الكبير (محمد عزت دروزة) عن دار الكلمة فى الفصل الاول من الكتاب يطرح المؤلف فترات الصراع بين العرب والصهاينة، من خلال عشر مراحل الاولى قبل مؤتمر بال الصهيونى الذى انعقد عام 1897 والثانية من مؤتمر بال الى وعد بلفور ، والثالثة من وعد بلفور حتى نهاية الحكم العسكري الإنجليزي فى فلسطين ، والرابعة فترة الحكم المدني الانجليزي ، حتى الاضراب الطويل ، عام 1936 ، والخامسة قيام الدولة اليهودية فى عام 1947 — 1948 ، والسادسة قيام الدولة اليهودية وقرار التقسيم ،والسابعة من بداية اعلان الدولة اليهودية ، حتى عدوان 1956 . والثامنة ، بدءا من عدوان 56 حتى نكسة 1967 ، والتاسعة بداية عدوان يونيو . حتى نهاية حرب رمضان 1973 ، ويختتم المؤلف الفصل الاول من كتابه بالمرحلة العاشرة، حرب رمضان 73 والتسويات التى تلتها من عام 1975 الى نهاية 1978

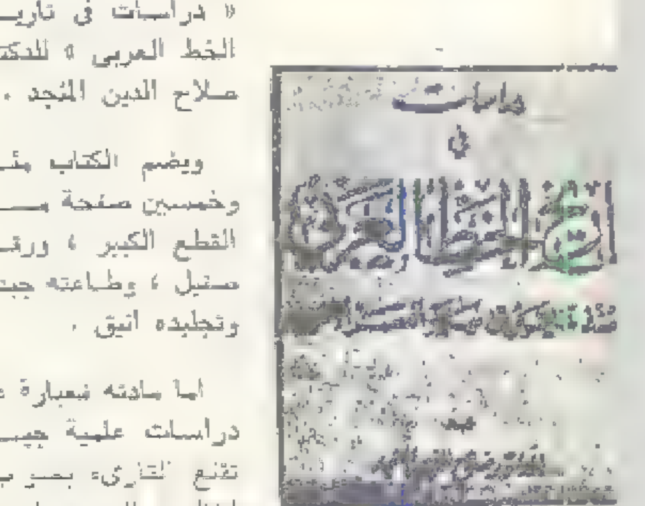
■ كتاب « الغزل عند العرب » الذي ألفه الدكتور ابراهيم الكيلانى وهذا الكتاب الذي يقع في [illegible] كبير هو ترجمة لكتاب « [illegible] » وموضوعاته تشمل : « الروح العذرية في الشعر العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثالث الهجري في الحجاز فى القرن الاول للهجرة ، العذرية خارج نطاق الشعر ، منتشر الحب العذري » .

وقد تحدث المؤلف عن ابن داود الاصفهانى وابن يحيى .

■ صدر للدكتور على زيعور كتاب جديد بعنوان « الفلسفة الهندية : تطلعاتها الهندوكية والاسلامية والاصلاحية » ، عن دار الاندلس ، ويقع الكتاب فى 431 صفحة ، ويضم اربعة ابواب هى :

البراهمانية ، والفيدا ، اليونية والجانيتية ، الفلسفة الابياعية ، او المذاهب الصراطية الستة ، وخصص المؤلف فصلا عن « الهند والفكر العربي الاسلامي ».

■ صدرت طبعة جديدة من كتاب « دراسات فى تاريخ الخط العربى » للدكتور صلاح الدين المنجد .



ويضم الكتاب مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير ، ورقه صقيل ، وطباعته جيدة، وتجليده انيق .

اما مادته فعبارة عن دراسات علمية جيدة تقنع القارىء بصحة النظرية التى يقول بها المؤلف وهى ان الخط العربى مأخوذ عن الخط النبطى

فضيلة هذا الكتاب الكبرى انه لا يقنعك بالكلام المجرد ، ولكنه يضع بين يديك النصوص التى لا تدع مجالا للتشكيك فى صحة نظرياته .

■ صدر عن دار النهار للنشر الطبعة الثانية من كتاب « بيروت ولبنان فى عهد آل عثمان »

والكتاب من تاليف الاستاذ يوسف الحكيم، يورد فيه معلومات تشمل احداث الحرب العالمية الاولى التى انتهت عام 1918 م بخروج الاتراك من سوريا ولبنان .

■ صدر للشاعر المصرى احمد عبد المعطى حجازى كتاب بعنوان « رؤية حضارية طبقية لعروبة مصر : دراسة ووثائق » ، عن دار الآداب .

■ يقام معرض الكتاب العربى الرابع والعشرون بلبنان ابتداء من فاتح سبتمبر 1980 الى 12 منه .

■ صدر مؤخرا عن دار صادر فى بيروت كتاب « الشعراء الشاميون » الذي كان قد الفه شاعر الشام المرحوم خليل مردم بك ، ثم مات وتركه مخطوطا ، فعهد نجله الاستاذ عدنان الى تحقيقه وكتابة مقدمة مسهبة عن والده ، بين فيها الدافع الذى حداه الى تاليف هذا الكتاب الذي جاء فى ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير والطباعة الفاخرة المتقنة .

■ صدرت عن « مركز دراسات الوحدة العربية » طبعة جديدة من كتاب : « المشرق العربى والغرب » وهو بحث فى دور المؤثرات الخارجية فى تطور النظام الاقتصادي العربي ، من تاليف الدكتور جلال احمد امين .

كما صدر عن نفس المركز كتاب بعنوان « خطط التنمية العربية واتجاهاتها التكاملية والتنافرية » للدكتور محمود الحمصى . وهو دراسة للاتجاهات الانمائية فى خطط التنمية العربية المعاصرة ازاء التكامل الاقتصادى العربى (1960 — 1980) .

وصدر ايضا كتاب « العلم والسياسة العلمية فى الوطن العربى » لانطوان زحلان .

وصدرت عن المركز طبعة مزيدة ومنقحة من كتاب « النفط والوحدة العربية » للدكتور محمود عبد الفضيل .

وصدر حديثا كتاب : « اتجاهات الراي العام العربى نحو مسالة الوحدة » للدكتور سعد الدين ابراهيم .

ويصدر قريبا كتاب : « القومية العربية فى الفكر والممارسة » وهو مجموعة البحوث والمناقشات التى قدمت فى الندوة الفكرية التى قام بها مركز دراسات الوحدة العربية .

المملكة العربية السعودية :

■ قدمت رابطة العالم الاسلامى دعما ماليا مقداره 4 ملايين ريال سعودي لكل من السنغال ومالــــى وساحل العاج وسيراليون والطوغو وغانا وذلــك مساهمة منها فى انشاء مساجد بهذه البلدان .

وقد قام وفد الرابطة الزائر لهذه الدول الست بتقديم حصة كل دولة من هذا المبلغ ، واجـــرى اتصالات مع المسؤولين تناولت تشكيل مجالس محلية للائمة للعناية بالمساجد ونشر الدعوة الاسلامية .



■ صدر العدد الاول من مجلة « عالم الكتب » وهى مجلة متخصصة تعنى بالكتاب العربـــى وقضاياه تصدر اربـــع مرات فى السنة .

من بين مواد العدد : المعجم الجغرافى للبلاد السعودية ، ورسائل جامعية عن المملكة العربية السعودية لاسعد عبده ، ارشاد السارى الى اختصار صحيح البخاري لابن اشنويه لعبد العزيز المسفر وهو بحث حول هذا المخطوط ، ثم كتاب العدد لاحمد عبد القــادر .

■ المهندس وهو عرض لكتاب الزمن الرابـــع فى المملكة العربية السعودية من تاليف د. سعد اسارى والبروفيسور زونل - ثم عرض نقدي ليحيى ساعاتى عن « معجم المسرحيات العربية والمعربة » لمؤلفه يوسف داغر وتضمن العدد ايضا اخبارا موجزة عن عالم الكتب وما طبع حديثا فى البلاد والعالم العربى .

■ ضمن سلسلة «الكتاب العربى السعودي» التى تصدرها مؤسســـة « تهامة » صدر الكتاب الثالث من السلسلة « عهد الصبا » من تاليف اسحاق الدقس، وقد ترجمه الى العربية الاستاذ عزيز ضياء . ويستمد الكتاب مواضيعه من البيئة البدوية الاردنية وقـــد اشتمل الكتاب فى اوله على ترجمة وافية لحياة المترجم. المجلة تعتبر مصدرا جدا لمتابعة اخبار الكتاب وقضاياه ويراس تحريرها الاستاذ يحيى ساعاتى .

■ صدر عن دار اشبال العرب بالرياض الجــــزء الثالث من كتاب « الامثال الشعبية فى قلب الجزيرة العربية التى جمعها عبد الكريم الجهيمان .

انـــدونيســـــــــــا :

■ من المقرر أن يعقد المؤتمر الاول للاعلام الاسلامى فى جاكرتا عاصمة اندونيسيا فى الاول من شــهر سبتمبر القــادم .

ويهدف هذا المؤتمر الذي دعت اليه رابطـــة العالم الاسلامى الى مقاومة الحملات الاعلامية المغرضة ضد العقيدة الاسلامية والتعتيم المقصود من بعــض وسائل الاعلام للانشطة الايجابية داخل الوطـــن الاسلامـــى .

وكان المؤتمر التمهيدي للصحافة الاسلامية قد عقد قبل شهور فى جزيرة قبرص حيث تم وضـــع القواعد الاساسية للعمل الاعلامى على صعيـــد الاجهزة الاسلامية مثل رابطة العالم الاسلامى ومنظمة المؤتمر الاسلامى ، ومثل المغرب فى هذا المؤتمـــر الاستاذ ابو بكر القادري الذي انتخب مقررا عامـــا لاحدى اللجـــان المتفرعة عنه .

العـــــــــــراق :

■ أصدرت مجلة « المورد » العراقية عددا ممتازا فى نحو 800 صفحة من الحجم الكبير فى جزء واحد يتضمن ملفات كاملة عن تاريخ المدينة الاسلاميـة العربية ودورها فى ازدهار الثقافة الاسلامية والحضارة العربية عبر العصور .

■ تعقد جامعة البصرة بالعراق ندوة عالمية لدراسة مصادر تاريخ البصرة وذلك فى الفتـــرة 22 — 24 ديسمبر 1980 يشارك فيها مؤرخون من جميع انحاء العالم ، وستنشر ابحاثهم فى كتاب خــاص بهــذا الموضوع .

■ عن دار الجاحظ فى وزارة الثقافة والاعلام ببغداد صدر كتاب « جدلية ابى تمام » .

الكتاب يقع ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة وهو للدكتور عبد الكريم اليافى ، وقد ضمنه عرضا لحال الشعر فى عصر ابى تمام ، والظروف التى واجهته وهو عرض ايضا لجوانب الابتكار وعناصر الطرافة والتجديد .

■ « الشعر فى عهد المرابطين والموحدين بالاندلس» كتاب جديد من تاليف الدكتور محمد مجيد السعيد ، صدر عن دار الرشيد للنشر .

■ تصدر قريبا عن دار الجاحظ بوزارة الثقافة والاعلام العراقية مجلة جديدة بعنوان : « مجلة الثقافية الاجنبية» . وستكون فصلية تهتم بآداب العالم.

والمجلة تدعو المثقفين والادباء العرب الى المساهمة فيها مساهمة جادة ودائمة .

● الكويت :

■ تنظم مؤسسة الكويت للتقدم العلمى مسابقة على مستوى الوطن العربى لنيل جائزة المؤسسة المذكورة ، وذلك تحقيقا لاغراضها فى تدعيم الانتاج العلمى ، وتشجيع العلماء والباحثين فى الوطن العربى

وهى جائزة سنوية قدرها خمسة آلاف دينار كويتى (5.000 د) لكل واحد او اكثر اسهم بصورة رئيسية وقدم اضافات جديدة فى المواضيع الآتية :

1) العلوم الاساسية : فى مجال البيولوجية .

2) العلوم التطبيقية : فى مجال الهندسة المدنية .

3) الفنون والآداب : فى مجال الشعر الغنائى العربى

4) احياء التراث العربى والاسلامى : فى تاريخ الرياضيات عند العرب .

5) العلوم الاقتصادية والاجتماعية : فى مجال التغيير الاجتماعى فى الوطن العربى خلال العقدين الماضيين .

ويشترط فى من يحصل على هذه الجائزة :

1 — ان يكون انتاجه مبتكرا وذا اهمية بالغة بالنسبة الى الحقل المقدم فيه خلال العشر سنوات الماضية .

2 — ان يكون المرشح من ابناء الاقطار العربية .

3 — تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيآت العلمية كما يحق للافراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها ولا تقبل ترشحات الهيئات السياسيه .

4 — يتضمن الترشيح السجل العلمى للمرشح ونبذة مختصرة عن حياته وانتاجه العلمى ومبررات ترشيحه لنيل هذه الجائزة .

5 — لا يعاد الانتاج المقدم الى مرسله فاز المرشح او لم يفز .

6 — لا تقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز للفائزين .

7 — على الفائز ان يقدم محاضرة عن الانتاج الذى نال الجائزة عنه .

8 — تقبل الترشيحات ابتداء من « 1 — 8 — 1980 الى 31 — 10 — 1980 » .

9 — ترفق الترشيحات باربع نسخ من الانتاج المقدم وترسل الى العنوان التالى :
السيد : المدير العام لمؤسسة الكويت للتقدم العلمى .

ص. ب : 25263 — الصفاة — الكويت

■ تنعقد فى الكويت فى الفترة 9 — 14 ديسمبر ندوة عالمية حول « حقوق الانسان فى الاسلام » تنظمها الهيئة الدولية لرجال القانون ، وجامعة الكويت ، واتحاد المحامين العرب . وتناقش الندوة فى جلسات ست الملكية وتوزيع الثروة فى الاسلام والمفاهيم الاسلامية والمجتمع المعاصر والمشكلات

الاجتماعية والقانونية التي تواجه الاقليات الاسلامية فى الدول العلمانية ، وحق العمل ، والمساواة امام القانون ، وحرية الراي والتعبير والتنظيم ، وامن الانسان وحقوق الدفاع ، ودور القضاة ، ورجال القانون ، والمحامين ومكانة المراة .

ويشترك فى هذه الندوة العالمية اكثر من خمسين شخصية بارزة منهم الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله مدير مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى الذي سيلقى بحثا بعنوان « المفاهيم الاسلامية والمجتمع المعاصر » .

■ يعقد فى الكويت فى 18 يناير القادم مؤتمر الطب الاسلامى ويتضمن جدول اعمال المؤتمر الذي يستمر لمدة ستة ايام بحث تاريخ وتراث الطب الاسلامى وأثر العلماء المسلمين فى تطوير الطب [illegible]

[illegible]

■ [illegible]

■ ضمن سلسلة « عالم المعرفة » التى تصدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، صدر كتاب [illegible] كما صدر كتاب [illegible] والحرية فى عالم [illegible] الحديثة [illegible]

● الأردن :

■ [illegible]

« حرب رمضان وتحطيم الاسطورة » وكتاب اللواء كعوش الجديد ، يحتوي على ثمانية فصول قصيرة تقع فى اثنين وسبعين صفحة من القطع المتوسط .

وهذه الفصول الثمانية ، تدور حول محاور رئيسية جعلها المؤلف عناوين لفصول كتابه ، هي : التعايش مع السلاح النووي ، الطاقة النوويـة ، خصائص الانفجارات النووية ، التأثيرات والوقاية ، ثورة فى علم الحرب ، اسرائيل والسلاح النووي ، العرب والسلاح النووي ، احتمالات استعمال القدرة النووية الاسرائيلية

■ افتتح معرض الكتاب الاسلامى فى [illegible] الاقصى الاسلامية فى باب الساهرة — زاوية الهنود

— وقد تضمن المعرض ما يزيد عن 1200 صنف من الكتب الدينية التى تتناول مختلف المواضيع فى الدين والتراث

■ [illegible]

[illegible]

[illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

[illegible]

فرنســـــا :

■ « الاسلام فى اول عظمته » هو عنوان احـدث كتاب نشر مؤخرا فى الاسواق الفرنسية من تاليـف موريس لومبارد ، والكتاب عبارة عن دراسة تاريخية لازدهار العالم الاسلامى فى الفترة من القرن الثانى الهجرى الى القرن الخامس الهجــري .

وتشمل الدراسة اوجه الازدهار فى مختلــف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

والجدير بالذكر ان موريس لومبارد كان يشغل منصب استاذ فى قسم الابحاث الشرقية باحــدى الجامعات الفرنسية فى الفترة من 1957 الى 1960.

■ [illegible] حول ازمة الصحافة المكتوبة ، موضوع رسالة دكتوراه التى حصل عليها ، الدكتور وليم زكى [illegible]

[illegible]

■ [illegible]

[illegible]

■ [illegible]

— بين من المعرض الذي يضم الاول من نوعه ... اول كتيبة ظهرت فى ... التى استخدمها

اهالى ما بين النهرين عام 3500 ق م وانها كانت رسومها ترمز الى اشياء سهلة التداول .

اسبــــانيـــــا :

■ فاز الكاتب الارجنتينى جورج لويس بورجيس بجائزة ميجويل دي سرفانتس فى الآداب التى توزعها جامعة مدريد ، وذلك مناصفة مع الكاتب الاسبانـى جيراردو دي ديجو عضو الاكاديمية الملكية الاسبانية لـلآداب .

■ صدر فى اسبانيا كتاب « خوان غويتيولـسو » بعنوان « اسبانيا للاسبان » ويتناول فى استعراض تاريخى الفترة التى عاشتها اسبانيا من عهد العرب الى عهد فرانكــو .

هــولنـــدا :

■ [illegible]

بــريطــانيـــا :

■ [illegible] موسوعة جديدة تضم خمسة [illegible] فى كل من بريطانيا واوروبا [illegible] — الذي يتبع فى تأليفها [illegible] مواطن البيئة للطيور

[illegible]

المانيــــات .غ. :

■ [illegible]

لالماني جوته الى معاصريه من الكتاب والشعراء منهم الفيلسوف الفرنسي روسو والفيلسوفان الالمانيان سبينوزا وشيلر .

وقد عثر على تلك الرسائل في عدد من المكتبات الالمانية . وقد لوحظ أن رسائل جوته الى شيلر شكلت اكبر عدد من الرسائل عموما ، وفيها يعرب جوته عن مدى تقديره للصداقة القائمة بينه وبين شيلر ، الا أن الطريف ان تلك الرسائل استمر تحريرها بتوقيع جوته حتى بعد وفاة شيلر عام 1805 حيث يصرح فيها جوته بأن وفاة شيلر من اكثر الحوادث التي اثرت فيه ، بل انها تشكل نقطة تحول في حياته .

ولوحظ ايضا أن تلك الرسائل كتب بعضها بالفرنسية والبعض الاخر بالانجليزية والبعض الاخر بالالمانية وقد توقف ذلك على المرسل اليه .

ومن المعروف أن جوته كان يتقن العديد من اللغات منها : الالمانية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والايطالية ، واللاتينية ، واليونانية والعربية والعبرية

وجوته (1749 — 1832) هو الشاعر والكاتب المسرحي والروائي الالماني الذي ظهرت عبقريته في ميادين شتى في الادب والعلم على السواء . قضى طفولة سعيدة في فرانكفورت ثم درس القانون في ليبزج وشتراسبورج وفيها وقع تحت تأثير حركة « العاصفة والاجهاد » تعرف على هردر وغيره من زعماء الحركة وتحمس لاعمال شكسبير ولادب القرون الوسطى في المانيا .

يوغوسلافيا :

■ « رسالة الغفران » لابي العلاء المعري صدرت لها اول ترجمة باللغة اليوغوسلافية من معهد الدراسات الشرقية بيوغوسلافيا .

استراليا :

■ انعقد مؤخرا باستراليا مؤتمر للفكر الاسلامي، درس الموضوعات التالية :

— مفهوم الشريعة في القرآن .

— العامل الاجتماعي والسياسي وصلته الوثيقة بالقرآن .

— الموضوع الاقتصادي والسياسي الوثيق الصلة بالقرآن .

— دور الحديث في اكمال وشرح القرآن .

— المقام العرفاني الرفيع لله جل جلاله في القرآن .

— القرآن كحدث ادبي .

— الابعاد الصوفية والفلسفية للقرآن .

— التفسيرات القرآنية : التقليدية والعصرية .

— دراسة القرآن في الجماعات غير المسلمة .

وقد استدعي من المغرب الاستاذ عبد الرحمان الكتاني المستشار الدائم لرابطة علماء المغرب .

فهرس العدد 4 السنة 21

صفحة

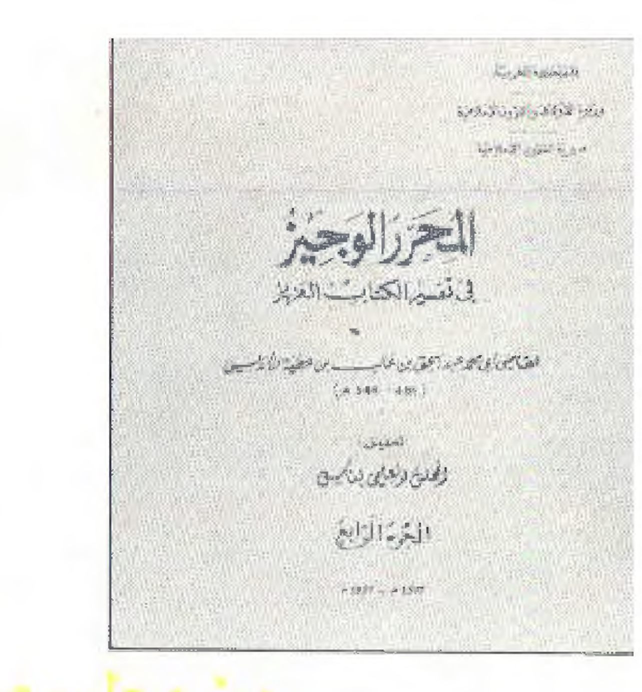
بشراكِ يا قدس

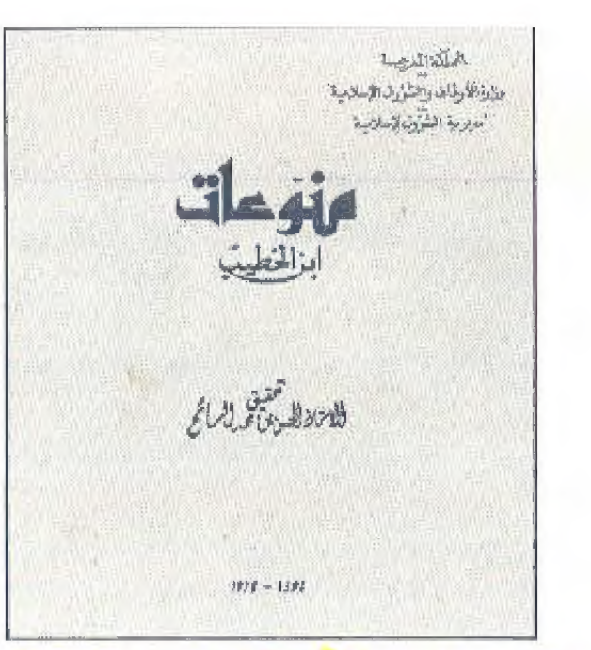
للأستاذ الشاعر وجيه فهمي صلاح

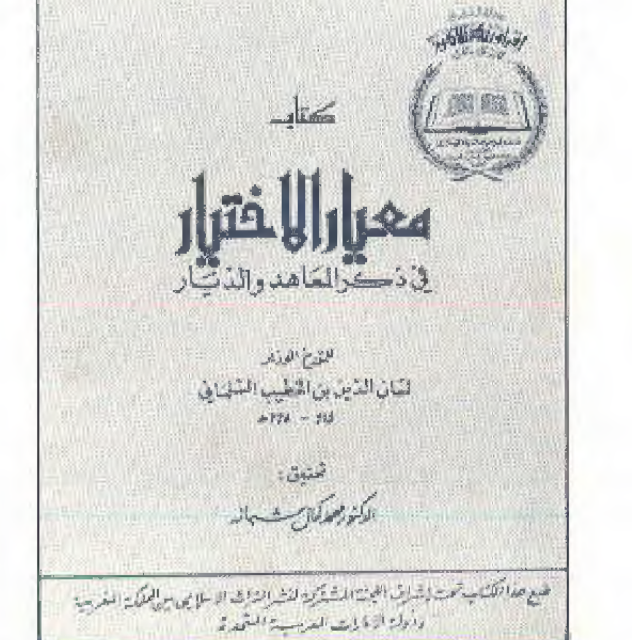
رحلتُ للقدس حيراناً أسائلها
ترى صلاحاً تريد اليوم أم عُمَرا
أم خالداً في رُبَى اليرموك منطلقاً
بين الجنود تزين النصر والظفرا
أم طارقاً في ركاب الفتح ممتطياً
ظهر المحيطين يَروي للورى عِبرَا
وإذ أجابت رباط الفتح مؤتلق
يزينه السبط سهراناً ومقتدرا
شدوتُ للحسن المقدام أغنية
كان الفؤاد لها بالشوق مستعرا
بشراك يا قدس قد لباك عاهلنا
فاستقبلي النصر قدسيّ الشذا عطرا

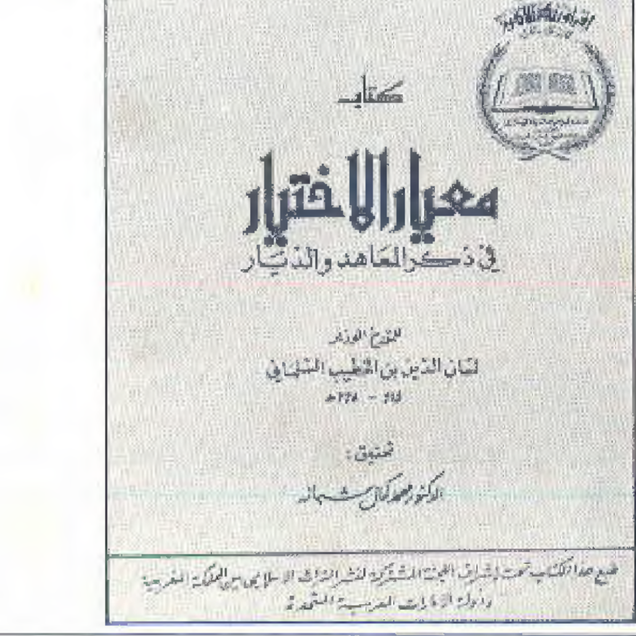
مطبعة فضالة — المحمدية (المغرب)

من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية









المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز — الجزء الرابع

منوعات ابن الخطيب

نشر البنود على مراقي السعود — الجزء الثاني

أوصاف الناس في التواريخ والصلات تليها الزواجر والعظات

كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار

الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية — معلمة المدن والقبائل